جامعة الجزائر- 2- أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الأولياء والمجتمع بالمغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين

(479-635هـ/1086-1238م)

أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط

إعداد الطالب:

البشير غانية

إشراف الأستاذ الدكتور:

محمد الأمين بلغيث

أعضاء اللجنة المناقشة:

أ.د قويدر بشار.......................أستاذ تعليم عالي............جامعة الجزائر 2................رئيسا.

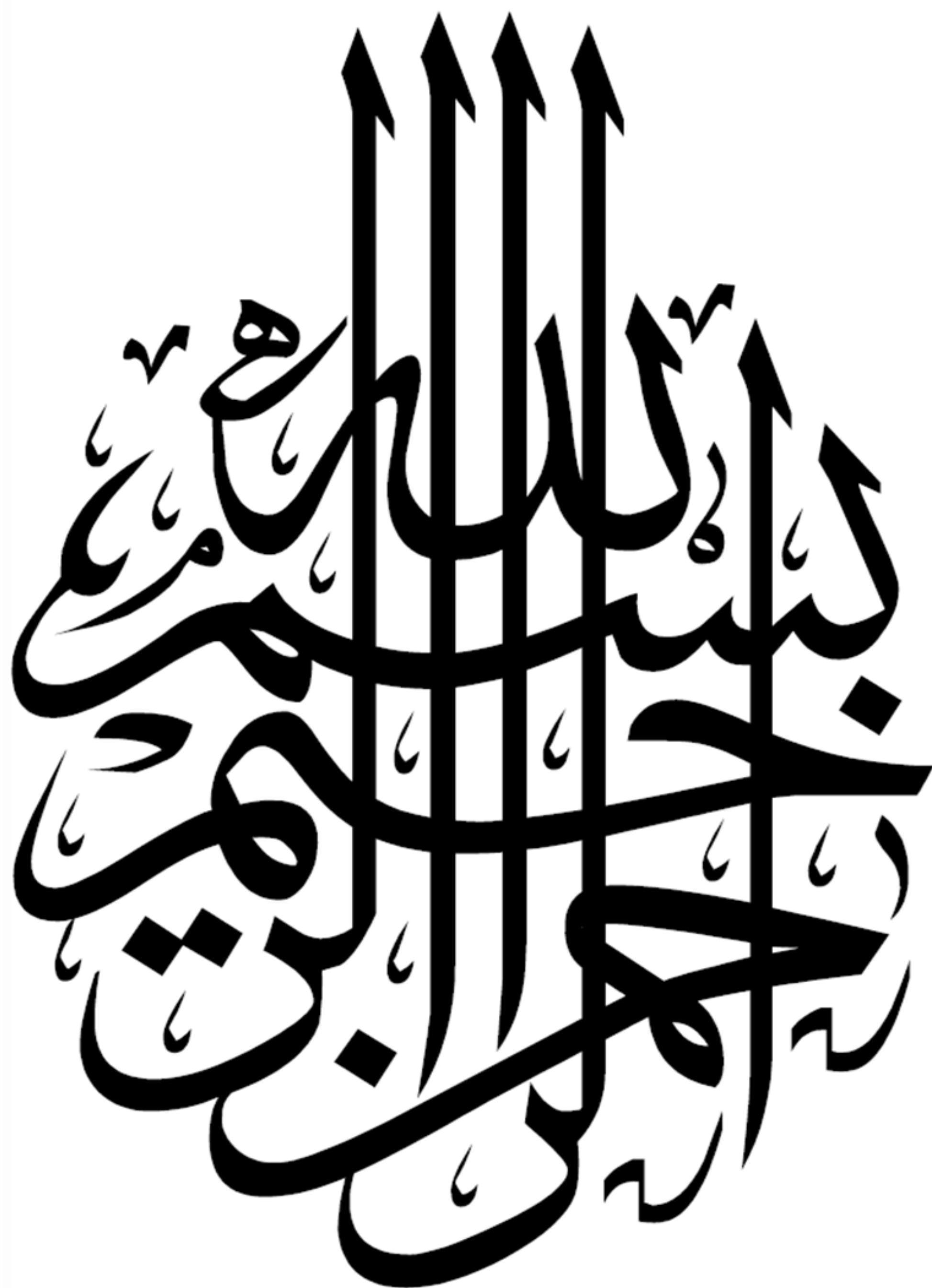
أ.د محمد الأمين بلغيث............أستاذ تعليم عالي............جامعة الجزائر 1.................مقررا.

أ.د أحمد شريفي......................أستاذ تعليم عالي............جامعة الجزائر 2................عضوا.

د نور الدين شعباني..................أستاذ محاضر أ.............جامعة خميس مليانة...........عضوا.

د محمد الشريف سيدي موسى......أستاذ محاضر أ.............جامعة البليدة....................عضوا.

السنة الجامعية: 1436-1437هـ/2015-2016


بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد الواحد بن عاشر (ت 1040هـ/ 1631م) في منظومته المرشد المعين:

في عقد الأشعري وفقه مالك

وفي طريقة الجنيد السالك

الإهداء

إلى

روح جدي

أبي وأمي

زوجتي أم إياد

فلذتي كبدي إياد وكندة

كل صديق عمر وخليل قلب وأنيس روح ورفيق درب

كل قلم يخط الماضي وينير الحاضر ويرسم المستقبل

شكر وعرفان

إنه لمن الواجب الإعتراف بفضل الله سبحانه وتعالى أولا، ثم فضل الأستاذ الدكتور **محمد الأمين بلغيث** الذي تكرم بإشرافه على بحثنا هذا، ولم يبخل علينا بمعلوماته القيمة وتوجيهاته الرشيدة وصبره على تحمله معنا عبء ومشقة البحث.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور **محمد ياسر الهلالي** من المغرب لكبير جميله وفضله علينا.

والشكر الموصول كذلك إلى الأخ الذي لم تلده أمي **محمد علي مسعودي**.

ولكل أفراد الأسرة الكريمة وكل أفراد العائلة الكبيرة.

قـائمـــة الاختــزالات:

ت: توفي.

هـ: هجري.

م: ميلادي.

ج: جزء.

مج: مجلد.

ق: القسم.

س: سفر.

ط: طبعة.

د ط: دون طبعة.

د ت: دون تاريخ.

د ن: دون ذكر دار النشر.

د م: دون ذكر مكان الطبع.

أ: وجه الورقة في المخطوط.

ب: ظهر الورقة في المخطوط.

مُقَدِّمَة

نطرق في هذا البحث موضوعاً يتصل بالفترة المرابطية الموحدية، ويتعلق بالأولياء والمجتمع، وهو موضوع اقترحه علي أستاذي الدكتور محمد الأمين بلغيث ولم أتردد لحظة في قبوله، وخاصة في ظل حاجة البحث في تاريخ المغرب الإسلامي إلى إماطة الكثير من الغموض الذي يكتنف خاصة الجوانب الفكرية والدينية والذهنية، ومدى تأثيرها على المجتمع والسياسة والاقتصاد.

وفي هذا السياق، جاء موضوع بحثنا الموسوم بـ:

الأولياء والمجتمع بالمغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين

(479-635هـ/1086-1238م)

إن دراسة العلاقة بين الأولياء ومختلف مكونات المجتمع المرابطي والموحدي، ما هي إلا محاولة لملامسة التفاعل الفكري والديني والذهني والاجتماعي والسياسي، الذي أسهم في تحديد معالم العقلية المغربية التي هي نتاج تطور قرون من الزمن سبقت فترة دراستنا، ولم تتوقف عندها بل تجاوزتها أيضا.

إن اختياري لهذا الموضوع جاء من خلال دوافع وغايات وأهداف كنت أصبو إليها، وأهدف إلى الارتباط بها في حياتي العلمية، ألخصها فيما يلي:

أولها تتبع مسار تاريخ الذهنيات، الذي ظل مهمشاً لفترة طويلة، ولا يخفى على أحد أن ظاهرة الولاية، لم تكن بمعزل عن مسار الأحداث والتجارب التاريخية، فتفاعلت مع محيطها وتأثرت به، وما بحثنا هذا إلا محاوله منا لرد الاعتبار لتاريخ الذهنيات، ومحاولة منا كذلك لفك بعض اللّبس والغموض في هذا المجال، خاصة مع صعوبة

الخوض في الجانب الذهني في تاريخ المجتمعات الإنسانية عامة، ومجتمع المغرب الإسلامي خاصة.

وما زاد من رغبتنا في تناول هذا الموضوع، مجموعة أفكار وتساؤلات ظلت دوما تساور ذهني. فكيف نفسر الاحترام والتقدير للأولياء من قبل قسم عريض من سكان المغرب بالرغم من مرور قرون على وفاتهم؟ وما سر تداول الناس أخبار بركاتهم وكراماتهم دون غيرهم من فئات المجتمع؟. وكيف نفسر كذلك زيارة الناس لقبورهم وطلب بركاتهم، بالرغم من مرور قرون على وفاتهم؟ وما يستوقفنا أكثر كيف لأولياء ماتوا منذ قرون عدة وأضرحتهم تعد ضمن أكبر المزارات؟. وتجد اليوم ما يصحب زيارة الولي من طقوس مختلفة، وهنا نتوقف لنتساءل: ألا تستحق هذه الظاهرة الدراسة؟. يبدو أنها ليست بالظاهرة العادية، ولا يمكن تجاوزها وتغافلها، رغم هذا نجد البعض يعيب علينا التطرق إلى هذه القضايا، بحجة أنها إضاعة للوقت، ويدرجها ضمن الغيبيات واللامعقول المتناقضة مع روح العلم، ورغم ذلك لم يثنينا هذا عن تناول هذه الظاهرة، محاولين إخضاعها لمقاييس علمية مع الأخذ بعين الاعتبار المحيط العام بها، لعل ذلك يمكننا من فهم وتشخيص الظاهرة الولائية.

كما أن موضوع الولاية يكتسي أهمية بالغة لأنه يمثل المقدس، هذا الأخير له أهمية بالغة في ذهنيات المجتمعات الوسيطية، التي تعد ضمن المجتمعات التقليدية المتدينة التي تؤمن بالغيبيات والماورائيات. كما أن مسألة الولاية كانت مصدر جدل كبير بين النخب منذ القدم بين معارض ومناصر، وتثار هذه القضايا أكثر كلما ازداد نفوذ الأولياء في مجتمعاتهم، حتى أن البعض أخذ على عاتقه التشنيع بكل ماله علاقة

بالتصوف عامة، وبالولاية خاصة[1]. وهكذا وجدنا أنفسنا ندرس موضوعا بالغ الأهمية والحساسية في الوقت نفسه.

ورغم أهمية موضوع الولاية، إلا أن أهميتها تزداد أكثر من خلال دراسة علاقة الأولياء بالمجتمع سواء السلطة أو العامة، وهكذا نقف على مدى تفاعل هذه الأطراف مع بعضها، وهكذا يصبح بين أيدينا موضوع مركب تفرض طبيعته تقاطعا بين ميادين مختلفة فكرية ودينية وسياسية واقتصادية واجتماعية، ومع إبرازنا لدور كل طرف وعلاقته بالآخر، تتشكل لدينا ملامح ومعالم الذهنية المغاربية، في قالب تاريخ ديني اجتماعي مغاربي، تتأثر وتتطور عناصره بتفاعلها مع بعضها.

أما عن الإشكالية فقد جاء هذا الموضوع أصلاً استجابة لمجموعة من التساؤلات، من أهمها:

- هل ظاهرة الولائية كانت نتاج أفكار إسلامية أم أجنبية؟
- هل عاش الأولياء قضايا وهموم مجتمعاتهم، أم كانوا على العكس من ذلك منعزلين عنها؟
- ما هي سمات التطور الذي حصل للولاية؟
- هل كان تطور الظاهرة الولائية نتاج ردة فعل تُجاه بعض العوامل الظرفية، سياسية كانت أم اقتصادية أم فكرية؟

ما طبيعة العلاقة بين الأطراف المدروسة، هل كانت علاقة صراع وتنافر أم علاقة توافق تم التغلب فيها على عناصر التنافر لتحقيق مصالح وأهداف مشتركة؟

---

1 – ونشير هنا على سبيل الذكر لا الحصر، إلى موقف ابن تيمية وابن قيم الجوزية. ينظر : تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرالي: **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، جمع وترتيب : عبد الرحمان بن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمد، مج 11، د ط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1415هـ/1994م، **كتاب التصوف**. جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمان بن الجوزي البغدادي: **تلبيس إبليس**، ط 1، دار القلم، بيروت، 1403هـ/1983م. محمد بن عبد الرحمان العريفي: **موقف تيمية من الصوفية**، 3 أجزاء، ط 1، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، 1429هـ/2008م.

هذه التساؤلات والإشكاليات تساورت إلى ذهني منذ قراءاتي الأولية حول التصوف عامة وظاهرة الولاية خاصة، فنجد المستشرقين وبعضا من الباحثين المتأثرين بهم أو الناقلين لأفكارهم، يحاولون أن يلصقوا نشأة وأصول الظاهرة الولائية إلى كل المعتقدات والديانات غير الإسلام، فتارة يرجعونها إلى المعتقدات الوثنية البربرية التي سبقت الإسلام في المغرب[1]، وتارة أخرى إلى أفكار مسيحية[2]، وحتى اليهودية أيضا[3]، والغرض من هذا كله خدمة للسياسة الاستعمارية المتعالية على كل ما يرتبط بالإسلام.

وما أثار حفيظتنا كذلك في قراءاتنا الأولية، هو رد بعض الدراسات الازدهار والانتشار الواسع للتصوف عامة والولاية خاصة في المجتمع المغاربي خلال عصري المرابطين والموحدين وحتى بعدهم، إلى عوامل ظرفية سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، وكان على رأس هؤلاء المستشرقين، والذين سبق وأن ذكرناهم آنفا، لم يكن غرضهم البحث إنما خدمة أهداف خاصة بدراسة المجتمعات الوسيطية من خلال علم الاجتماع الاستعماري أو الدراسات الأنثروبولوجية الغربية بمدارسها المعهودة، غير أنه ما حز في أنفسنا أن نجد من أصحاب ودعاة هذا الرأي باحثين ومؤرخين نكن لهم كل الاحترام، ولا يشق لهم غبار في عدهم ضمن أهم وأعظم الكُتَّاب والمؤرخين المغاربة الذين كتبوا وأثروا المكتبة المغاربية بكتبهم، غير أنهم أرجعوا ظهور وتطور التصوف

1 – ونشير هنا على سبيل الذكر لا الحصر، رأي ألفرد بل : **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم**، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ص : 60–61.

2 – ونذكر هنا كذلك، على سبيل الذكر لا الحصر، رأي أسين بلاثيوس: **ابن عربي حياته ومذهبه**، ترجمه عن الإسبانية: عبد الرحمان بدوي، د ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965م، ص 145 وما بعدها.

3 – أدولف فور: **التصوف والمدرسة الزهدية المغربية القرن الحادي والثاني والثالث عشر ميلادي**، ترجمة: محمد العدلوني الإدريسي، ضمن كتاب **نظرات في التصوف المغربي**، ط 1، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1427هـ/2006م، ص 51.

والولاية بالمغرب كنتاج للأزمة التي يعانيها المجتمع المغاربي، ونقصد هنا كلا من: الباحث المغربي إبراهيم القادري بوتشيش[1]، الدكتورة التونسية نللي سلامة العامري[2].

كما وجدنا في بعض الدراسات التي تتحدث عن علاقة الولي والفقيه، أنها تمتاز بالعداء والقطيعة، وبرجوعنا إلى المصادر وجدنا من كان يحمل صفة الولي والفقيه في آن واحد، كابن حرزهم وغيره كثر، وهذا ما استوقفنا وأثار الكثير من التساؤلات عندنا، فإن كان أحد أقطاب الولاية فقيها فهل هذا يستلزم حقا العداوة بين هاتين الفئتين؟. وبعد غوصنا في الموضوع وجدنا أن العلاقة بين هاتين الفئتين كانت متأرجحة بين العداء والود، وهذا ما أدى بنا إلى مراجعة تامة لعلاقة الولي وبين كافة عناصر المجتمع من السلطة والعامة، وعلى الرغم من طبيعة موضوعنا الفكرية، إلا أننا حرصنا على ألا تطغى طبيعة هذه المناقشات على بحثنا، لأنها ما هي إلا إحدى عوامل ومظاهر العلاقات بين عناصر المجتمع، وليست هي العلاقة نفسها التي جمعت هذه العناصر.

أما عن الدراسات السابقة فلم يسبق لهذا الموضوع أن دُرس بالصيغة المقترحة في هذا البحث، لكن بحوثا عدة قد تقاطعت مع بعض جوانبه ولامست بعضا من قضاياه، وإن كان من غير الممكن تقديم حصيلة لما أنجز في هذه المجالات كلها، فيكفي الإشارة إلى بعضها، ففيما يتعلق بالمجتمع نذكر أبرزها: فقد ألف المغربي إبراهيم القادري بوتشيش كتابين ذَوَا أهمية بالغة في عملنا هذا، الأول كتاب **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**[3]، الذي درس فيه المؤلف

1 – ينظر: إبراهيم القادري بوتشيش : **المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع –الذهنيات– الأولياء**، ط 1، دار الطلعية، بيروت، 1993م، ص 125 وما بعدها.

2 – عنونت نللي سلامة العامري الفصل الثاني من الباب الأول لكتابها الولاية والمجتمع بعنوان: مجتمع في أزمة؟ وبنت عليه دراساتها هذه وكل متعلق بالولاية. ينظر: نللي سلامة العامري : **الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لإفريقية في العهد الحفصي**، ط 2، دار الفارابي، بيروت، 2006م.

3– إبراهيم القادري بوتشيش: **مباحث التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، ط 1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1998م.

الكثير من الجوانب والمظاهر التي كانت سائدة في المجتمع المرابطي، أما الكتاب الثاني وعنوانه: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع . الذهنيات . الأولياء**[1]، فكان أيضا جد مفيد خاصة أنه يجمع بين شقي دراستنا الأولياء والمجتمع والعلاقة بينهما، كما أنه قربنا أكثر من ذهنيات المغاربة في تلك الحقبة، وعلى العموم أغلب دراسات بوتشيش لم تخرج عن إطار الكشف عن المسكوت عنه بجرأة الباحث الجاد.

ومن البحوث الجادة للمغاربة كذلك نذكر **التصوف المغربي في القرن السادس الهجري** لعبد الجليل لخمنات[2]، وهي رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط ، وقد استفدنا من هذه الأخيرة في أغلب أقسام البحث، وكما نشير كذلك إلى أطروحة **العلماء والصلحاء والسلطة بالمغرب والأندلس** للدكتور محمد المغراوي[3]، والتي كانت متقاطعة مع موضوعنا في العديد من القضايا وأهمها علاقة الأولياء والفقهاء وكذلك السلطة، كما تناولت علاقة المتصوفة بالعامة.

أما عن أهم الدارسين في مجال الولاية فكانت على رأسهم الباحثة المتميزة نللي سلامة العامري، مؤلفة كتابي **الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لافريقية في العهد الحفصي**[4]، و**التصوف بإفريقية في العصر الوسيط من**

1- إبراهيم القادري بوتشيش: **المغرب والأندلس.**

2- عبد الجليل لخمنات: **التصوف المغربي في القرن السادس الهجري – مقدمة لدراسة تاريخ التصوف بالمغرب–**، إشراف: محمد زنير، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، الرباط، السنة الجامعية: 1989–1990م.

3- محمد المغراوي: **العلماء والصلحاء والسلطة بالمغرب والأندلس في عصر الموحدين**، إشراف الأستاذين: عز الدين عمر موسى وأحمد توفيق، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة محمد الخامس أكدال، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية: 1422–1423هـ/2001–2002م.

4- نللي سلامة العامري: **الولاية والمجتمع.**

القرن 3 هـ/9 م إلى نهاية القرن 9 هـ/15 م[1]، وهذان الكتابان هما نسخة منقحة عن أطروحة دكتوراه في التاريخ الموسومة بـ**التصوف في إفريقية في العهد الحفصي (من القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي إلى نهاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي)**، ناقشتها المؤلفة في أفريل 1996م، بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة تونس الأولى، ورغم اختلاف مجالها الزماني مع بحثنا، كما أنها اقتصرت على مجال افريقية، أي أنها غطت كل تونس وليبيا والشرق الجزائري حاليا، إلا أن كتابي هذه الباحثة ساعدانا كثيرا في عملنا، خاصة أنها اهتمت بالظاهرة الولائية وعملية البناء النظري والجوانب الروحية والمسارية، كما أنها اهتمت بالتأصيل والجذور التاريخية للظاهرة التي تقاطعت مع مجال بحثنا سواء الزماني أو المكاني.

كما استفدنا من أطروحة دكتوراه بعنوان **ظاهرة الأولياء والصالحين بافريقية من القرن الثاني للهجرة/الثامن ميلادي إلى مطلع القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي** لـمحمد سعيد[2]، والتي اطلعنا على الجزء الأول منها فقط، لأن الجزء الثاني لا يوجد بمكتبة كلية 9 أفريل بتونس، ورغم محاولاتنا العديدة للاتصال بمؤلفها وكذلك الأستاذة المشرفة عليها وهي الباحثة التونسية منيرة شابوطو، إلا أنه لم يسعفنا الحظ بلقائهما رغم محاولتنا الكثيرة، وبهذا اكتفينا بالجزء الأول من هذه الأطروحة، رغم حاجتنا للقسم الثاني الذي نعتبره أهم بكثير من القسم الذي بين أيدينا، وقد استفدنا من الجزء الأول وخاصة في جذور الظاهرة الولائية وتأصيل الولاية، حيث أن صاحب

1- نللي سلامة العامري: **التصوف بإفريقية في العصر الوسيط من القرن 3هـ/9م إلى نهاية القرن 9هـ/15م**، ط 1، دار كونتراست للنشر، سوسة، 2009م.

2- محمد سعيد: **ظاهرة الأولياء والصالحين بإفريقية من القرن الثاني للهجرة/الثامن ميلادي إلى مطلع القرن السابع للهجرة / الثالث عشر ميلادي**، أطروحة شهادة دكتوراه، إشراف: منيرة شابوطو رمادي، مج 1، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، السنة الجامعية: 1999-2000م.

الرسالة قسم هذا الجزء إلى خمسة أبواب، الباب الأول كان حول التأصيل، وباقي الأبواب هي عبارة عن تراجم للأولياء قسمهم حسب فترات زمنية معينة.

وكما استفدنا من الدراسات الجادة التي قام بها أستاذنا المشرف محمد الأمين بلغيث، وعلى رأس هذه الدراسات التي تقاطعت مع بحثنا في أغلب قضاياه، كتابه **الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين (دراسة تاريخية حضارية)** [1] الذي يعد أول كتبه تأليفا، وهو في الأصل رسالة ماجستير منقحة، نوقشت بمعهد التاريخ جامعة الجزائر، يوم 30 ديسمبر 1987م، نال بها المؤلف درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي بتقدير مشرف جدا، وهذه الرسالة كانت موجهه لي في عملي بداية من خطة البحث، حيث أنه بسببها قررت عدم التطرق للمؤسسات الولائية في فصل مستقل أو حتى كعناصر، فبعد أن اطلعت على هذه الرسالة والحق يقال لم يترك صاحبها شاردة ولا واردة حول الربط، ولم يكتف بذلك بل حتى ما تبادر لذهني في بعض القضايا تخص المؤسسات الولائية الأخرى كالمساجد وغيرها، وجدت صاحب هذا الكتاب ناقشها ومحصها وفصل في بعض قضاياها، وبهذا ارتأيت أن لا أخوض في المؤسسات الولائية لأن ما سأكتبه حولها سيكون تكرارًا لعمل صاحب كتاب الربط، كما استفدت من هذا الكتاب خاصة في أدوار الأولياء سواءً اتجاه العامة والسلطة، كما أن صاحب الكتاب خص بعض الأقطاب كأبي مدين شعيب وأبي العباس السبتي بذكر أدوارهم خاصة الثقافية وهذا في صميم بحثنا.

أما الكتاب الثاني للباحث الجزائري محمد الأمين بلغيث وهو **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين (479-539هـ/1085-1144م)**[2]، وهذا العمل في

1 - محمد الأمين بلغيث: **الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين**، ط 1، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

2- محمد الأمين بلغيث: **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين (479هـ/539هـ/1085-1144م)**، ط 1، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

الأصل هو أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي الوسيط تخصص تاريخ المغرب والأندلس، نوقشت بجامعة الجزائر يوم الخميس 15 من شهر ماي عام 2003م، وهذه الأطروحة رغم توسع مجالها الجغرافي على مجال بحثنا، إلا أننا نجدها من أهم الدراسات الأكاديمية التي تناولت المرابطين بموضوعية، فحاول صاحبها دائما مقارنة النصوص وتمحيص الروايات للخروج بحقائق تاريخية بعيدة عن المعاداة للمرابطين أو التشيع لهم، واستفدنا من هذا الكتاب خاصة في آخر فصله الثالث الذي ختمه بدراسة تاريخية عن مشاركة المرأة المرابطية في الحياة الأدبية والعلمية، وأيضا فصله الرابع الذي تطرق فيه للتصوف وبعض القضايا الفلسفية والفكرية خاصة إحراق الأحياء والأشعرية، وهكذا كانت استفادتنا كبيرة من مؤلفي أستاذنا المشرف.

أما عن خطة البحث فقد قسمت الأطروحة إلى مقدمة، وخمس فصول، وخاتمة، وملاحق، ففي **المقدمة** التي استهللنا بها الموضوع استعرضنا فيها أهمية الموضوع وإشكالاته، وبعدها عرضنا بعض أهم الدراسات السابقة الأكاديمية والمؤلفات الأخرى التي تناولت موضوع دراستنا، ثم الخطة والمنهج الذي اتبعناه، والصعوبات التي اعترضتنا، واتبعت ذلك بدراسة تحليلية لأهم المصادر والمراجع.

أما **الفصل الأول:** فتعرضت فيه إلى المجتمعين المرابطي والموحدي وأهم مميزاته وانشغالاته، فبدأنا بالمجتمع المرابطي وأول النقاط التي تناولناها المجتمع تحت هيمنة صنهاجة الجنوب، وتطرقنا فيها إلى أصول صنهاجة، وأهم بطونها من جدالة، ولمتونه، ومسوفة، ولمطة. كما ركزنا على علاقة صنهاجة والمصامدة الذين يمثلون عصبية الدولة الموحدية، وقد اتسمت علاقتهما بين التقرب والسيطرة. لننتقل بعدها إلى الأمراء من حركة دينية إلى ملك سياسي، فتتبعنا السلوك الشخصي للأمراء من المصادر، ثم تطرقنا إلى الحكم عند هؤلاء الأمراء. كما خصصنا عنصرا للتصنيف والتفاوت الطبقي داخل المجتمع المرابطي والذي عنوناه بمجتمع بين الطبقة الحاكمة

والرعية. وآخر عنصر في هذا الفصل كان مجتمع بين فقهاء الفروع وعلم الكلام، وفيه تطرقنا إلى أهم عناصر المجتمع الفقهاء وخاصة أن الكثير من يعتبر دولة المرابطين كانت دولة ديكتاتورية الفقهاء رغم تحفظنا على هذا الرأي. كما تناولنا قضية مهمة جداً وهي علم الكلام وخاصة الأشعرية وموقف المرابطين منها، كما تطرقنا فيه إلى أهم حدث على المستوى الثقافي في الدولة المرابطية وهو إحراق الإحياء، وحاولنا إبراز الدافع الحقيقي لهذه الحادثة.

أما الشق الثاني للفصل الأول الذي خصصته للمجتمع الموحدي، حاولت فيه التركيز على مجموعة من القضايا المهمة على المستوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، فأول قضية كانت عصبية الدولة تحت عنوان " المجتمع تحت سلطة المصامدة "، الذي درسنا فيه أصول المصامدة وأهم فروعها التي اعتمد الموحدون عليها في قيادة المجتمع كهرغة، وتينملل، وهنتاتة، وكدميوة، وجنيفسة، ووريكة، وهسكورة، وكومية، هذه الأخيرة على الرغم أنها ليست من المصامدة إلا أننا أدرجناها ضمن عصبية الدولة لأنها كانت قبيلة الخلفاء. وبعدها تعرضنا الخلفاء من حركة دينية إلى ملك سياسي، فتناولنا فيه السلوك الشخصي للخلفاء من خلال المصادر، ثم طبيعة الحكم لديهم. ثم تطرقنا إلى التصنيف والتفاوت الطبقي داخل المجتمع الموحدي، وعلاقة هذه الطبقات ببعضها وسياسة الخلفاء اتجاه كل طبقة، تحت عنصر مجتمع بين طبقية الحاكمة والرعية، وفي آخر هذا الفصل تطرقنا إلى قضية فكرية ثقافية كانت محل جدل بين الدارسين القدامى والمحدثين، والتي عنوناها بمجتمع بين الفروع والأشعرية، ومن خلال العنوان يتضح أن القضية تتعلق بنظرة الموحدين سواء الخلفاء أو النخبة وحتى العامة اتجاه علم الفروع ومذهب مالك والأشعرية كذلك.

أما **الفصل الثاني** الذي خضناه لتأصيل الولاية وتطورها، فعرفنا فيه بالولاية لغة ثم اصطلاحا، ثم قدمنا نصوص الولاية من القرآن الكريم ثم من الأحاديث القدسية والنبوية. ثم قدمنا عرضا لتعريف الولاية عند أعلام الصوفية واعتمدنا فيهم الترتيب الكرونولوجي حسب تاريخ الوفاة، محاولين خلالها تتبع تطور مصطلح الولاية، فبدأنا بالحكيم الترمذي، ثم الطوسي، والكلاباذي، وبعده المكي، ثم السلمي، وأبو نعيم الأصفهاني، وفي الأخير القشيري (ت 456هـ/ 1072هـ)، وكل هاته التعريفات كانت قبل فترة دراستنا إلى بدايتها. بعدها ذكرنا طبقات الأولياء ومراتبهم مع شرح كل منها، ومحاولة إبراز بعض النماذج الولائية المغاربية من كل طبقة، وأول هذه الطبقات القطب (الغوث)، ثم الأئمة، وبعدها الأوتاد، ثم الأبدال، والنقباء، ثم النجباء. لننتقل بعدها إلى الولاية والولي بين الاستشراق وكتب المناقب والتراجم. فتحدثنا فيها عن نشأة الولاية من خلال المستشرقين، وفي الأخير تطرقنا إلى الولاية والولي في كتب المناقب والتراجم.

وقد شمل **الفصل الثالث:** أفكار وتركيبة الأولياء، فناقشنا فيه التأثير المشرقي والأندلسي على الفكر الولائي بالمغرب، وركزنا فيه على انتقال حركة الرجال بين هذه الأقاليم، وحركة الأفكار والكتب كذلك. وهكذا غطينا جانب مهم من الثقافة والمثاقفة بين الأقاليم الثلاثة الإسلامية المغرب والمشرق والأندلس. وبعدها حاولنا تتبع خريطة الولي بالمغرب من خلال انتشار الأولياء في المغرب الإسلامي وحياتهم، فتطرقنا أولاً إلى أصول الأولياء الإثنية، بدأنا بالبربر (الأمازيغ) سواء بتر وبرانس، ثم أولياء ذوي أصول عربية، ثم الأولياء ذوي البشرة السوداء، ثم انتقلنا إلى تصنيف آخر للأولياء حسب طبقتهم الاجتماعية، وهم أولياء الطبقة العلماء، ثم الوسطى، وفي الأخير الدنيا. ولم نكتف بهذا بل حاولنا أن نغوص في الحياة اليومية للأولياء المغاربة، فبدأنا بمهنهم وصنفناهم حسب النشاط: زراعة ورعي ثم الحرفيين والصناع والتجار، وبعدها تناولنا

طعام الأولياء حسب الأصناف إذ حاولنا أن نلامس الكمية والقدر الذي يقتاته الأولياء، وكذلك لباس الأولياء فبيننا أنواع الألبسة وركزنا أكثر على الخرقة التي تعد رمز الولاية، كما حاولنا من النصوص أن نعطي صورة حية عن مساكن الأولياء وأثاث منازلهم، وبعدها غصنا في حياتهم الأسرية والزوجية ونظرتهم إلى الزواج وحاجات زوجاتهم، وفي الأخير تطرقنا إلى وفاتهم وقبورهم، وذكرنا فيها الأيام التي يفضلها الولي أن تقبض روحه فيها، ووصفنا جنائزهم والجموع التي تحضرها، أما قبورهم التي أصبحت فيما بعد أغلبها مزارات، فقد ذكرنا أشهرها.

وقد أفردت **الفصل الرابع** لعلاقة الأولياء بالسلطة، فبدأنا بالولي والسلطان (احتواء وحذر)، إذ تحدثنا عن احتواء السلطان للولي، ثم تطرقت إلى الانقباض عن السلطان، ثم تناولت رفض الأولياء للمناصب والخطط، وبعدها أبرزنا بعد الأولياء عن أموال السلاطين، وكل هذه العناصر الأربعة التي تكرس علاقة الولي بالسلطان يشوبها الاحتواء من قبل السلطان، والحذر من قبل الولي، وحاولنا إبراز نماذج ولائية من خلال النصوص المصدرية مع التحليل ومناقشة هذه المواقف. كما كانت العلاقة بين الولي والسلطان كذلك علاقة صدام وإشخاص، وجسدناها في ثلاثة عناصر وهي: الاختلاف والصدام الفكري بين الولي والسلطان، ثم الولي والسلطان بين التوتر والإشخاص، وأخيراً ثورة الولي ضد السلطان، وفي هذه العناصر الأخيرة ركزنا على النماذج الولاية التي تجسد علاقة الصدام والإشخاص والثورة، وما تجدر إليه الملاحظة هنا من النماذج الولائية من يجسد العلاقتين معًا فكان موقفهم حذراً من السلطان، وفي نصوص أخرى تصادموا معه.

أما **الفصل الخامس** والأخير الذي كان عنوانه الأولياء والعامة، فحاولنا فيه إعطاء صورة واضحة عن علاقة الولي بمجتمعه، مقابل إبراز كيفية نظرة المجتمع إلى وليه، فبدأنا بالدور الديني والأخلاقي، من ترسيخ الإسلام والتربية الدينية، ثم تدعيم

الأخلاق الكريمة ومحاربة الفساد، لننتقل إلى الولي بين القدوة والمقدس. ثم المرور إلى أهم أدوار الولي وأبرزها حسب رأينا تجاه مجتمعه، وهو التكافل الاجتماعي، ولخصناه في أربعة عناصر هي: الطعام، والسقايا، والمرض والتطبيب، وقضاء الحوائج وإصلاح ذات البين، وحرصنا في هذا الفصل كسابقه، على الابتعاد عن الجانب النظري، ونقلنا نماذج ولائية تكرس هذه الأدوار مع مناقشة ومقارنة لمواقفهم.

وأخيراً أنهيت هذا الموضوع **بخاتمة** ضمنتها بعض نتائج هذا البحث، هذا بالنسبة لطرح الموضوع وخطته، ثم أنهيت هذه الأطروحة بعشر ملاحق مساعدة وأربع خرائط توضيحية، أما عن الملاحق فتنوعت حيث أن الملحقين الأولين يأتيان في شكل أرجوزتين شعريتين تناولتا سندين مدينيين مختلفين، وكذلك الشأن عند الملحقين الثالث والرابع فهما مخططان لسندين مختلفين لسيدي بومدين شعيب، أما الملحق الخامس هو عبارة عن جدول توضيحي لأمراء المرابطين وفترة حكمهم، وكذلك الملحق السادس فهو أيضا جدول لخفاء الموحدين وفترة حكمهم، أما الملحق السابع فهو جدول لأولياء البربر ذوي أصول بترية من خلال كتاب التشوف، وعددهم ستة وأربعون وليا، ليأتي أيضا الملحق الثامن الذي هو عبارة عن جدول لاثنين وثلاثين ولياً من ذوي أصول برنسية من خلال التشوف، ثم الملحق التاسع هو كذلك جدول لأحد عشر ولياً من ذوي أصول عربية من خلال التشوف، وأما الملحق العاشر والأخير فهو لاثنين وعشرين وليا من ذوي البشرة السوداء من خلال كتاب التشوف.

أما عن الخرائط الأربع، فالأولى عبارة عن خريطة لحدود الدولة المرابطية، وكذلك الخريطة الثانية فهي تغطي لنا كذلك حدود الدولة الموحدية، أما الخريطة الثالثة كانت لأهم المدن التي نشط فيها المتصوفة في عصري المرابطين والموحدين، لتأتي الأخيرة والتي هي خريطة لأهم الربط في الغرب الاسلامي في عصري المرابطين والموحدين. ثم ألحقنا عملنا هذا بمجموعة من الفهارس.

أما المنهج المتبع في هذه الأطروحة، فهو المنهج النقدي الذي لا يغفل التحقيق والتدقيق، وقد كثفت من الاستشهاد بالنصوص سواء في المتن أو الهوامش من أجل تدعيم عرضنا واستنتاجاتنا، كما ركزنا على استبقاء المادة من المصادر، وهذا حرصاً على الأمانة العلمية، وكما عملنا في الكثير من الأحيان بتتبع المصادر التاريخية بالسؤال لكشف جوانب من المسكوت عنه، كما قمنا بربط الأخبار التاريخية وتفسير بعضها ببعض خاصة التي بينها تناقض ظاهري دون ترجيح أحدها على الآخر أو نفيه، لأن تركيبة الأخبار التاريخية كتركيبة الشهادات لا تكون بالضرورة على نسق واحد، كما تتوزع فيها الحقيقة بنسب متفاوتة. وقد حرصنا على التشبث بالحدث وعدم الانسياق وراء المناقشات الفكرية، إلا في حدود ما يخدم موضوعنا، وهذا مراعاة لطبيعة بحثنا التاريخية رغم ارتباطه بعالم الأفكار. كما أننا لم نركز على دراسة الولاية كتجربة روحية أو كبعد فلسفي، وإنما كان تركيزنا على حركية الظاهرة التاريخية سواء كانت فكرية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو حتى تنظيمية، وهذا ما ساعدنا على تحديد مظاهر تطور الظاهرة وتداخلها مع باقي مكونات المجتمع، وتحديد خارطة انتشارها، غير أنه كان من الضروري لفهم ذلك الخوض في بعض الخصوصيات الفكرية والروحية للولاية، لفهم آراء الأولياء ومواقفهم من قضايا عصرهم المرابطي والموحدي، وتشخيص وتحليل أدوارهم السياسية والاجتماعية والإنسانية وغيرها داخل مجتمعهم.

أما عن الصعوبات التي واجهتني أثناء إعداد هذه الأطروحة فهي كثيرة، أذكر منها:

- تشعب موضوع الأطروحة، بحيث أن كل فصل بإمكانه أن يكون موضوع بحث آخر.

- صعوبة الفصل بين الزاهد والمتصوف والولي، وهذا ما أثنانا عن القيام بدراسة إحصائية دقيقة لأولياء المغرب.
- مع تعمقنا في البحث وجدنا أنفسنا أحيانا في حالة من العجز أمام مسائل وقضايا عقدية وكلامية، وخاصة أننا لم نكن مسلحين على أكمل وجه للخوض في مثل هذه القضايا.وجدنا صعوبة في الفترة المرابطية، وخاصة أن موضوع دراستنا يتناول الحقبتين المرابطية والموحدية، فيما وجدنا وفرة في المصادر التاريخية الموحدية سواءً تلك التي كتبت في عهدها أو بعدها، بينما المصادر التاريخية التي تعود للفترة المرابطية تكاد تكون مفقودة، فتعاملنا مع المصادر التي تعود إلى فترات أخرى، وفي هذه الحالة الأكيد تأثرت هاته المؤلفات بالأزمنة التي ألفت فيها، وما زاد الطينة بلة أن الكثير من المصادر كتبت في زمن أعداء المرابطين وهم الموحدون، وهكذا يظهر عداءها جليا للمرابطين وعصرهم وكل ما تعلق بهم، وهذه المصادر الموحدية نقل عنها المتأخرون فتأثروا بها، ووجدنا أنفسنا أمام مادة مصدرية ملغمة، حاولنا فيها قدر المستطاع توخي الحذر وعدم الانسياق وراء عدائها للدولة المرابطية.
- أما أهم صعوبة وجدناها في هذا العمل، فهي تتعلق بالموضوع، حيث يعد التصوف من أصعب المواضيع التي تخاض، غير أن الظاهرة الولائية أصعب بكثير، وهذا نظراً لأن حتى من تحدثوا عنها من الأولين كانوا كثيري الحذر، خوفا من رميهم بالزندقة، رغم هذا إلا أن مصير أغلبهم كان القتل بتهمة الزندقة. كما أن الظاهرة الولائية لا يمكن فهمها في إطار تاريخي طبيعي لكونها حالة خاصة غير منتظمة في الإطار الطبيعي أو الفكر الجماعي للواقع والأحداث، ولا يمكن ملامستها وفك رموزها في غالب الأحيان إلا من قبل ولي عارف أو مريد سالك متدرج أو من خلال منهج تأويلي خاص.

وسيظل هذا العمل مدينا بالكثير لأستاذي المشرف الدكتور محمد الأمين بلغيث حفظه الله، على ما أحاطني به من عناية، وما أَسْدى به إليّ من توجيه علمي ومنهجي، وما قدمه لي من دعم متواصل ذلّل لي الكثير من الصعاب، فإليه أتوجه بخالص الشكر وجميل الثناء.

كما أدين بالشكر الجزيل أيضا لكل الباحثين والمهتمين بمجال التصوف والولاية الذين التقيتهم سواء بالجزائر أو تونس أو المغرب الأقصى، فلم يبخلوا علي بالتوجيه والنصيحة وتقديم كتب ووثائق مهمة لدراستي، كما فتحوا أمامي مكتباتهم الخاصة وهيئوا لي الفرصة للاستفادة من ذخائرها، وأخص بالذكر هنا الباحث المغربي المتميز الدكتور محمد ياسر الهلالي الذي أسدى إلي معروفًا لن أنساه ما حييت.

وفي الأخير لا يفوتني أن أشكر كل القائمين على خزائن المخطوطات والمكتبات العامة والخاصة التي ترددت عليها بالجزائر وتونس والمغرب الأقصى.

دراسة تحليلية للمصادر والمراجع

إن المتتبع للمصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في انجاز هذا البحث يجدها متنوعة بحكم تنوع قضاياه وتعدد إشكالاته، من كتب المناقب وكتب التصوف والتعريفات الصوفية والمصادر التاريخية وكتب التراجم والفهارس وكتب النوازل والكتب الجغرافية والأعمال الجامعية، وقد وفر لنا هذا التنوع مادة تفاوتت أهميتها ودقتها، لكنها كملت بعضها، كما أتاحت لنا فرصة للمقارنة بين خطاباتها التي لم تهدف إلى إيصال نفس المضمون، وأهم هذه المصادر والكتب والوثائق نذكر:

1. كتب المناقب:

رغم تركيز كتب المناقب على مثالية الولي، واهتمامها بالكرامات وتجليات المجاهدة الروحية في المجال الأخلاقي وغيره، إلا أنها تقدم بين ثناياها وقائع وحقائق تفيد في تتبع مراحل تطور الظاهرة الولائية، وتوضح دور الولي في مجتمعه، وتغطي جوانب أخرى كثيرة تتعلق بهذا الأخير، فنجد مثلًا:

كتاب **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**[1] لابن الزيات التادلي (ت 627 أو 628هـ/1229 أو 1230م)، تأكد من خلال ما ذكره في كتابه أنه صوفي أو على الأقل متصل بتيار التصوف، مؤمن بكرامات الأولياء، وقد ترجم في كتابه لمائتين وسبعة وسبعين صوفيا، وأضاف إليها في الأخير ترجمة مطولة للولي أبي العباس السبتي، كما صدّر كتابه بمدخل به سبعة أبواب: في صفة الأولياء، وحفظ قلوبهم وترك النكير عليهم، وفي محبتهم، وفي زياراتهم و مجالسهم ..... وفي إثبات أصولهم، وفي إثبات كراماتهم.

1- أبو يعقوب يوسف بن يحي بن الزيات التادلي: **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق: أحمد التوفيق، ط 3، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2010م.

وأغلب تراجم هذا الكتاب خصصت لصلحاء مراكش وجنوب المغرب الأقصى، وتكمن أهميته في اعتماده على روايات موثوقة، كما أنه ينفرد بأخبار لا نجدها في غيره من المصادر، وتزداد أهميته أكثر في بحثنا لأنه معاصر له، وعاش الفترتين المرابطية والموحدية، وهكذا أرخ لعصر عاشه، وعرف هذا العصر بالتألق في مجال الصلاح، ويعد هذا الكتاب عمدة بحثنا، إذ استفدنا منه في أغلب قضاياه، وخاصة في فهم تطور الظاهرة الولائية، وأصول الأولياء الإثنية وعلاقتهم بالمجتمع.

أما كتاب **المستفاد في مناقب العباد بمدينه فاس وما يليها من البلاد** لأبي عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي[1] (ت 603 أو 604هـ/1206 أو 1207م)، فقد أرخ الكتاب لصلحاء وأولياء فاس ونواحيها، أما صاحب الكتاب فهو فاسي الأصل والمنشأ رحل اتجاه المشرق، ويعد من رجال الحديث والتصوف، وله عدة تآليف في ذلك، وذكر له ابن عبد الملك حوالي أربعة عشر مؤلفا، غير أنه أعاب عليه قلة ضبطه[2]، وشأن صاحب المستفاد كشأن صاحب التشوف فهو عاش فترة بحثنا، ويحتوي هذا المؤلف على إحدى وثمانين ترجمة في الصلاح والأولياء، منهم من بلغت شهرته الآفاق كأبي مدين وأبي يعزى يلنور، ومنهم من انفرد هو بالترجمة لهم ولم يعرفوا عند أحد غيره، وقد استفدنا منه في الكثير من عناصر بحثنا، خاصة في الحياة اليومية للأولياء وعلاقتهم بالمجتمع.

من كتب المناقب الفردية استفدنا من كتاب **دعامة اليقين في زعامة المتقين** لأبي العباس أحمد بن محمد العزفي اللّخمي[3] (ت 633هـ/1236م)، ألفه في مناقب

1- أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي: **المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد**، تحقيق: محمد الشريف، ط 1، مطبعة طوب بريس، الرباط، 2002م.

2- أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري الأوسي بن عبد الملك المراكشي: **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق: محمد بن شريفة، س 8، ط 1، مطبوعات المملكة المغربية، الرباط، 1984م، ص 352- 356.

3- أبو العباس أحمد بن محمد العزفي اللخمي: **دعامة اليقين في زعامة المتقين (مناقب الشيخ أبو يعزى)**، تحقيق: أحمد التوفيق، ط 1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1989م.

القطب أبي يعزى يلنور الهزميري (ت 572هـ/1176م)، ويبدو أن العزفي اتبع منهج المحدثين ومصطلحاتهم باستعماله لقواعد الإسناد والتحري في تطبيقها، ما زاد قيمة لكتابه في الجانب التوثيقي، وأهم ما استفدنا من هذا الكتاب، هو ضمه لأبناء الخليفة يوسف بن عبد المؤمن إلى المتصوفة، كما انفرد بإشارات مهمة لبحثنا في بعض الأمراء الموحدين، كما استفدنا منه أيضا في علاقة الأولياء خاصة بالسلطة وحتى العامة، ولا ننسى كذلك أنه غطَّى لنا جانبًا مهمًا في تأصيل أخبار أحد أهم أولياء المغرب وهو القطب أبو يعزى.

وبخصوص المصادر اللاحقة للعصر المرابطي الموحدي، فهي كثيرة وتتفاوت أهميتها حسب ما تقدمه من معلومات عن أولياء فترة دراستنا، ومن أهمها: **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف** لأبي محمد عبد الحق بن إسماعيل الباديسي[1] (ت بعد 722هـ/1322م)، حاول صاحب الكتاب التأريخ لصلحاء وأولياء الريف أي الشمال المغربي، من زمن أبي مدين شعيب إلى العصر الذي عاش فيه المؤلف، وقد جعل كتابه كامتداد للتشوف حين أرخ الباديسي للشمال المغربي في مقابل التشوف الذي أرخ للجنوب، وقال صاحب المقصد الشريف في ذلك: « ثم ان الأديب المتفنن يوسف ابن الزيات، أتى في كتابه الموسوم بـ " التشوف إلى رجال التصوف" بآيات لكنه غفل فيما أثره من الحسن والإحسان عن الريف الكائن بين سبتة وتلمسان فرأيت تتميم صلته»[2]، وتأتي استفادتنا منه كذلك كتتمة للتشوف فأفادنا بأخبار أولياء الريف وأفادنا كذلك في أخبار ابن سبعين بسبتة وعلاقته بواليها الموحدي ابن خلاص.

---

1 – أبو محمد عبد الحق بن إسماعيل البادِسي: **المقصد الشريف والمنزع اللّطيف في التعريف بصلحاء الريف**، تحقيق: سعيد أعراب، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1414هـ/1993م.

2 – الباديسي: **المقصد الشريف**، ص 7.

وكذلك كتاب **المغزى في مناقب أبي يعزى** لأحمد بن أبي القاسم الصومعي التادلي[1] (ت 1013هـ/1604م)، رغم تأخر المؤلف نوعًا ما عن فترة دراستنا، إلا أنه يأخذ أهمية من خلال عنوانه الذي يدل على تخصيصه لترجمة أحد أهم أولياء فترتنا وهو الولي أبو يعزى، وذكر مناقبه وكراماته، إلا أن هذا الكتاب حمل الكثير من تراجم ومناقب أولياء آخرون من المغرب وحتى المشرق، واستفدت منه خاصة في دور أبي يعزى في إطعام الطعام والاستسقاء.

وهناك من المصادر المنقبية الأخرى التي يضيق المجال بذكرها والتفصيل فيها، إلا أننا رأينا سرد بعضها، ولو بعجالة ككتاب **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد الصالح** لأبي العباس أحمد بن إبراهيم الماجري[2]، خصصه لمناقب جده الولي أبي محمد صالح الماجري (ت 631هـ/1234م)، واستفدنا منه خاصة في دور الولي أبي محمد صالح في صدقه، والجانب الأهم في تنظيمه للحج وما سمي بـ "الركب الصالحي" وكذلك كتاب **أنس الفقير وعز الحقير** لأبي العباس أحمد بن الخطيب المشهور بابن قنفد القسنطيني[3] (ت 810هـ/1407-1408م)، خصص كتابه لمناقب الغوث أبي مدين شعيب (ت 594هـ/1198م).

ومن المصادر التي غطت مناقب الأولياء حسب المدن والأقاليم الجغرافية نذكر كتاب: **البستان في ذكرى الأولياء والعلماء بتلمسان** لأبي عبد الله محمد بن محمد بن

1 – أحمد بن أبي القاسم الصومعي التادلي: **المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، تحقيق: علي الجاوي، ط 1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1996م.

2 – أبو العباس أحمد بن إبراهيم الماجري: **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، تحقيق: محمد الرايس، د ط، د م ن، د ت.

3 – أبو العباس أحمد الخطيب بن قنفذ القسنطيني: **أنس الفقير وعز الحقير**، اعتنى بنشره وتصحيحه: محمد الفاسي وأدولف فور، مطبعة أكدال، الرباط، 1965م.

أحمد ابن مريم المديوني التلمساني[1] حول أولياء تلمسان، وكذلك **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس** لأبي عبد الله محمد بن عيشون الشراط[2] خصص لصلحاء فاس، وكذلك كتاب **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن قبر من العلماء والصلحاء بفاس** لأبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني[3] تكلمت فصوله عن علماء وأولياء فاس.

2. كتب التصوف والتعريفات الصوفية:

لقد استفدنا من أبرز المصادر التي اهتمت بالتصوف، وكان أغلبها إمَّا مشرقية أو أندلسية، وقد اهتمت هذه المصادر بتاريخ الظاهرة الولائية ومراحل تطورها وأهم خصائصها، وركزت كذلك على المفاهيم والمصطلحات وكل ما يهم الجوانب النظرية، ومن أهم هذه المصادر نذكر:

كتاب ختم الأولياء لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسين الحكيم الترمذي[4] (ت 285هـ/898م)، وهو من مصنفي خراسان وهو أول من كتب في الولاية على حد علمي، وكتاب **اللُّمَعْ** لأبي النصر سراج الطوسي[5] (ت 378هـ/988م)، والمسمى بطاووس الفقراء وهو من طوس، وأيضا كتاب **التعرف لمذهب أهل التصوف** لأبي بكر

---

1 – أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن مريم المديوني التلمساني: **البستان في ذكرى الأولياء والعلماء بتلمسان**، وقف على طبعه واعتنى بمراجعة أصله: محمد ابن أبي شنب، ط 1، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1226هـ/1908م.

2 – أبو عبد الله محمد بن عيشون الشراط: **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، تحقيق: زهراء النظام، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997م.

3– أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني: **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن قبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، ط 1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1425هـ/2004م.

4– ، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين الحكيم الترمذي: **كتاب ختم الأولياء**، تحقيق: عثمان إسماعيل يحي، ط 1، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1965م.

5– أبو النصر السراج الطوسي: **اللُّمَعْ**، حققه وقدم له وخرج أحاديثه: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، ط 1، دار الكتب الحديثة، القاهرة، مكتبة المثنى، بغداد، 1380هـ/1960م.

محمد بن إسحاق الكلاباذي[1] (ت 380هـ/990م)، ونذكر أيضا كتاب **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد** لأبي طالب محمد بن علي بن عطية المكي[2] (ت 386هـ/996م)، يعد من كبار الزهاد ومصنفي القرن الرابع هجري/ العاشر الميلادي عاش متنقلا بين مكة والبصرة وبغداد.

وكذلك كتاب **طبقات الصوفية** لأبي عبد الرحمان السلمي[3] (ت 412هـ/1021م)، وهو من نيسابور، ويعد كذلك من مصنفي القرن الرابع، وكتاب **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، للحافظ أبي نعيم احمد بن عبد الله الأصفهاني[4] (ت 430هـ /1083م)، وهو من نيسابور أيضا، ويعد من مصنفي القرن الخامس الهجري/ الحادي عشرة ميلادي، وكذلك كتاب **الرسالة القشيرية** لأبي القاسم عبد الكريم بن هُوزان القشيري النيسابوري[5] (ت 456هـ/1072م)، وهو أيضا من نيسابور كما يعد من أبرز مصنفي القرن الخامس الهجري.

ولا ننسى كتاب **إحياء علوم الدين** لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي[6] (ت 505هـ/ 1102م)، وقد تعرض هذا الكتاب للإحراق خلال عهد المرابطين، كما أنه كان محل جدل في العصرين المرابطي والموحدي. ونذكر أيضا كتاب **عوارف**

1- أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي: **التعرف لمذهب أهل التصوف**، ضبطه وعلق ضبطه وعلق عليه وخرج آياته وأحاديثه: احمد شمس الدين، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1993م.

2- أبو طالب محمد بن علي بن عطية المكي: **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**، حققه وقدم له وعلق حواشيه: محمود إبراهيم محمد الرضواني، ط 1، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1422هـ/2001م.

3- أبو عبد الرحمان السلمي: **طبقات الصوفية**، تحقيق: أحمد الشرباصي، ط 2، كتاب الشعب، القاهرة، 1419هـ/1998م.

4- الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني: **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، د ط، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1416هـ/1996م

5- أبو القاسم عبد الكريم ابن هُوزان القشيري النيسابوري: **الرسالة القشرية في علم التصوف**، تحقيق وإعداد: معروف مصطفى زريق، ط 1، مكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا بيروت، 1421هـ/2001م.

6- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي: **إحياء علوم الدين**، د ط، دار المعرفة، بيروت، 1402هـ/1982م.

المعارف لصاحبه شهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي[1] (ت 632هـ/1235م)، وهو من تلامذة ومدرسي المدرسة النظامية ببغداد، وأيضا كتاب **كشف المحجوب** لأبي الحسن علي بن عثمان الهجويري[2] (ت 469هـ/1089م)، وهو مؤلف غزنوي كتب مؤلفه هذا بالفارسية.

وتجدر الإشارة في الأخير إلى أن هذه المصادر قد أفادتنا في التعرف إلى جذور الظاهرة الولائية وتطورها، علاوة على ما قدمته لنا من إفادة على مستوى فهم المصطلحات وكل الأمور النظرية التي لها علاقة بالأولياء.

3. المصادر التاريخية:

إن الباحث في فترة المرابطين والموحدين تواجهه مشكلة عويصة في المصادر التاريخية، فيجد خللا وتباينا واضحين فيها، فبينما تكاد المصادر المرابطية أن تكون مفقودة، فنتعامل في التأريخ لهذه الفترة مع مصادر تنتمي لعصور أخرى، وفي هذه الحالة بالطبع تكون خاضعة لتأثيرات العصور التي ألفت فيها. وتأكد لنا ذلك خاصة مع وجود أعداد هامة من المصادر تنتمي إلى الفترة الموحدية وهي تحمل بذلك عداءً واضحا للمرابطين وعصرهم، وقد أثرت هاته الأخيرة بدورها على ما ألف في العصور الموالية لأنها اعتمدت عليها، نجد العصر الموحدي أحسن حظا في تناول المؤرخين له، خاصة أن الدولة الموحدية نفسها اهتمت بكتابة تاريخها وسخرت الكتاب والمؤرخين لتوثيقه، وهنا أيضا واجهتنا إشكالية الحذر والحيطة الزائدة عندنا، لأن ما كتب حول التاريخ الموحدي وخاصة الرسمي، كان لأصحابه تشيعا زائدا للتجربة الموحدية، غير

1- شهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي: **عوارف المعارف** ط 1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1966م.

2- أبو الحسن علي بن عثمان الغزنوي الهجويري: **كشف المحجوب**، (الجزء 1)، دراسة وترجمة وتعليق:إسعاد عبد الهادي قنديل، راجع الترجمة: آمين عبد المجيد بدوي، ط 1، مطابع الأهرام التجارية، مصر، 1394هـ/1974م. (الجزء 2)، تحقيق: إسعاد قنديل، مراجعة: يحي الخشاب، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1975م.

أنه يمكننا القول أنه لولا هذه المصادر الموحدية ربما لن نتمكن نحن ولا غيرنا من البحث والكتابة في التاريخ المرابطي أو الموحدي، لأن هذه المصادر وفرت لنا مادة غزيرة وروايات عدة، مكنتنا بعد تمحيصها ومقارنتها من الخروج بحقائق ونتائج تاريخية جد مهمة تخص الفترتين، ونذكر منها:

أعز ما يطلب المهدي للمهدي بن تومرت[1] (ت 524هـ/1130م)، وهو كتاب يضم عشرين رسالة في العقيدة والفقه وفضل العلم والتشهير بالمرابطين والدعوة إلى محاربتهم وغير ذلك، وساعدنا خاصة في توضيح نظرة ابن تومرت إلى المرابطين، وأهم أفكاره وتعاليمه وأوامره خلال فترة الدعوة. أما كتاب **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين** لأبي بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق[2] (ت أواخر القرن 6هـ/12م)، فقد غطّى جانبا مهما من مرحلة المهدي وبداية الدولة، ويعد هذا المؤلف من التاريخ الرسمي الموحدي، إلى جانب كتاب **المن بالإمامة على المستضعفين** لأبي مروان عبد الملك بن محمد الباجي المعروف بابن صاحب الصلاة[3] (ت 594هـ/1198م)، وصاحب الكتاب يعد من كتاب الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، وهذا ما انعكس على كتابه الذي يعد من أغنى المصادر وأكثرها دقة وتوثيقا في المعلومات، ورتب المؤلف حسب السنين في ثلاثة أجزاء لم ينج من الضياع منها سوى الجزء الثاني والذي يؤرخ لخمسة عشر سنة، تبدأ من سنة 554هـ/1159م وتنتهي في عام 568هـ/1172م، وقد أفادنا هذا الكتاب بتفاصيل لا توجد في غيره من الكتب

---

1 – محمد بن عبد الله بن تومرت الهرغي المصمودي: **أعز ما يطلب**، تقديم وتحقيق: عبد الغني أبو العزم، ط 1، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، 1999م.

2 – أبو بكر بن علي الصنهاجي البيذق: **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، نشر: عبد الوهاب بن منصور، ط 1، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م .

3 – عبد الملك بن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، تحقيق: عبد الهادي التازي، ط 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.

حول جوانب كثيرة من المجتمع الموحدي وكذلك حول نظم الموحدين والحياة الدينية والفكرية خلال حقبتنا.

كما استفدنا من كتاب **نظم الجمان لما سلف من أخبار الزمان** لأبي محمد بن حسن بن علي بن محمد عبد الملك الكتامي المعروف بابن القطان[1] (ت منتصف القرن 7هـ/13م)، نشأ في أكناف الخلافة الموحدية وكان مقربًا من خلفائها، كما كان أبوه يعتلي منصبًا مهمًا وهو شيخ طلبة الحضر وقاضي الجماعة في عهد يحي المعتصم، وكان سبب تأليف ابن القطان لهذا المؤلف كهدية للخليفة الموحدي المرتضى، ويعد هذا الكتاب في الأصل من أكبر وأوسع ما كتب في تاريخ الموحدين، وخاصة أنه جاء في مرحلة متأخرة من الدولة الموحدية حيث استوفت فيها أخبارهم فصولاً كثيرة، ويستمد الكتاب أهميته من قرب المؤلف من الحكام الموحدين، وخاصة أنه عاش بمراكش عاصمة الخلافة، وهكذا كان المؤلف على صلة بالوثائق والمصادر والروايات الرسمية، غير أن الكتاب كسابقه لم يصلنا منه إلاّ قطعة صغيرة جدّا، تمثل الجزء السادس فقط وتغطي ثلاثا وثلاثين سنة من سنة 501هـ/1107م إلى سنة 533هـ/1139م، وتتخللها خروم كثيرة، ورغم صغر القطعة التي وصلتنا، إلا أنها أفادتنا الكثير في هذا البحث، وهذا نظرا لغناها بمعلومات جد مهمة تنفرد بها دون سواها من المصادر، فمثلا ينفرد نظم الجمان بأخبار فساد بعض عمال الخليفة كجباة الضرائب ويوضح موقف الخليفة نفسه من الفساد الذي يعد ممثل السلطة الموحدية، كما أن هذا الكتاب يستمد أهميته من النقول التي احتفظ بها من مصادر مفقودة والتي من بينها كتاب **النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة** لأبي الحسن علي بن حمادة الصنهاجي، وكتاب **المغرب في محاسن أهل المغرب** لابن اليسع الغافقي، وكتاب **المقياس في أخبار المغرب**

1 – ابن القطان، أبو محمد بن حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي بن القطان المراكشي: **نظم الجمان لترتيب ما خلف من أخبار الزمان**، درسه وقدم له وحققه: محمود علي مكي، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

والأندلس وفاس لعبد الملك بن موسى الوراق، وكتاب **فضائل المهدي** لأبي القاسم بن المؤمن المصري.

أما عن المصادر التاريخية التي كتبت بعيدا عن المؤثرات الموحدية والتي تعد من خارج المشروع الموحدي الرسمي، فيأتي على رأسها كتاب **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** لأبي محمد عبد الواحد بن علي المراكشي[1] (ت 647هـ/1249م)، الذي ألف استجابة لرغبة أحد وزراء الخليفة العباسي الناصر، وكتب ببغداد وجاء مختصرا وملخصا، وقد استمد أهميته من اعتماده على المشاهدة والسماع من بعض المصامدة، وكثيراً ما يستعمل العبارات الدالة على ذلك، بينما في خطبة الكتاب ذكر أنه أملاه من ذاكرته، وهذا ربما ما أوقعه في أخطاء تتعلق ببعض التواريخ والأسماء، ومع ذلك يبقى الكتاب ذا أهمية بالغة، حيث استفدنا منه كثيرا في أخبار الدولتين المرابطية والموحدية، وفي سير حكامها وسياساتهم تجاه رعاياهم، غير أنه ما صعب علينا التعامل مع هذا الكتاب هو سرده للأحداث دون التقيد بالسنين، لكن بعده عن المؤثرات الموحدية زاد من قيمته العلمية، حيث يعد من المؤلفات الأكثر إنصافا للمرابطين، وكما أنه لم يتضمن دعاية أو تشيعا لا للتومرتية ولا للمشروع الموحدي.

أما عن المصادر التي كتبت بعد عصر الموحدين، فهي في مجملها ذات أهمية بالغة في بحثنا هذا، لأنها بعيدة عن سلطة الموحدين، فكانت أكثر موضوعية وإنصافا لفترة دراستنا، غير أنه ما يعاب عليها تأثرها بالروايات الموحدية إذ نقلت عليهم الكثير من الأحداث والأحكام، ورغم ذلك لم تنقص قيمتها العلمية الثابتة عندنا، ويأتي على رأس هذه الكتب:

1- أبو محمد عبد الواحد بن علي المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب – من لدن فتح الأندلس إلى آخر أيام الموحدين– مع ما يتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار القراء وأعيان الكتاب**، تحقيق: محمد سعيد العريان، ط 1، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، 1963م.

كتاب **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** لأبي العباس أحمد بن محمد المراكشي[1] (ت بعد 712هـ/1312م)، الذي تناول تاريخ المغرب والأندلس من الفتح إلى بداية عصر المرينين، قسمه صاحبه إلى أربعة أقسام، وقد استخدمنا الجزء الرابع والقسم الخاص بالموحدين، وقد استفدت منه في أغلب أطوار البحث وخاصة في الفصلين الأولين للمجتمع المرابطي والموحدي، لما فيه من مادة خبرية جيدة ومن مصادر مفقودة، وكثيرا ما يتفرد ببعض الأخبار دون سواه. وكذلك كتاب **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ المغرب مدينة فاس** لأبي الحسن علي بن عبد الله المعروف بابن أبي زرع الفاسي[2] (ت بعد 762هـ/1326م)، الذي يؤرخ للمغرب منذ عام 145هـ/762م إلى عام 762هـ/1326م ورغم اعتماد الاختصار في هذا المؤلف، إلا أنه احتفظ بمادة جيدة حيث كانت معلوماته منتقاة بدقة متناهية، وقد أفادنا خاصة في بدايات الدولة المرابطية وأيضا في السّير الشخصية للحكام وسياساتهم اتجاه الرعية.

وهناك كتاب لمحمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب السلماني (ت 776هـ/1374م): وهو **كتاب أعمال الأعلام**[3]، الذي يؤرخ لتاريخ الدولتين المرابطية والموحدية، وفيه معلومات جد مهمة وهي دقيقة ومختصرة، غير أن مؤلفهما نقل الكثير من نصوص الروايات الموحدية، فتأثر بها، ففي بعض الأحيان نحسُّ بأنه لسان حال

---

1 – أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، (الأجزاء 1–3)، تحقيق ومراجعة: كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط 3، 1983م. (الجزء 4)، تحقيق ومراجعة: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط 3، 1983م. (قسم الموحدين)، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد زنير ومحمد بن تاويت وعبد القادر زمامة، دار الثقافة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1406هـ/1985م.

2 – أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، نشر: عبد الوهاب بنمنصور، ط 1، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

3 – محمد بن عبد الله بن سعيد ابن الخطيب السلماني (ت 776هـ/1374م): **تاريخ المغرب في العصر الوسيط**، القسم الثالث من **كتاب أعمال الأعلام**، تحقيق وتعليق: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، ط 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م.

الموحدين. ونذكر كذلك كتاب آخر لمؤلف مجهول عاش خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي وهو **كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**[1]، وهذا الأخير أرخ فيه لتاريخ الدولتين المرابطية والموحدية بشكل مفصل، وقد استمد أهميته خاصة باعتماد صاحبه على بعض المصادر المفقودة. وقد كان للكتابين الأخيرين أهمية بالغة في دراستنا هذه خاصة في التعريف بالحكام وسياساتهم ونظمهم وأهم معاركهم وانتصاراتهم وانكساراتهم، إلا أن كتاب الحلل أفادنا أكثر خاصة في فترة الصراع بين المرابطين والموحدين.

وأما كتاب **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر** لعبد الرحمن بن محمد الحضرمي ابن خلدون[2] (ت 808هـ/1405م)، فهو كتاب لا غنى عنه لكل دارس لتاريخ المغرب، كما أنه يمثل لنا أحد عمد بحثنا، فهو يؤرخ للدولتين المرابطية والموحدية في كافة أطوارهما، إضافة إلى أنه كان لنا موجها ومفسرًا للقبائل البربرية والعربية وغيرها التي كانت ممثلة للمجتمع المغاربي، كما لا ننسى كتابه **المقدمة**[3]، وهذا المؤلف أيضا لا غنى عنه لأي باحث في الحقل الاجتماعي أو التاريخي أو السياسي أو المعرفي، باعتباره رصيد نظرياته التي توصل إليها من خلال تجاربه التي عاينها في تاريخ العمران البشري وعوارضه، خاصة الملك والصنائع وغيرها، وكما أنه كان ملهمًا لنا في الكثير من الأفكار التي بنينا عليها عملنا، كما ساعدنا في تناول الظاهرة الولائية كظاهرة اجتماعية وفكرية وثقافية من خلال مصطلحاتها وأفكارها.

---

1 – مجهول: **كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، حققه: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط 1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1399هـ/1979م.

2 – عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي: **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، ط 1، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1421هـ/ 2000م.

3 – عبد الرحمن بن خلدون: **المقدمة**، د ط، دار الفكر لطباعة والنشر، بيروت، 1424هـ/2004م.

4. كتب التراجم والفهارس:

تهتم هذه الأنواع من الكتب بالتاريخ من خلال الترجمة للعلماء والفقهاء وغيرهم، وتوفر مادة غنية ومتنوعة حولهم، كما أنها تغطي الأنشطة العملية في الكثير من المجالات، كتنقل العلماء والكتب والأسانيد، وطرق التدريس، وحركة التأليف، والعلاقات بين العلماء فيما بينهم من جهة، وبين غيرهم من جهة أخرى، كما أنها تبرز الكثير من القضايا الفكرية، إضافة إلى أنها تغوص في الظروف الاجتماعية للعلماء والصلحاء، كما تغطي جانبا مهما من علاقة المترجم له مع السلطة والعامة، وهكذا هذا الصنف من المصادر هو مكمل لغيره من الأصناف الأخرى، ومن أهم هذه المصادر:

كتاب الصلة لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود الخزرجي الأنصاري القرطبي المعروف بابن بشكوان[1] (ت 578هـ/1183م)، فرغم اعتماد صاحب الكتاب الاختصار إلا أنه غطى جانبا مهم من شخصيات مرابطية وموحدية، أما ذيله المسمى **التكملة لكتاب الصلة** لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ابن الآبار[2] (ت 658هـ/1260م)، والذي حققه عبد السلام الهراس كاملا دون نقصان، فيعد من أهم كتب التراجم، لأن المؤلفه نقل الكثير عن مصادر أغلبها مفقود، كما أنه كان ممحصا وناقدًا ومحققا للكثير ممّا نقل.

أما عن مؤلفات المغاربة في كتب التراجم فيأتي على رأسها **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة** لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي

1 – أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى الأنصاري القرطبي ابن بشكوان: **كتاب الصلة**، تحقيق: شريف أبو العلا العدوي، مجلدان، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1429هـ/2008م.

2 – أبو عبد لله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ابن الآبار: **التكملة لكتاب الصلة** تحقيق: عبد السلام الهراس، ط 1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1415هـ/1995م.

المراكشي[1] (ت 703هـ/1304م)، فهذا المصدر مكمل للكتابين السابقين كما أنه يعد من أهم مصادر التراجم في الغرب الإسلامي لما يحتويه من تراجم كثيرة وبها معلومات قيمة، كما أن صاحب الكتاب لا يتوانى في نقد ما يؤخذ منه، إلى جانب أنه يكثر من الملاحظات الدقيقة التي أبان فيها على علمه الغزير وتمكنه من تراجم الرجال، فأفاض في تراجمهم وتفرد بأخبار لا نجدها عند غيره.

وآخر هذه السلسلة من كتب الصلات التي وصلتنا يأتي **كتاب صلة الصلة** لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي[2] (ت 708هـ/1308م)، وهو كتاب ذو أهمية بالغة، لاعتماد مؤلفه في تأليفه على كتب مفقودة أهمها **كتاب الذيل** لشيخه ابن فرتون السلمي في الكثير من التراجم، كما أنه يترجم لأشخاص لم يسبق لأحد وأن ترجم لهم قبله.

كما اعتمدنا في هذا الصنف كذلك على **كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم** لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي[3] (ت بعد 484هـ/1091م)، وأيضا كتاب **ترتيب المدارك وتقريب المسالك في أعلام مذهب مالك** لأبي الفضل بن موسى بن عياض

1- ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي: **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، السفر الأول، (القسم 1-2)، تحقيق: محمد بنشريفة، ط 1، دار الثقافة، بيروت، 1965م، بقية السفر الرابع، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1965م، السفر الخامس، (القسم 1-2)، تحقيق: إحسان عباس، ط 1، دار الثقافة، بيروت، 1965م،السفر السادس، (القسم 1-2)، تحقيق: إحسان عباس، ط 1، دار الثقافة، بيروت، 1973م، السفر الثامن، (القسم 1-2)، تحقيق: محمد بنشريفة، ط 1، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984م.

2- أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي: **كتاب صلة الصلة**، تحقيق: شريف أبو العلا العدوي، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1429هـ/2008م.

3- ، أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي: **كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير أخبارهم وفضائلهم**، حققه: بشير بكوش، راجعه: محمد العروسي المطوي، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414هـ/1994م.

السبتي المعروف بالقاضي عياض[1] (ت 544هـ/1149م)، ولا ننسى كتاب **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان** لأبي زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الدباغ[2] (ت 696هـ/1297م)، وهذه المصادر الثلاثة الأخيرة ساعدتنا خاصة في كشف نشأة الولاية وتطورها بالمغرب التي ركزنا فيها على إفريقية، فأخذنا أغلب النماذج الولائية لفترة النشأة والتي سبقت فترة دراستنا من هذه المصادر الثلاثة.

وأما بالنسبة لكتب التراجم المتأخرة عن عصر المرابطين والموحدين التي كانت فائدتها عظيمة شأنها شأن ما كتب خلال فترة دراستنا، فنكتفي في هذا المقام بذكر أسماء البعض منها دون التفصيل، فمن بينها **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية** لأبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني[3] (ت 704هـ/1304م)، وكذلك كتاب **الإحاطة في أخبار غرناطة** لمحمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب السلماني[4] (ت 776هـ/ 1374م)، وأيضا كتاب **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** لشهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني المقري[5] (ت 1041هـ/1631م)، وكذلك كتاب **جذوة الاقتباس في ذكر من حلَّ من الأعلام مدينة**

1- القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك في أعلام مذهب مالك**، تحقيق: سعيد أعراب، ط 1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1403هـ/1983م.

2- أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الدباغ: **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلق عليه: أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تحقيق: عبد المجيد خيالي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1426هـ/2006.

3 – أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني: **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق: رابح بونار، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

4 – محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب السلماني: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه: محمد عبد الله عنان، ط 1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1393هـ/1973م.

5 – شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، د ط، دار صادر، بيروت، 1408هـ/1988م.

فاس لأحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي المعروف بابن القاضي[1] (ت 1025هـ/1616م)، وأيضا كتاب **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** لأحمد بابا التنيكتي[2] (ت 1036هـ/1627م)، وأخيرا **الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام** لعباس بن إبراهيم السملالي[3].

أما بالنسبة للفهارس، فأهمها: **فهرس ابن عطية** لأبي محمد عبد الحق بن عطية المحاربي (ت 541هـ/1146م)[4]، وكذلك كتاب **الغنية** للقاضي عياض[5] (ت 544هـ/1149م)، وأيضا كتاب **فهرسة ما رواه عن شيوخه المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف** لأبي بكر محمد بن عمر بن خليفة بن الخير الأموي الإشبيلي[6] (ت 575هـ/1179م)، وهذا الأخير هو أهم هذه المصادر الثلاثة لأنه أوسعها وأكثرها شرحًا ومعلومات، وعلى العموم فهذه المصادر تكتسي أهمية بالغة في دراستنا خاصة أنها جاءت معاصرة لفترة دراستنا، كما أن أصحابها كان لهم دور بارز في هذا العصر وخاصة القاضي عياض السبتي، واستفدنا منها جميعًا بما وفّرته لنا من معلومات فذة عن الحياة الثقافية في المغرب، من خلال تتبع الكتب التي دخلت إليه والعلماء الذين

---

1 – أحمد بن محمد بن أبي العافية ابن القاضي المكناسي: **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، تحقيق: عبد الوهاب منصور، ط 1، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1993هـ/1973م.

2 – أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط 1، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1398هـ/1989م.

3 – العباس بن إبراهيم السملالي التعارجي: **الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام**، راجعه: عبد الوهاب منصور، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1423هـ/2002م.

4 – أبو محمد عبد الحق بن عطية المحاربي الأندلسي: **فهرس ابن عطية**، تحقيق: محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

5 – القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي: **الغنية – فهرست شيوخ القاضي عياض–**، تحقيق: ماهر زهير جرار، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1402هـ/1982م.

6 – أبو بكر محمد بن عمر بن خليفة بن خير الأموي الإشبيلي: **فهرسة ما رواه عن شيوخه المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف**، وقف على نسخها وطبعها ومقابلتها عن أصل محفوظ في خزانة الأسكوريال: الشيخ قدارة زيدين وتلميذه خلقان ربارة طبرغوه، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ/1997م.

أدخلوها، ونخص بالذكر هنا قضية الإحياء وإحراقه وجدنا العديد من الردود والرسائل والكتب ألفت حول الإحياء لم نعثر عليها إلاّ في هذا الصنف من المصادر.

5. كتب النوازل:

تبرز أهمية هذا الصنف من المصادر بالنسبة لدراستنا، من خلال الاستناد إليها للإجابة على بعض الإشكالات التي تطرحها الظاهرة الولائية فقهيا واجتماعيا، ومن الكتب التي استفدنا منها في هذا الصنف، كتاب **فتاوى ابن رشد** لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي[1] (ت 520هـ/1126م)، وأهم ما استفدناه من فتاوى ابن رشد الجد حول إسقاطه الحج على أهل الغرب الإسلامي، وبعض المسائل الفقهية الأخرى المشتركة بين أهل الأندلس والمغرب، كما أن هذا المؤلف اكتسى أهمية بالغة لدينا لأن صاحبه – ابن رشد الجد– معاصر لفترة دراستنا فجاءت فتاواه كتعبير عن قضايا عصره ونظرة الفقيه إليها، أما عن أكثر كتاب من هذا الصنف استفدنا منه في الكثير من أطوار بحثنا، رغم أنه جاء بعد فترة من عصري المرابطين والموحدين، فهو كتاب **المعيار المعرب وجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب** لأبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي[2] (ت 915هـ/1508م)، وهو عبارة عن موسوعة كبيرة جامعة لفتاوى إفريقية والأندلس والمغرب، واستفدنا منه خاصة في جانب الضرائب والمغارم والمكوس غير الشرعية التي فرضها كل من المرابطين والموحدين، كما سَهَّلَ علينا إبراز مواقف الفقهاء من كتاب الإحياء، فوجدنا أن آراءهم كانت منقسمة بين مناصر ورافض، ومنهم من كان وسطيا رفض البعض وقبل الآخر، وهذا

1– أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي: **فتاوى ابن رشد**، تقديم وتحقيق وجمع وتعليق: المختار بن الطاهر التليلي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1407هـ/1987م.

2– أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي: **المعيار المعرب وجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب**، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف: محمد حجي، ط 1، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية للمملكة المغربية، الرباط، 1401هـ/ 1981م.

عكس بعض الدراسات الحديثة التي حاولت أن تجعل كل الفقهاء ضد الإحياء وجميعهم كان مع إحراقه. واستفدنا منه كذلك في رأي الفقهاء حول الأشعرية وموقف الأمراء والخلفاء منها، فوجدنا مادة وفيرة ومتنوعة خاصة أن الأشعرية كانت من قضايا هذا العصر البارزة والمثيرة للجدل، واستفدنا منه كذلك في قضايا أخرى يضيق المقام بذكرها.

وبالتالي هذا الصنف من المصادر كان عونا لنا في بحثنا خاصة في الجانب الفقهي، كما وجدنا في ثنايا هذه المصادر معلومات قيمة خاصة حول العامة والتي لا توجد في غيرها من المصادر، وتحدثت عن جميع ما تعلق بهم من جانب اجتماعي أو اقتصادي أو ثقافي حتى الأخلاقي منها، فتعرضت مثلا للمفاسد المنتشرة في المجتمع الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين من زنا ومعاقرة الخمور واللّصوصية وغيرها، وهكذا كانت هذه الفتاوى كمرآة ناقلة للحياة العامة للمغاربة.

6. الكتب الجغرافية:

أما المصادر الجغرافية والتي لا غنى عنها في أي عمل تاريخي، لكونها تحدد الأماكن والمواقع، كما أنها تحمل بين طياتها أخباراً مهمة وفي شتى المجالات، فقد اعتمدنا منها على:

كتاب **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب** لأبي عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري[1] (ت 487هـ/1094م)، وهو جزء من كتابه **المسالك والممالك** الذي انتهى من تأليفه سنة 491هـ/1068م، كتب مؤلفه هذا استنادًا إلى معلومات شفوية ومدونة أخذها من الكتب أغلبها مفقود، خاصة الجغرافي محمد بن يوسف الوراق (ت 363هـ/973م)، صاحب كتاب **مسالك لإفريقية والمغرب**، وقد استفدنا من هذا الكتاب

1 – أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري: **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، د ط، مكتبة المثنى، بغداد، د ت.

خاصة في التعريف ببطون صنهاجة ومصمودة وأماكن انتشارهم، وأيضا أخبار الدعوة وبدايات دولة المرابطين.

واستفدنا أيضا من كتاب **الاستبصار في عجائب الأمصار ووصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب**" لمؤلف مجهول[1] (ت بعد 587هـ/1191م)، وقد أفادنا كغيره من المصادر الجغرافية الأخرى في تحديد الأماكن ووصف المدن وأحوال أهلها، خاصة أن صاحبه عاش خلال فترة الدراسة وانتقل بين المدن، ولا ننسى كذلك كتاب **رحلة التجاني** لأبي محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني[2] (ت 721هـ/ 1321م)، فعلى الرغم من تأخر كتابة هذا المؤلف عن فترة دراستنا إلا أن استفادتنا منه كانت كبيرة، حيث أفادنا في وصف سكن الأولياء بدقة متناهية، واستقينا منه كذلك أوصاف أضرحتهم وأماكن تواجدها، وأعداد الزوار التي تقصدهم، وهكذا وجدنا في رحلة التجاني ما لم نجده في المصادر التي سبقته.

وهكذا كانت استفادتنا من المصادر الجغرافية والرحلة، إذ وجدنا فيها ما لم نجده في غيرها من المصادر، فساعدتنا في تحديد المواقع ووصف أحوال الناس وأوضاعهم، وغيرها.

7. الأعمال الجامعية:

أما عن أهم الأعمال الجامعية السابقة فرغم أننا تطرقنا إليها في المقدمة ضمن الدراسات السابقة إلا أنه نظراً لأهمية هذا النوع من الأعمال في دراستنا هذه ودورها الكبير والحاسم في توجيه عملنا هذا في كافة أطواره ومراحله، فلم نجد حرجا في التطرق إلى أهم الأعمال الجامعية ومدى استفادتنا منها مرة ثانية. وما تجدر إليه

1 – مجهول: **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب**، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، ط 2، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م.

2 – أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني: **رحلة التجاني**، قدم لها: حسن حسني عبد الوهاب، ط 1، الدار العربية للكتاب، تونس، 1980م.

الملاحظة أنه لم يسبق لهذا الموضوع أن دُرس بالصيغة المقترحة بهذا البحث في أي عمل جامعي، لكن أعمال عدة قد تقاطعت مع بعض جوانبه ولامست بعضا من قضاياه، وإن كان من غير الممكن تقديم حصيلة لما أنجز في هذه المجالات كلها، فيكفي الإشارة إلى بعضها، ففيما يتعلق بالمجتمع نذكر أبرزها: فقد ألف المغربي إبراهيم القادري بوتشيش كتابين ذوا أهمية بالغة في عملنا هذا، الأول كتاب **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**[1]، الذي درس فيه المؤلف الكثير من الجوانب والمظاهر التي كانت سائدة في المجتمع المرابطي، أما الكتاب الثاني وعنوانه **المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع . الذهنيات . الأولياء**[2]، فكان أيضا جد مفيد خاصة أنه يجمع بين شقي دراستنا الأولياء والمجتمع والعلاقة بينهما، كما أنه قربنا أكثر من ذهنيات المغاربة في تلك الحقبة.

ومن البحوث الجادة للمغاربة كذلك نذكر **التصوف المغربي في القرن السادس الهجري** لعبد الجليل لخمنات[3]، وهي رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، وقد استفدنا من هذه الأخيرة في أغلب أقسام البحث، وكما نشير كذلك إلى أطروحة **العلماء والصلحاء والسلطة بالمغرب والأندلس** للدكتور محمد المغراوي[4]، والتي كانت متقاطعة مع موضوعنا في العديد من القضايا، وأهمها علاقة الأولياء والفقهاء وكذلك السلطة، كما تناولت علاقة المتصوفة بالعامة.

أما عن أهم الدارسين في مجال الولاية فكانت على رأسهم الباحثة المتميزة نللي سلامة العامري، مؤلفة كتابي **الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الاجتماعي**

1- إبراهيم القادري بوتشيش: **مباحث.**

2- إبراهيم القادري بوتشيش: **المغرب والأندلس.**

3- عبد الجليل لخمنات: **التصوف المغربي.**

4- محمد المغراوي: **العلماء والصلحاء والسلطة.**

والديني لافريقية في العهد الحفصي[1]، و**التصوف بإفريقية في العصر الوسيط من القرن 3 هـ/9 م إلى نهاية القرن 9 هـ/15 م**[2]، وهذان الكتابان هما نسخة منقحة عن أطروحة دكتوراه في التاريخ الموسومة بـ**التصوف في إفريقية في العهد الحفصي (من القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي إلى نهاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي)**، ورغم اختلاف مجالها الزماني مع بحثنا، كما أنها اقتصرت على مجال افريقية، أي أنها غطت كل تونس وليبيا وشرق الجزائري حاليا، إلا أن كتابي هذه الباحثة ساعدانا كثيرا في عملنا، خاصة أنها اهتمت بالظاهرة الولائية وعملية البناء النظري والجوانب الروحية والمسارية، كما أنها اهتمت بالتأصيل والجذور التاريخية للظاهرة التي تقاطعت مع مجال بحثنا سواء الزماني أو المكاني.

كما استفدنا من أطروحة دكتوراه بعنوان **ظاهرة الأولياء والصالحين بافريقية من القرن الثاني للهجرة/الثامن ميلادي إلى مطلع القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي** لمحمد سعيد[3]، والتي اطلعنا على الجزء الأول منها فقط، وقد استفدنا من هذا الجزء وخاصة في جذور الظاهرة الولائية وتأصيل الولاية حيث أن صاحب الرسالة قسم هذا الجزء إلى خمسة أبواب، الباب الأول كان حول التأصيل، وباقي الأبواب هي عبارة عن تراجم للأولياء قسمهم حسب فترات زمنية معينة.

وكما استفدنا من الدراسات الجادة التي قام بها أستاذنا المشرف محمد الأمين بلغيث، وعلى رأس هذه الدراسات كتابه **الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين (دراسة تاريخية حضارية)** [4] الذي هو في الأصل رسالة ماجستير منقحة، وهذه الرسالة كانت موجهه لي في عملي بداية من خطة البحث، كما

1- نللي سلامة العامري: **الولاية والمجتمع**.

2- نللي سلامة العامري: **التصوف بإفريقية**.

3- محمد سعيد: **ظاهرة الأولياء والصالحين بإفريقية**.

4 - محمد الأمين بلغيث: **الربط**.

استفدت من هذا الكتاب خاصة في أدوار الأولياء سواءً اتجاه العامة والسلطة، كما أن فائدتنا كانت كبيرة خاصة في تراجم خص بها صاحب الكتاب بعض الأقطاب كأبي مدين شعيب وأبي العباس السبتي بذكر أدوارهم خاصة الثقافية.

أما الكتاب الثاني للباحث محمد الأمين بلغيث وهو **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين (479-539هـ/1085-1144م)**[1]، والذي هو في الأصل أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي الوسيط، وهذه الأطروحة رغم توسع مجالها الجغرافي على مجال بحثنا، إلا أننا نجدها من أهم الدراسات الأكاديمية التي تناولت المرابطين بموضوعية فحاول صاحبها دائما مقارنة النصوص وتمحيص الروايات للخروج بحقائق تاريخية بعيدة عن المعاداة للمرابطين أو التشيع لهم، واستفدنا من هذا الكتاب خاصة في آخر فصله الثالث الذي ختمه بدراسة تاريخية عن مشاركة المرأة المرابطية في الحياة الأدبية والعلمية، وأيضا فصله الرابع الذي تطرق فيه للتصوف وبعض القضايا الفلسفية والفكرية خاصة إحراق الأحياء والأشعرية، وهكذا كانت استفادتنا كبيرة من مؤلفي أستاذنا المشرف.

وهكذا كانت الأعمال الجامعية موجها لنا في هذا العمل، انطلاقا من الخطة إلى كافة فصول وثنايا الرسالة، كما كانت مرآة ناقلة لآراء ومواقف مجموعة من الباحثين الجامعيين من كافة أقطار مغربنا العربي.

1- محمد الأمين بلغيث: **الحياة الفكرية**.

الفصـــــــل الأول

المجتمع المرابطي والموحدي

I- المجتمع المرابطي

1. المجتمع تحت سلطان صنهاجة الجنوب

أ- أصل صنهاجة وبطونها

ب- صنهاجة والمصامدة بين التقرب والسيطرة

2. الأمراء من حركة دينية إلى ملك السياسي

أ- السلوك الشخصي للأمراء

ب- الحكم عند الأمراء

3. مجتمع بين الطبقة الحاكمة والرعية

4. مجتمع بين فقهاء الفروع وعلم الكلام

II- المجتمع الموحـــدي:

1. المجتمع تحت سلطة المصامدة

2. الخلفاء من حركة دينية إلى ملك السياسي

أ- السلوك الشخصي للخلفاء

ب- الحكم عند الخلفاء

3. مجتمع بين الطبقة الحاكمة والرعية

4. مجتمع بين الفروع والأشعرية

أ- الموحدون والمالكية

ب- الموحدون والأشعرية

بالرجوع إلى مقدمة ابن خلدون، الذي سمى الباب الثالث من الكتاب الأول بـ: "في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية وما يعرض في ذلك كله من الأحوال وفيه قواعد ومتممات"[1]، والذي أثبت فيه أن « الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك أصلها الدين إما من نبوة أو دعوة الحق»[2]، وبهذا نلاحظ أنه ربط بين قيام الدولة ومنشأها الديني.

كما ربط المنشأ الديني للدعوة بضرورة دعمها ومساندتها بعصبية قوية، حيث بين « أن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عددها»[3]، بل يذهب إلى أكثر من ذلك ويؤكد «أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم»[4].

إلا أن ابن خلدون يقف على نقطة مهمة وهي: « أن من طبيعة الملك الانفراد بالمجد»[5]، وهنا يقر ابن خلدون أن التفرد بالقرار يحول الدعوة الدينية إلى ملك أي التفرد في الحكم للأمير وعصبيته على حساب غيرهم.

وبهذا نستطيع أن نلخص النظرية الخلدونية للملك، ببدايتها بالدعوة الدينية الإصلاحية المدعمة بعصبية قبلية لتتحول إلى ملك سياسي بتفرد شخص الحاكم وعصبيته بالحكم والمجد، وهذا ما يطرح في أذهاننا تساؤلا مفاده هل مرت دولة المرابطين والموحدين بالمراحل الخلدونية؟. وسنحاول دراسة كل مجتمع على حدى محترمين التراتب الزمني.

---

1 – ابن خلدون: **المقدمة**، ص 156.

2 – نفسه، ص 159.

3 – نفسه.

4 – نفسه، ص 160.

5 – نفسه، ص 159.

I- المجتمع المرابطي:

1. المجتمع تحت سلطان صنهاجة الجنوب:

أ- أصل صنهاجة وبطونها:

قامت الدولة المرابطية على أكتاف قبيلة صنهاجة التي تعد أهم عناصر مجتمع المغرب الإسلامي في هذا العهد، وهذا ما أكده ابن خلدون في قوله: « هذا القبيل من أوفر قبائل البربر، وهو أكثر أهل الغرب لهذا العهد وما بعده لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط، حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أمم البربر»[1]. وتضم صنهاجة قبائل كثيرة بلغت زهاء سبعين قبيلة[2]، منتشرين في كافة أنحاء المغرب؛ ومن هذه القبائل لمتونة وجدالة ومسوفة ولمطة ومسراتة ومداسة وبنو وارث ... إلخ[3]. غير أن أهمية هذه القبائل تختلف حسب الدور الذي لعبته كل واحدة منها في تاريخ الدولة المرابطية. ومن أهم هذه القبائل نذكر:

- **جدالة:** وهي إحدى بطون صنهاجة[4]، كان أفرادها لا يستقر بهم مكان رحالة في الصحراء[5]، كما تأتي أهمية هذه القبيلة من حيث السبق في الدعوة المرابطية، فأغلب المصادر تؤكد على أن عبد الله بن ياسين استقر في البداية عند قبيلة جدالة التي يرأسها يحي بن إبراهيم[6]، حتى أن أحد الدارسين[7] سمى المرحلة الأولى من الدعوة بمرحلة جدالة.

---

1 – ابن خلدون: **العبر**، مج 6، ص 201.
2 – نفسه، ص 202. ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، ص 120.
3 – نفسه، ص 120.
4 – ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ق 3، ص 225.
5 – مجهول: **الحلل**، ص 19.
6 – ابن عذارى: **البيان**، ج 4، ص 8. ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، ص 123.
7 – عمر بن حمادي: **الفقهاء في عصر المرابطين**، شهادة تعمق في البحث (تاريخ وسيط)، إشراف: محمد الطالبي، جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 1987م، ص 80.

وأقام عبد الله بن ياسين عند جدالة داعيا فيهم، فشدد عليهم في ترك المعاصي والمنكرات، ونظرا لسطحية إسلامهم لم يتحملوا منه المشاق فانقلبوا عليه[1]، وبهذا باءت دعوته بالفشل فرحل عن جدالة[2]. وبالتالي كانت هذه القبيلة سباقة إلى الدعوة المرابطية إلا أن انقلابهم هذا نقل الزعامة الروحية إلى قبيلة لمتونة.

- **لمتونة**: تعد إحدى أهم قبائل صنهاجة[3]، وكانت لها مكانة مرموقة وزعامة على على غيرها من القبائل الصنهاجية[4]، وكانت مهنتهم الرعي ورأس مالهم الأغنام[5]. كان كان أول اتصال لعبد الله بن ياسين بلمتونة بشيخ القبيلة وهو يحي بن عمر اللمتوني الذي رحب به وأبدى استعدادا لقبوله، وبهذا قدم ابن ياسين إلى هذه القبيلة لتبدأ المرحلة الحاسمة من الدعوة بزعامة لمتونة[6]. وقدم عبد الله بن ياسين شيخ لمتونة لقيادة الحركة المرابطية عسكريا[7]. وبهذا أراد الزعيم الروحي لدعوته أن تكون لها عصبية مساندة قوية، معتمدا على بأس رجالها وشراسة قتالهم لبداية حركته التوسعية[8]. وبهذا انتقلت كما سبق وأن ذكرنا الزعامة الروحية للدعوة المرابطية من جدالة إلى لمتونة، وتواصلت هذه الزعامة منذ قيام الدولة إلى سقوطها، وكانت في يوسف بن تاشفين اللَّمتوني وأبنائه الذين كانوا أمراء هذه الدولة.

---

1 – ابن عذارى: **البيان**، ج 4، ص 9. ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، ص 124.

2 – البكري: **المغرب**، ص 165- 166.

3 – نفسه، ص 164. مجهول: **الاستبصار**، ص 213.

4 – عيسى بن الذيب: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية 480-540هـ/1056-1145م**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف: أحمد شريفي، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، السنة الجامعية: 1429-1430هـ/2008-2009م، ص 7.

5 – أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم ابن أبي الدينار: **كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ط 1، مطبعة الدولة التونسية، المحمية، 1286هـ/1869م، ص 164.

6 – ابن عذارى: **البيان**، ج 4، ص 8.

7 – ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، ص 126-127.

8 – ابن عذارى: **البيان**، ج 4، ص 11.

- **مسوفة:** تعد هي الأخرى من القبائل الصنهاجية[1]، ولا تختلف هذه القبيلة عن سابقاتها جدالة ولمتونة كون أهلها لا يعرفون استقرارا لأنهم رحل دائما[2]، كما أن أبناءها يمتهنون الرعي ويأكلون من لحم الأغنام ويشربون من ألبانها[3]. وتبوأت مسوفة مسوفة مكانة أساسية في المجتمع المرابطي لمساهمتها في الدعوة الدولة، وهذا ما جعل أبناءها يحتلون مراكز قيادية في الدولة[4].

- **لمطة:** وهي إحدى قبائل صنهاجة[5]، وعرفت لمطة بصناعة الدرق اللمطية[6]، وتكمن أهمية لمطة بانتساب الزعيم الروحي للدولة المرابطية وهو عبد الله بن ياسين إليها، وكذلك الفقيه وكاك بن زلو اللمطي، صاحب الفقيه أبو عمران الفاسي وأستاذ ابن ياسين[7]. فكان الشيخ موجها لتلميذه في محنته مع جدالة، فخاطب الثائرين من جدالة وهددهم، وأعلمهم أن من خالف أمر عبد الله بن ياسين فقد خالف الجماعة، وأن دمه مهدور[8]، ولم يكتف بهذا بل وجهه إلى قبيلة لمتونة وراسل شيخ القبيلة يحي ابن عمر اللمتوني في ذلك[9].

---

1 – ابن خلدون: **العبر**، ج 6، ص 202. أبو القاسم ابن حوقل النصيبي: **صورة الأرض**، ط 1، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، 1992م، ص 101.

2 – محمد بن عبد المنعم الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، ط 2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص 305.

3 – ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، ص 75 – 76.

4 – بوتشيش: **مباحث**، ص 17.

5 – ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، ص 121. ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص 101.

6 – **الدرق اللمطية**: تصنع الدرق من جلود حيوان اللمط وهو دابة دون البقر لها قرون رقاق حادة تكون لذكورها وإناثها، وكلما كبر هذا الحيوان طال قرنه حتى يكون أزيد من أربعة أشبار، وأجود الدرق وأغلاها ثمنا ما عمل من جلود الإناث المسنات التي طالت قرونها لكبر سنها حتى منعت الفحل أن يعلوها. ينظر: مجهول: **الاستبصار**، ص 214.

7 – ابن خلدون: **العبر**، ج 6، ص 270.

8 – البكري: **المغرب**، ص 166.

9 – ابن عذارى: **البيان**، ج 4، ص 9.

ب- صنهاجة والمصامدة بين التقرب والسيطرة:

لم نجد في المصادر التاريخية إلا ما تفرد به ابن عذارى عن أول تواصل للمرابطين مع قبائل المصامدة في البدايات الأولى للدعوة، حين قال: « فمر عبد الله بن ياسين ببلاد المصامدة بعد منصرفه من الأندلس فوجدهم يغيرون بعضهم على بعض يغنمون الأموال ويقتلون الرجال ويسبون الحريم ولا يرجعون إلى طاعة إمام. فكان من عبد الله بن ياسين بعض الإلهام أن قال لبعضهم: « ألا تعرفون الله ربكم ومحمد رسولكم عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام» قالوا له: « نعم عرفنا الله ربنا ومحمد نبينا ﷺ» فقال لهم عبد الله: « مالكم بدلتم وغيرتم؟ هلا قدمتم عليكم إماما يحكم بينكم بشريعة الإسلام وسنة النبي عليه السلام؟» فقال له بعض أشياخ المصامدة: « لا يرضى أحد منا ينقاد إلى حكم أحد من غير قبيله» فتركهم ورحل عنهم»[1]. وفي هذا النص نلاحظ نقطتين: الأولى أن ابن ياسين دعا قبائل مصمودة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما الثانية أن الشيخ عرض إمامة موحدة لكافة القبائل، وبالتالي هذا النص يؤكد يقينا أن اتصال الدعوة الصنهاجية بمصمودة كان منذ الانطلاقة الأولى ربما لتأكد صنهاجة أن نجاح دعوتها يجب أن يمر على القبائل المصمودية لقوتها وكثرة عددها في المنطقة.

مما يعزز فرضيتنا الأخيرة هو حرص صنهاجة على كسب ود المصامدة، إذ سارع الداعية الصنهاجي عبد الله بن ياسين منذ البدايات الأولى من دعوته بما تجمع لديه من أموال الزكاة والأعشار والأخماس وأرسلها إلى طلبة بلاد المصامدة وقضاتها[2]، وقضاتها[2]، وعلى خطى هذه السياسة أشرك الأمير يوسف بن تاشفين مجموعة كبيرة من قبائل مصمودة في جيش المرابطين[3]، ولم يكتف بهذا بل أوصى ابن تاشفين حين

---

1 – ابن عذارى: **البيان**، ج 4، ص 10.

2 – ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، ص 126.

3 – مجهول: **الحلل**، ص 33.

قاربته الوفاة ولي عهده علي بن يوسف بن تاشفين وصية في غاية الأهمية تعزز ما ذكرناه سابقا من مدى حرص الصنهاجيين على عدم إثارة قبائل مصمودة واسترضائها.[1]

ولكن أهل صنهاجة لم يسعوا إلى كسب ود المصامدة فقط، بل حاولوا أن يسيطروا عليهم ويراقبوهم باختطاط عاصمتهم مراكش بجوار موطن قبائل مصمودة، وبهذا تسهل مراقبتهم والحد من خطرهم[2]. ومما لا شك فيه أن قبائل مصمودة لم يستسيغوا أن تتم مزاحمتهم وتضييق الخناق عليهم للحيلولة دون نزولهم إلى السهول الخصبة، خاصة بالاجتياح الصنهاجي لسهل الحوز وما صاحبه من استغلال لموارده، ما أدى إلى حرمان مصمودة من هذا السهل الخصب واكتفائها بموارد الجبل الفقيرة، وهذا ما نتج عنه ضائقة اقتصادية لقبائل مصمودة[3].

ما نلاحظ أن دولة المرابطين اعتمدت على عصبية صنهاجية الجنوب، وهذا ما يطابق نظرية ابن خلدون حول قيام الدول بقوله: « أن المغالبة الممانعة إنما تكون بالعصبية لما فيها من النعرة والتذامر واستماتة كل واحد منهم دون صاحبة. ثم إن الملك منصب شريف مَلْذوذٌ ..... فيقع فيه التنافس غالبا، وقل أن يسلمه أحد لصاحبه إلا إذا غلب عليه، فتقع المنازعة وتفضي إلى الحرب والقتال والمغالبة، وشيء منها لا يقع إلا بالعصبية كما ذكرناه آنفا»[4].

وهكذا يمكن القول أن المغرب الإسلامي صار في وضعية جديدة إبّان عهد دولة المرابطين، فغلبت عصبية الدولة الصنهاجية على باقي العصبيات الأخرى، إذ شكلت صنهاجة عصب الدعوة والدولة المرابطية، خاصة قبائل جدالة ولمتونة ومسوفة،

1 – مجهول: **الحلل**، ص 82-83.

2 – ابن خلدون: **العبر**، ج 6، ص 245.

3 – بوتشيش: **مباحث**، ص 30.

4 – ابن خلدون: **المقدمة**، ص 156.

ورغم هذه الغلبة إلا أن صنهاجة لم تقص باقي القبائل الأخرى خاصة المصامدة، فحاولوا التقرب منهم ومراقبتهم، بل حاولوا السيطرة عليهم ومراقبتهم باختطاط عاصمتهم مراكش بجبال الدرن موطن المصامدة.

2. الأمراء من حركة دينية إلى ملك سياسي:

أ- السلوك الشخصي للأمراء:

بعد أن بينا سابقا أن الوضعية العصبية الجديدة للدولة كانت الدافع الأساسي والمنطلق الحقيقي للدعوة المرابطية، إذ شكل الصنهاجيون عصب الدعوة والدولة المرابطية، خاصة قبائل جدالة ولمتونة ومسوفة ولمطة، وقامت هذه الدولة على أساس دعوة دينية إصلاحية، معتمدة على مبدإ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسنحاول هنا رصد التحولات التي طرأت على تنظيمات المرابطين من الدعوة الدينية إلى الملك السياسي، ومحاولة مقارنة التحولات مع مبادئ المرابطين الأولى التي قاموا من أجلها، بهذا نتتبع سيرة وسلوك وسياسات ملوك صنهاجة، وهذا ما يطرح لدينا مجموعة من الإشكالات، أهمها:

كيف كان سلوك الأمراء المرابطين؟ هل مالوا للدين أم الدنيا؟ هل حادوا عن المبادئ الأولى للدعوة أم حافظوا عليها؟.

من خلال تتبعنا لما كتبه المؤرخون عن حال وسيرة ملوك صنهاجة الصحراء، سنحاول الإجابة على ما سبق ، ونبدأ بأول أمراء المغرب من صنهاجة وهو يوسف بن تاشفين اللمتوني حيث يصفه صاحب الحلل بأنه « كان رجلا فاضلا، خيرا، زكيا، فطنا، حاذقا، لبيبا، زاهدا، يأكل من عمل يده، عزيز النفس، ينيب إلى الخير والصلاح، كثير الخوف من الله عز وجل»[1].

---

1 – مجهول: **الحلل**، ص 81-82.

كما حكم علي بن يوسف بن تاشفين الدولة المرابطية بعد وفاة أبيه سنة 500هـ/1106م[1]، وسار على منحى أبيه في سياسته وجهاده، وزاد عليه في تقواه وزهده وورعه، « فجرى على سنن أبيه في إيثار الجهاد، وإخافة العدو، وحماية البلاد، وكان حسن السيرة، جيد الطوية، نزيه النفس، بعيدا عن الظلم، وكان إلى أن يعد من الزهاد والمتبتلين أقرب منه إلى أن يعد في الملوك والمتغلبين»[2].

أما الأمير الثالث تاشفين بن علي بن يوسف فاعتلى سدة الحكم بعد وفاة أبيه عام 537هـ/1142م[3]، وقد فاق أباه وجده في ورعهم وزهدهم رغم الظروف العصيبة التي مر بها حكمه أمام اشتداد ضربات الموحدين، وكانت نهاية عهده بقتله في رمضان عام 539هـ/1145م، وانتهى عهد دولة المرابطين بعد نهاية تاشفين بأقل من عامين[4]، إلا أنه « كان يسلك طريق ناموس الشريعة ويميل إلى طريقة المستقيمين وقراءة كتب المريدين وقيل أنه لم يشرب قط مسكرا ولا استمع إلى قينية ولا اشتغل بلذة صيدا ولا غير ذلك مما يلهو به الملوك من سائر اللهو»[5]. وهكذا رغم اختلاف النصوص في الحكم على الأمراء المرابطين وتوفيقهم من عدمه، إلا أنها أجمعت على الصفات الشخصية الحميدة لهؤلاء الأمراء، والتي في مجملها ذكر لمحاسن أصحابها، وتأكيد على تقواهم وورعهم وتبتلهم.

---

1 – مجهول: **الحلل**، ص 85.

2 – المراكشي: **المعجب**، ص 235.

3 – ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، 165. غير أن النويري يرى وفاة علي بن يوسف بن تاشفين كانت عام 535هـ/1138م. ينظر: أحمد بن عبد الوهاب النويري: **تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط (افريقية والمغرب – الأندلس – صقلية وأقريطش) (27–719هـ/647–1319م) من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق وتعليق: مصطفى أبو ضيف أحمد، ط 1، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م، ص 392.

4 – مجهول: **الحلل**، ص 133–134.

5 – ابن عذارى: **البيان**، ج 4، ص79.

ب-**الحكم عند الأمراء:**

وأمام هذا السلوك الشخصي لهؤلاء الحكام من ورع وتبتل وزهد، تتبادر إلى أذهاننا مجموعة من التساؤلات منها: هل أن سلوكهم الشخصي انعكس على سياستهم؟ أم كانت الغلبة في تسيير أمور حكمهم للدين أو للدنيا؟ وهل استطاعوا الحفاظ على مبادئهم؟ أم كانت الغلبة لضروريات الملك؟.

كان المرابطون على علاقة وطيدة بالخلافة العباسية، حيث كانت الخلافة تعترف بسلطة الأمير المرابطي على ما تحت سلطته، مقابل أن يلتزم الأمير المرابطي بالدعاء للخليفة العباسي على المنابر[1]، كما أطلق المرابطون لقب " الأمير " دون غيره على قادتهم منذ فجر حركتهم[2].

أما يوسف بن تاشفين لقب بـ " أمير المسلمين وناصر الدين "، ويرى ابن الخطيب أن هذا الأمر حدث سنة 466هـ/1073م، وبعد توالي الفتوح عليه طلب منه أشياخ قبيلته وأعيان دولته بأن يتلقب بلقب عظيم يميزه عن غيره وهو لقب " أمير المؤمنين "، إلا أنه رفض ذلك وذكرهم أن هذا اللقب خاص بخلفاء بني العباس أصحاب الحرمين، لكنه قبل لقب " أمير المسلمين وناصر الدين "، وأمر أن يخطب به في المنابر[3]، غير أن المؤرخ حسن أحمد محمود يرى أن تغير اللقب كان سنة 480هـ/1087م، وذلك لاستحالة تلقبه بأمير المسلمين وهو لازال تحت إمرة أبي بكر بن عمر والذي توفي في نفس السنة، كما دعم رأيه بانتصار يوسف الكاسح بمعركة

1 – طالب الخليفة العباسي عبد الله المستظهر بالله من الأمير المرابطي علي بن يوسف بالدعاء له على المنابر، في رسالة رسمية جاء فيها: « .... وأعلن بالدعاء لأمير المؤمنين على المنابر، تكن الظافر بالأعداء، والظاهر، والسلام عليك....». ينظر: مجهول: **الحلل**، ص 88.

2 – هذا ما تؤكده المسكوكة ضربت في عهد الأمير أبي بكر بن عمر سنة 451هـ/1059م بسجلماسة، ونقش عليها اسمه ولقبه بالوجه الأول. ينظر: حسين مؤنس: **سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين بالأندلس**، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1954م، مج 2، العدد 1 و2، ص 65.

3 – مجهول: **الحلل**، ص 29.

الزلاقة[1] سنة 479هـ/1086م الذي أهله لهذا اللقب[2]. ومهما اختلف المؤرخون في سنة تلقب يوسف بن تاشفين بـ " أمير المسلمين وناصر الدين " إلا أنهم أجمعوا على تلقبه به هو وخلفه من بعده إلى نهاية حكمهم عام 541هـ/1146م.

وهكذا نجد أن أمراء المرابطين تلقبوا بألقاب الملوك والسلاطين، وسيرتهم الشخصية كانت سيرة المتدينين والمتبتلين والزهاد، غير أننا هنا نتساءل: هل انعكست سيرتهم الشخصية على سياستهم؟ أم كان العكس؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات نبحث في سياسة يوسف بن تاشفين الذي يعد المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين، هل أخذ السلطة بالاستبداد؟ أم انتقلت إليه بسلاسة؟ وكيف كانت سياسته؟ أتفرد بالحكم لنفسه؟ أم ساس الدولة بمشورة الجماعة؟.

في هذا الشأن نجد أن أغلب المصادر أعلنتها صراحة أن يوسف بن تاشفين استبد بالملك، وأخذه غصبا من ابن عمه أبي بكر بن عمر[3]. وبهذا ناقض يوسف سيرته الشخصية التي اتسمت بالرجل المتدين بينما في الملك فكان الغاصب. ولم يكتف ابن تاشفين بهذا بل ذكر صاحب الحلل، أنه « بعث إلى الصحراء للمتونة ومسوفة وجدالة وغيرهم يعلمهم بما فتح الله عليه من ملك المغرب وطاعة أهله ويؤكد عليهم في القدوم فوفد إليه منهم جموع كثيرة ولاهم الأعمال وصرف أعيانهم في مهمات الأشغال فاكتسبوا الأموال وملكوا رقاب الرجال»[4]، فقويت شوكته وعظم أمره واشترى عبيد السودان وعلوج الأندلس فأركبهم فرسانا وهكذا ظهرت عليه أبهة الملوك[5]، وحكم

1 – **الزلاقة:** بطحاء من إقليم بطليوس من غرب الأندلس، وعن أحداث الموقعة. ينظر: الحميري: **الروض المعطار**، ص 287-292.

2 – حسن أحمد محمود: **قيام دولة المرابطين – صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**–، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1957م، ص 16.

3 – مجهول: **الحلل**، ص 25. ابن خلدون: **العبر**، ص 245. ابن عذارى: **البيان**، ج 4، ص 24.

4 – مجهول: **الحلل**، ص 33.

5 – نفسه، ص 25.

بلاد المغرب ولمدة ثلاثين عاماً، وتوسع سلطانه فشمل المغرب والأندلس وإقليم الصحراء، فلم يهن عليه أن يترك أمر خلافته لغير ابنه، فأخذ البيعة لولده علي بقرطبة سنة 496هـ/1102م، فبايعته جميع أمراء لمتونة وأشياخها[1]. وبهذا الأمر تحولت السلطة إلى مؤسسة وراثية يورثها الأب إلى الابن، وبهذا تحول أمر المرابطين من حركة دينية إلى ملك سياسي.

واقتدى علي بأبيه فأمر بولاية العهد من بعده لابنه أبي محمد سنة 522هـ/1127م[2]، إلا أن هذا الأخير توفي فطالب أشياخ المرابطين وعامتهم وهتفوا باسم تاشفين ليكون ولي عهدهم وكان لهم ذلك عام 533هـ/1138م[3]، وكما لم يشذ تاشفين عن أسلافه فأخذ البيعة لابنه إبراهيم قبل وفاته بشهر وهو بوهران عام 539هـ/ 1144م، إلا أن عمه إسحاق بن على بن يوسف بن تاشفين خرج عليه ووقع الخلاف بينهم، إلى أن انتهت دولتهم على يد الموحدين سنة 541هـ/1146م[4].

وبهذا نستطيع أن نقول أن سلطة المرابطين انطلقت من منطلقات دينية لتتحول إلى ملك سياسي، وهذا ما لاحظناه من خلال ممارسات الأمراء، الذين كرسوا ولاية العهد وتوريث السلطة في الأعقاب، وكان نظامهم أميري وخطبوا للخلفاء العباسيين على المنابر، وسيطروا على المغرب الأقصى وجزء من المغرب الأوسط، ولعل دراسة الوضع الاجتماعي وعلاقة السلطة بالمجتمع ستوضح لنا أكثر صورة هذا التحول الجديد.

---

1 – ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، ص 156.

2 – ابن عذارى: **البيان**، ج 4، ص 78.

3 – نفسه، ص 97–98.

4 – مجهول: **الحلل**، ص 135.

3. مجتمع بين الطبقة الحاكمة والرعية:

لا شك أن تحول المرابطين من الإصلاح إلى الملك في الجانب السياسي كما أوضحناه في العنصر السابق انعكس على الجانب الاجتماعي للمجتمع المرابطي، فنتج عنه فئتان اجتماعيتان متباينتان، الأولى تمثلت في الطبقة الأرستقراطية التي استفادت من جملة امتيازات نتيجة هذا التحول، أما الأخرى فتمثلت في الطبقة العامة التي حرمت من الامتيازات الأخيرة.

وبهذا انقسم المجتمع إلى فئتين كبيرتين يتفرع كل منهما إلى فئات صغرى، الأولى فئة سيطرت على الثروة والجاه وتدعى طبقة " السلطان "، وتقابلها طبقة محرومة تسمى بـ" الرعية"[1]. وقد تشكلت علاقة بين الطبقتين، فالأولى حاولت استغلال جاهها في قضاء مصالحها، والثانية حاولت التقرب من الفئة الأولى طمعا أن يشملها كرمها وتستفيد مما تنعم به هذه الفئة، وبهذا تشكلت علاقة زبونية بين الفئتين.

وذكر لنا صاحب كتاب الحلل الموشية استغلال رجال صنهاجة الجنوب – وهم أصحاب الدعوة– لنفوذهم وجاههم في جمع الأموال، حيث أنه ما إن قدمت صنهاجة الجنوب على يوسف بن تاشفين « ولاهم الأعمال، وصرف أعيانهم في مهمات الأشغال، فاكتسبوا الأموال، وملكوا رقاب الرجال. وكثروا بكل مكان»[2]، وزاد الحال على ذلك حتى أن المراكشي اعتبر « استيلاء أكابر المرابطين على البلاد»[3] من أسباب زوال ملكهم. وهكذا استغل الصنهاجيون انتماءهم القبلي في كسب الأموال والتحكم في الرجال، ولم يكتف رجال صنهاجة فقط من هذه الامتيازات الاجتماعية، بل

1 – حول مصطلحات التراتب والتفاوت الاجتماعي المغربي. ينظر: بوتشيش: **مباحث**، ص 120 وما بعدها.

2 – مجهول: **الحلل**، ص 33.

3 – المراكشي: **المعجب**، ص 241.

حتى عبيدهم وحشمهم حاولوا استغلال سلطة أسيادهم من صنهاجة، بوضعهم اللِّثام على وجوههم فهابهم الناس[1].

أما الفئة الأخرى التي جمعت بين الحظوة السياسية والنفوذ الاقتصادي والاجتماعي فيمثلها الفقهاء[2] المتعاونون مع الدولة المرابطية، الذين بفضلهم قامت الدولة وقوي عودها، فما كان من المرابطين سوى رد الجميل لهؤلاء الفقهاء الذين عملوا على شرعنة هذا النظام ومؤازرته. ولقد بلغ نفوذهم في أيام يوسف بن تاشفين « مبلغاً عظيما لم يبلغوا مثله في الصدر الأَول من فتح الأَندلس. ولم يزل الفقهاءُ على ذلك، وأُمورُ المسلمين راجعة إِليهم، وأَحكامُهم صغيرُها وكبيرُها موقوفةٌ عليهم، طول مدتهم، فعظم أَمر الفقهاءِ كما ذكرنا، وانصرفت وجوهُ الناس إِليهم، فكثرت لذلك أَموالهم، واتسعت مكاسبهم»[3]. ويبدو أن عامة الناس كانوا مستائين من هذه الوضعية الاقتصادية والاجتماعية المتميزة لهؤلاء الفقهاء، وقد عبر عن هذا الاستياء الشاعر ابن خفاجة (ت 533هـ/1139م)، حين قال:

درســـــوا العلــوم فملكــوا بجدالهــمْ　　　بـــهــا صـــدور مــراتبٍ ومجالــسِ
وتـزهـــدوا حتى أصابـــوا فــرصــةً　　　في أخــذ مــالِ مساجـدٍ والكنائــسِ [4]

ووصفهم الشاعر أبو جعفر أحمد المعروف بابن البني من مدينة جيان بالعدوة الأندلسية حين هجاهم قائلا:

أَهــلَ الريـــاءِ لبستُمــوا ناموسَكُـم　　　كالذئب أَدلــج في الظـلام العاتـم

---

1 - محمد بن أحمد التجيبي ابن عبدون: **رسالة في الحسبة**، نشر: ليفي بروفنصال، ط 1، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م، ص 28.

2 - قاد المهدي حملة تشويهية لكل شيء ارتبط بالمرابطين، ونال الفقهاء ومذهب مالك نصيب الأسد من هذه الحملة المخطط لها والممنهجة، لأنه رأى أن إسقاط الدولة المرابطية لا يتأتى إلا بكسر عصبها وهو مذهب مالك وفقهائه وهو ما نجح فيه. ينظر: محمد زنير: **الخلفية الاجتماعية الثقافية لحركة المهدي بن تومرت**، مجلة المناهل، العدد: 24، السنة التاسعة، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، رمضان 1402هـ/يوليو 1982م، ص 130-132.

3 - المراكشي: **المعجب**، ص 235.

4 - المقري: **نفح الطيب**، مج 3، ص 303.

فملكتُمو الدنيا بمذهبِ مالكٍ وقسمتموا الأَموال بابن القاسم
وركبتمو شُهْبَ الدوابِ بأشهبٍ وبأصبغٍ صبغتْ لكم في العالم[1]

وفي هذه الأبيات وغيرها التي تهجي الفقهاء وتتهمهم صراحة بالاستيلاء على الأموال وأخذهم الرشوة، نوافق فيها ما ذهب إليه الباحث التونسي عمر بن حمادي حين أقرّ أنه لم ير فيها سوى صدى للدعاية الموحدية المعادية للمرابطين وفقهائهم[2].

إلى جانب أولائك الشعراء فقد احتفظ لنا كذلك المؤرخون في كتبهم بنماذج متعددة من هؤلاء الفقهاء، ووصفوا لنا بدقة كيف كان لهم الحظوة والجاه السياسي والاقتصادي والاجتماعي، فولوا من أرادوا، وعزلوا من أبغضوا، وأخذوا ما رغبوا فيه، فهذا أبو عبد الله بن حمدين: « حامي حِمى الدّين، وعاضِدُهُ، وقاطعُ ضَررِ المُعْتدين، وحاصدُهُ.... أَقامَ وأَقْعَدَ، وأَدْنى وأَبْعَدَ، وأنْحَسَ وأسْعَدَ....»[3].

إذا كان هذا هو حال هذه الفئة من الفقهاء، فإن كتب التراجم حفظت لنا مجموعة أخرى من الفقهاء لم تنل أي شيء من امتيازات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، لأنها لم تسر في فلك السلطة فبعضها كان معارضاً لها وآخر زاهداً في الدنيا[4]. بل حظي بعضهم بمحبة الخاصة والعامة[5]. وهكذا نجد في الفقهاء نماذج

1 – المراكشي: **المعجب**، ص 235.

2 – عمر بن حمادي: **الفقهاء المرابطين**، ص 366. بل إن المؤرخ محمد الأمين بلغيث اعتبر كثرة نضم الشعر في فقهاء عصر المرابطين بين المدح والهجاء هو دليل على المكانة العالية التي يتمتع بها هؤلاء. ينظر: بلغيث: **الحياة الفكرية**، ج 1، ص 320.

3 – أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي ابن خاقان: **قلائد العقيان في محاسن الأعيان**، حققه وعلق عليه: حسين يوسف خريوش، مج 2، ق 3، ط 1، مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 1409هـ/1989م، ص 610.

4 – القاضي عياض: **ترتيب** المدارك، ج 8، ص 200–201. ابن الزبير: **صلة الصلة**، مج 3، رقم: 249، ص 111.

5 – نفسه، رقم: 56، ص 32.

متعددة[1]، منها من سار في فلك والسلطة وتمتع بامتيازات، فحاول الناس التقرب منهم بطرق عديدة كتقديم الهدايا، التي يسميها البعض هدايا، وقد يسميها البعض الآخر رشوة، وكما نجد نموذجا آخر كان على النقيض من الأول لم يسر في فلك السلطة، بل فيهم من كان معارضا لها، فلم ينل أي شيء من الامتيازات، غير أن ما جمع هذين الصنفين المتناقضين مكانتهم الاجتماعية العلية، فهؤلاء الفقهاء كانوا يمثلون صنفا اجتماعيا أكثر حظا من بقية أصناف المجتمع المرابطي الأخرى.

كما كان للأميرات المرابطيات نفوذهن وجاههن في قضاء حوائجهن نظراً لمكانتهن الرفيعة في المجتمع المرابطي، وقد بالغ فيهن صاحب كتاب المعجب حين وصفه لاختلال أحوال المرابطين لما قال: « استولى النِّساءُ على الأَحوال وأُسندت إليهن الأُمور، وصارت كلُّ امرأَة من أَكابر لمتونة ومسّوفة مشتملةً على كل مفسدٍ وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمرٍ وماخور»[2]، ولم تذكر المصادر التي بين أيدينا إمرأة واحدة ينطبق عليها هذا القول. وهكذا يتضح لنا جليا أن هذا الرأي فيه كثير من التجريح في حق المرأة المرابطية، وقد جاء في إطار الدعاية الموحدية المغرضة ضد المرابطين التي اتخذ إمامها ابن تومرت من سفور المرأة المرابطية ذريعة لمهاجمة الموحدين[3].

وعلى ذكر المرأة المرابطية لا يمكننا تجاوز زينب بنت إسحاق النفزاوية الهوارية، وهي إحدى نساء العالم المشهورات بالجمال والرياسة، والتي كان يردد دائما في شأنها

---

1 – لمزيد من التفصيل والمناقشة حول الفقهاء ومكانتهم الاجتماعية وأصنافهم ونماذج من كل صنف. ينظر: عمر بن حمادي: **الفقهاء المرابطين**، ص 259 وما بعدها. بلغيث: **الحياة الفكرية**، ج 1، ص 291 وما بعدها. محمد محمود عبد الله بن بيَّة: **الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين**، ط 1، دار الأندلس الخضراء، جدة، دار ابن حزم، بيروت، 1421هـ/2000م، ص 167 وما بعدها.

2 – المراكشي: **المعجب**، ص 241.

3 –. بلغيث: **الحياة الفكرية**، ج 1، ص 476. عصمت عبد اللطيف دندش: **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (430–515هـ/1038–1121م)**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/1988م، ص 136.

زعيم الدولة يوسف بن تاشفين أمام وجهاء الدولة أن المغرب قد فتح بمالها وحسن تدبيرها[1]، فهي المرأة الأولى ذات الجاه والقوة في دولة المرابطين، وصاحبة الانقلاب الأبيض الذي أوصل زوجها يوسف إلى سدة الحكم، ودفعت زوجها السابق الأمير أبي بكر بن عمر للتخلي عن الحكم بعد رجوعه من الصحراء، ولم تكتف بهذا بل شاركت زوجها أمور الحكم، وأدت دور المستشار له، فكلما بدت له مشكلة لجأ إليها لتقدم له المشورة والحل الممكن فيمتثل لنصائحها[2]، وهنا لا يمكننا إلا أن نقول: لولا سلطة المرأة الصنهاجية ومكانتها في مجتمعها لما أنجبت لنا هذه الدولة امرأة بهذه القوة والجاه.

ولقد كانت الدعاية الموحدية ضد المرابطين قوية، فاتهموهم بمعاقرة الخمور ووصفوهم بالزراجنة، وأول من أطلق هذا الاسم على المرابطين الإمام المهدي بن تومرت، وكان ذلك في عهد الأمير علي بن يوسف[3]. ويمكننا القول أن المهدي بن تومرت قد نجح في تشويه الصورة الأخلاقية للمرابطين، غير أننا نتساءل: هل حقا كان المرابطون زراجنة؟ وإلى أي مدى تفشت الخمرة في هذا المجتمع؟ وأي رد فعل مرابطي رسمي ضد هذه الظاهرة؟.

وجدنا بعض الحالات القليلة جداً لتعاطي الخاصة للخمور في العصر المرابطي، وكل هذه الحالات أصحابها إما تأثروا بالبيئة الأندلسية أو ترعرعوا فيها، فهذا الأمير أبو بكر بن إبراهيم المسّوفي (ت 510هـ/1116م) ابن عمّ وصهر الخليفة علي بن يوسف بن تاشفين، ولي غَرناطة سنة 500هـ/1106م، ثم انتقل منها

---

1 – محمد الأمين بلغيث: **دولة المرابطين بالأندلس من مدينة السياسية إلى مدينة العلم**، ط 1، دار الوعي، الجزائر، 2009م، ص 23. بوتشيش: **المغرب والأندلس**، ص 49.

2 – بلغيث: **الحياة الفكرية**، ج 1، ص 475.

3 – ابن القطان: **نظم الجمان**، ص 132.

إلى سرقسطة « فأقام بها مراسيم المُلك، وانهمك في اللّذات، وعكف على المُعاقرة، وكان يجعل التَّاج بين ندمائه، ويتزيًّا بزي الملوك»[1].

لا شك أن السلطة المرابطية لم تدخر جهدا في الدعوة إلى محاربة ظاهرة معاقرة الخمور، فمنذ الوهلة الأولى للدعوة المرابطية كان من أهم أهدافها محاربة ظاهرة الخمور وجميع مظاهر الترف، فهذا الأمير يحي بن عمر لما دخل سجلماسة « غيَّر ما وجد بها من منكرات وقطع المزامير وأحرق الديار التي كانت تباع بها الخمر»[2]. وكذلك الأمير تاشفين بن علي حاول الدعوة إلى محاربة الظاهرة رغم أن الدولة كانت تحتضر في عهده، فبعث برسالة أميرية مطولة إلى الفقهاء والوزراء والأخيار والكافة ببلنسية، يحث فيها على الإقلاع عن عادة الخمر، ويفضح مساوئها[3].

غير أن هذا لم يثن الموحدين وفي مقدمتهم إمامهم المهدي بن تومرت في تتبع مثالب الدولة المرابطية وقدحها وذمها في كل مناسبة ومجلس، ففي مجادلة له مع قاضي ألميرية، وأمام مرأى الأمير علي بن يوسف بن تاشفين قال محمد: « هل بلغك يا قاضي أن الخمرة تباع جهارا، وتمشي الخنازير بين المسلمين، وتؤخذ أموال اليتامى»[4]. نلاحظ في هذا الخطاب بعداً تحريضياً ودعائياً باستعمال ورقة الخمر ومفاسد أخرى بغرض تقويض ملك المرابطين. وفي إطار حملة المهدي الدعائية ضد المرابطين، نجد أنه خصص في كتابه " أعز ما يطلب " خمس أبواب كاملة في الخمر[5]. وكأنه في هذا

1 – لسان الدين بن الخطيب: **الإحاطة**، مج 1، ص 405.

2 – ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص 128.

3 – وردت الرسالة عند: محمد عبد الله عنان: **عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس**، ق 1، ط 1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1383هـ/1964م ص 549-550.

4 – أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، مج 5، تحقيق: إحسان عباس، د ط، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م، ص 50

5– ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص 362-382.

الكتاب يذكِّر النظام القائم المرابطي بتغافله عن محاربة هذه الظاهرة المحرمة بإجماع الكتاب والسنة، ويعطي الحق لأي كان بتغيير هذا المنكر.

وهكذا يتضح لنا أن المغرب الإسلامي في عهد المرابطين قد شهد الكثير من التغيرات على الصعيد الاجتماعي، كاتساع الهوَّة بين فئات المجتمع، وظهور العديد من الآفات والانحرافات أهمها معاقرة الخمرة، وهذه النقائص استعملها الموحدون كورقة سياسية لتقويض حكم المرابطين.

4. مجتمع بين فقهاء الفروع وعلم الكلام:

لطالما كان الفكر دائما انعكاسا للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة، وهكذا ساعدت الأوضاع السائدة في المغرب خلال حكم المرابطين على ازدهار الحياة الفكرية خاصة بعد توحيد العدوتين، ودائما لكل نظام قائم له فكر رسمي خاص به. غير أننا نتساءل: هل تأثر الفكر بالحكم وشؤونه؟ وكيف تعامل المرابطون مع أفكار وعقائد النخبة والمجتمع؟ وهل كان للصنهاجيين " فكر رسمي" خاص بنظامهم؟ وإن كان لهم ذلك ما أهم معالمه ومظاهره؟.

يرجع الفضل في نجاح دعوة المرابطين وقيام دولتهم وإرساء كيانها لرجال مذهب مالك، الذين كان لهم الدور القيادي، فقربهم الحكام إليهم ونالوا الجاه والحظوة، وهذا ما ذكرناه سابقا وذهبت إليه أغلب المصادر، فهذا ابن الخطيب يحدثنا على ما بلغه الفقهاء من حظوة أيام يوسف بن تاشفين، فيقول: « كان يفضل الفقهاء، ويعظم العلماء، ويصرف الأمور إليهم، ويأخذ فيها برأيهم، ويقضي على نفسه بفتياهم»[1].

وسار ابنه علي بن يوسف بن تاشفين في هذا الأمر على سيرة أبيه[2]، وزاد عليه حتى قال فيه صاحب كتاب المعجب: « واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين، وكان لا

1 – مجهول: **الحلل**، ص 82.

2 – ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، ص 157.

يقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء، فكان إذا ولَّى أحداً من قضاته كان فيما يُعْهَدُ إليه ألا يقطع أمراً ولا يبت حكومةً في صغيرٍ من الأُمور ولا كبير إلا بمحضر أَربعة من الفقهاءِ، فبلغ الفقهاء في أَيامه مبلغاً عظيما لم يبلغوا مثله في الصدر الأَول من فتح الأندلس. ولم يزل الفقهاءُ على ذلك، وأُمورُ المسلمين راجعة إليهم، وأَحكامُهم صغيرُها وكبيرُها موقوفةٌ عليهم، طول مدته، فعظم أَمر الفقهاءِ كما ذكرنا، وانصرفت وجوهُ الناس إليهم، فكثرت لذلك أَموالهم، واتسعت مكاسبهم»[1].

بعد أن تحدث المراكشي عن علاقة الفقهاء بالسلطة المرابطية، أضاف لنا نصا في غاية الأهمية، حاول أن يبرز فيه مميزات وخصائص المالكية المرابطية أو ما أطلقنا عليه سابقا " الفكر الرسمي". فقال: « ولم يكن يَقْرب من أَمير المؤمنين ويَحْظَى عنده إلا من عَلِم علم الفروع، أَعنى فروع مذهب مالك، فنَفَقتْ في ذلك الزمان كُتب المذهب وعُمل مقتضاها ونُبذ ما سواها، وكثرَ ذلك حتى نُسي النظر في كتاب الله وحديثِ رسول الله ﷺ، فلم يكن أحدٌ من مشاهير أهل ذلك الزمان يعتني بها كل ذلك الاعتناء، ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كلِّ من ظهر منه الخوض في علم من علوم الكلام، وقرَّر الفقهاءُ عند أَمير المسلمين تقبيحَ علم الكلام وكراهةَ السَلف له وهجرَهم من ظهر عليه شيءٌ منه، وأَنه بدعة في الدين وربما أَدَّى أَكثره إلى اختلال في العقائد، في أَشباهٍ لهذه الأَقوال، حتى استحكم في نفسه بُغْض علم الكلام وأَهله، فكان يُكتب عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في نبْذ الخوض في شيء منه، وتوعَّد من وُجد عنده شيء منه من كتبه ....»[2]. لهذا النص أهمية بالغة في توضيح بعض معالم مالكية المرابطين، إلا أننا نلحظ فيه محاولة رسم صورة قاتمة للمناخ الفكري الديني السائد أيام المرابطين.

1 – المراكشي: **المعجب**، ص 235.

2 – نفسه، ص 236-237.

وعلى العكس من ذلك نجد أن السلطة المرابطية أبدت بعض التسامح مع أصحاب المذاهب الأخرى السنية غير المالكية، فهذا الفقيه أحمد بن الطاهر بن عيسى الأنصاري الدّاني (ت 532هـ/1137م)، قال فيه القاضي عياض معاصره: « وكان علم الحديث أغلب عليه ويميل في فقهه إلى الظاهر. وله تصانيف في الحديث منها أطراف الموطأ ، ورجال مسلم»[1]، وأضاف المراكشي عن ذلك في قوله: « وتقلّد بدانية ولاية خطة الشورى وأفتى بها نيفاً وعشرين سنة، وعرض عليه قضاؤها فامتنع منه، وله على الموطأ تصنيف سماه: " الايماء"»[2]. وأمام شهادة عياض المهمة في ابن الطاهر على أنه كان على المذهب الظاهري وخاصة أن عياض أدرجه في قائمة شيوخه في كتابه " الغنية " وجالسه كثيراً، هنا نتساءل لو أن السلطة المرابطية متعصبة ضد أي مذهب غير المالكي، هل كانت لتسمح لغير مالكي بترؤس خطة الشورى لمدة فاقت عشرين سنة؟ إن الجواب سيكون بالنفي طبعاً.

وبهذا يمكننا القول على الأقل، أن موقف السلطة ضد المذاهب الأخرى لم يكن موقفا متعصباً، ولكي نوضح الصورة أكثر ونضع نص المراكشي السابق في الميزان ارتأينا أن نأخذ شخصية أخرى لا تقل أهمية عن ابن الطاهر، وهو الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن جعفر بن أحمد القيسي القلعي والمعروف بابن رمامة (479-567هـ/1086-1171م)، كان على المذهب الشافعي، ولم تكن له أي رحلة خارج بلاد المغرب والأندلس فتتلمذ على يد علمائها، وألف كتاب " التسهيل في تحصيل المذهب "، وكتاب " التبيين في شرح التلقين "، كما كان له اهتمام كبير بكتب الغزالي، فاختصر كتاب " الإحياء "، ودرس كتاب " البسيط "[3].

1 – القاضي عياض: **الغنية**، رقم: 43، ص 118.

2 – ابن عبد الملك: **الذيل والتكملة**، س 1، رقم: 194، ص 129-131.

3 – نفسه، س 8، رقم: 123، ص 325-327. ابن الزبير: **صلة الصلة**، مج 3، رقم: 8، ص 07-08.

وهكذا أقرت المصادر باهتمام ابن رمامة بكتب الغزالي الذي كان محل سخط من المرابطين، إلا أن أهم ما استوقفنا عند ابن عبد الملك قوله: « استخلصه أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين، فكان من اخص مجلسه لديه. ثم قدمه للقضاء بفاس سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة فتقلده ...»[1]، وبالرجوع قليلا لشخصية الأمير علي بن يوسف التي رسمها لنا عبد الواحد المراكشي، على أنه كان تحت سلطة ونفوذ فقهاء الفروع فعاد كل ما هو غير مالكي، وأمام وجود هذا الفقيه الشافعي في مجلس الأمير الخاص، فما كان منا إلا تفنيد روايات عبد الواحد التي تجمع عن تعصب المرابطين لمذهبهم، وخاصة أننا أشرنا في الكثير من المرات لتعصب هذا المؤرخ للأعداء المرابطين، وبهذا يمكننا أن نجزم بأن عصر المرابطين كان عصر تسامح مع المذاهب السنية غير المالكية.

ورغم ذلك حاول بعض الدارسين الاعتماد على نصوص عبد الواحد المراكشي وخاصة النص الأخير[2] في وصفهم للحياة الفكرية والدينية لهذا العصر، وحاولوا إضافة بعض الأدلة الداعمة لهذا الرأي، فبالنثيا في كتابه تاريخ الفكر الأندلسي أتى برسالة "ابن طُمْلُوس" تحدث فيها عن دخول علم أصول الدين للأندلس فاعتقدوا فيه أنه كفر وزندقة، ووصف الأشاعرة بأنهم « زنادقة الورى»[3].

وأمام النص الأخير لعبد الواحد، الذي كان مرجعية لكل من انتقد الحياة الفكرية الدينية المرابطية، نجد أنه تحدث عن تعصب المرابطين لعلم الفروع دون غيره، فأهملوا علوم القرآن والحديث، وكفروا كل من خاض في علم من علوم الكلام، وهنا سنحاول أن نناقش آراء المراكشي ونرد أغلب أحكامه بالحجج والبراهين، محاولين إنصاف

---

1 – ابن عبد الملك: **الذيل والتكملة**، س 8، رقم: 123، ص 326.

2 – ينظر: التهميش (2)، ص 60.

3 – ينظر رسالة ابن طُمْلُوس التي نقلها آنخل جنثالث بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة: حسين مؤنس، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955م، ص 365.

المرابطين بإبراز الحقائق التاريخية دون تنصيب أنفسنا محامين على المرابطين، إنما كباحثين عن الحقيقة التاريخية.

أما علم الكلام، فكان له نصيب الأسد في انتقاد المرابطين، وعلى رأسهم ابن تومرت الذي رماهم بالمجسمة[1]، وركز على التوحيد كأنه يشير إلى فساد عقيدة المرابطين وشركهم، وكذلك عبد الواحد المراكشي ومن سار على دربه من مؤرخين معاصرين لفترة الدراسة واللاحقين معتمدين على نصوصه.

غير أننا برجوعنا إلى كتب التراجم وجدنا دخول علوم الاعتقاد لأول مرة إلى المغرب كان في بدايات العصر المرابطي على يد أبي بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي (ت 489هـ/1095م)[2]، وهو إمام علوم الاعتقاد على المذهب الأشعري، وكان المرشد الديني للمرابطين بالصحراء، وكان نظيره بالجناح المغربي أبا عبد الله محمد بن سعدون، إن لم يشتهر شهرة المرادي في الكلام، إلا أنه تتلمذ على يد أكبر المتكلمين في عصره، ومنهم: أبو بكر المطّوّعي تلميذ ابن فورك، وعلى عدد من تلامذة أبي عبد الله الأذري تلميذ الباقلاني[3]. وهنا نتوقف ونتساءل لو كان المرابطون معادين لعلم الكلام، فهل يسمحون لهذين المتكلمين الأشعريين بأن يأخذوا مناصب قيادية دينية في دولتهم؟ أكيد " لا "، وأكيد كذلك أن هذين الفقيهين ما كانا ليتركا

1 – مجهول: **الحلل**، ص 111.

2 – **المرادي**: هو صاحب كتاب " الإشارة في تدبير الإمارة "، وهذا الكتاب ألفه للمرابطين في سياسة الدولة ونظام الحكم، وقد عمل قاضيا في الدولة المرابطية، ورغم شهرته ودوره القيادي في هذه الدولة إلا أن المصادر المالكية تسكت عن ذكره، وأول من ألف دراسة مستقلة حول هذا الإمام في القدماء والمحدثين الباحث محمد الأمين بلغيث حول المرادي ومؤلفه. ينظر: أبو بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي: **كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة**، تحقيق: علي سامي النشار، ط 1، الدار الجديدة ودار الثقافة، الدار البيضاء، 1981م. شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني: **أزهار الرياض في أخبار عياض**، ضبطه وحققه وعلّق عليه: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ج 3، ط 1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1361هـ/1942م، ص 161. محمد الأمين بلغيث: **النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس**، ط 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

3 – عمر بن حمادي: **الفقهاء المرابطين**، ص 546–547.

المرابطين يتخبطون في التجسيم الذي رماهم به الموحدون، وبهذا نستطيع أن نجزم أن المرابطين لم يكن لهم موقف مبدئي معاد لعلم الكلام ورجاله.

وربما هناك من يشكك في هذا الرأي، ويقول ربما لضرورة إرساء أركان الدولة في بداياتها، وعدم معادات أي مخالف لهم حتى يستقر حكمهم فيظهروا نواياهم الحقيقية بمعاداة كل مخالف خاصة الأشاعرة. غير أننا برجوعنا إلى كتب الطبقات وجدنا أن المرابطين ساروا على سيرتهم الأولى اتجاه الأشاعرة، وحاولنا التركيز على زمن الأمير علي الذي ركزت عليه أغلب الروايات المنتقدة للمناخ الفكري المرابطي، وقد أخذنا بعض النماذج لشخصيات فقهية كان لها مناصب رفيعة في الدولة المرابطية رغم ميولاتها الأشعرية.

فمن هذه الشخصيات نذكر أبا محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن قاسم بن منصور (458-513هـ/1065-1119م) تتلمذ على يد أبي القاسم الخطيب فقرأ عليه الأصول، وذاكر بها أبا بكر المرادي نفسه، بعد سنة 500هـ/1106م ولي قضاء سبتة، ثم ولاه علي بن يوسف قضاء مراكش، ثم ولي قضاء سبتة للمرة الثانية سنة 512هـ/1118م إلى أن وافته المنية[1]. دون أن ننسى ابن رمامة الشافعي، الذي كان ضمن خاصة مجلس الأمير علي بن تاشفين، وقد تحدثت المصادر عن اهتمامه الكبير بكتب الغزالي وميولاته الكلامية[2]، وهكذا بعد عرضنا لهذه النماذج لا يمكننا بعدها قبول ما قاله عبد الواحد المراكشي أو غيره حول الأمير علي أنه لا يقرب إلا فقهاء الفروع دون سواهم، وأن بغض الكلام استفحل في نفسه، بتوعده من وجد عنده شيئا من كتب الكلام، وهذا ما نستطيع أن نسقطه على الحياة الفكرية في عصر المرابطين كافة، وبهذا يمكننا أن نقول بأن عصر المرابطين كان عصر تسامح مع

---

1 - عياض: **الغنية**، رقم: 58، ص 155-156.

2 - سبق وفصلنا في شخصية ابن رمامة. ينظر: ص 61-62.

المذاهب السنية غير المالكية، كما أن الأشعرية كان من أهم فتراتها الفترة المرابطية فقد كان ظهورها في بداية هذه الفترة، كما كان لمشايخها وتلامذتها الدور البارز في انتشارها بكافة المغرب، كما كان لهم أيضا الدور البارز في هذه الفترة على جميع الأصعدة في الحياة.

II- المجتمع الموحدي:

1. المجتمع تحت سلطة المصامدة:

تنتسب قبائل المصامدة إلى مصمود بن يونس وهم أكثر أهل البربر عددا[1]، كما يعدون من قبائل البرانس، إذ اعتمدت على حياة الاستقرار بتشييدها للعمائر وفلاحة الأرض[2].

وكانت قبائل مصمودة كثيرة العدد، وأخذت كل قبيلة أهميتها حسب سبقها إلى الدعوة، فمن انضم لدعوة المهدي بن تومرت قبل دخول مراكش خصهم بلقب أهل السابقة، وكانت لهم مكانة رفيعة في عهد الدولة الموحدية، وفي هذا يقول ابن خلدون: « خص بالمزية من دخل في دعوته قبل تمكنها وجعل علامة تمكنها فتح مراكش، فكان إنما اختص بهذا اللقب أهل السابقة قبل ذلك الفتح، وكان أهل تلك السابقة قبل فتح مراكش ثماني قبائل سبعة من المصامدة: هرغة وهم قبيلة الإمام المهدي، وهنتاتة وتينملل، وهم الذين بايعوه مع هرغة على الإجارة والحماية، وكنفيسة وهرزجة وكدميوة ووريكة. وثامنة قبائل الموحدين: كومية قبيلة عبد المؤمن كبير صحابته، دخلوا في دعوته قبل الفتح فكانت لهم المزية بسابقة عبد المؤمن وسابقتهم فاختص هذه القبائل بمزية هذه السابقة واسمها»[3]. ومن هذا النص نستخلص أن المكانة الرفيعة والخاصة في المجتمع الموحدي للقبائل المصمودية، كانت تتأتى حسب سبق القبيلة ومساهمتها

---

1 - ابن خلدون: **العبر**، ج 6، ص 275.
2 - نفسه، ص 297.
3 - نفسه، ص 359.

في دعوة المهدي بن تومرت، وأخذت السبع قبائل الصدارة في المجتمع لانضمامها للدعوة قبل دخول مراكش، إضافة إلى قبيلة عبد المؤمن بن علي وهي كومية، ومن هذه القبائل نذكر:

– **هرغة:** رغم أن عددها قليل بالنسبة إلى القبائل المصمودية الأخرى[1]، إلا أن أهميتها في المجتمع الموحدي تكمن في أنها قبيلة صاحب الدعوة المهدي بن تومرت[2]، وقد انضم منهم ستة رجال إلى مجلس الخمسين ذلك المجلس الاستشاري الذي أسسه المهدي المكون من القبائل ويلي في الأهمية مجلس العشرة[3].

– **تينملل:** استمدت مكانتها المرموقة في المجتمع الموحدي بإقامة الزعيم الروحي للدعوة المهدي بن تومرت بينهم، وأقام مسجده عندهم وبويع هناك، وهم ليسوا بقبيلة بل هم مجموعات قبلية تتكون من أحد عشر بطنا[4]، وتلقبت باسم الموضع الذي سكنته وهو تينملل[5]، وتكوين جماعة تينملل ربما كان قبل المهدي، وجذور توسيع إطار القبيلة ربما كان موجودا كذلك قبل المهدي، لكن ابن تومرت أراد أن يعمقها بفكرة تأسيس مجلس الخمسين الذي حاول به أن يربط القبائل في تنظيم أكبر[6].

– **هنتاتة:** وأخذوا لهم مكانة مرموقة في المجتمع الموحدي من كونها أعظم قبائل المصامدة وأكثرها عددا وأشدها بأسا وقوة[7]، وكذلك مكان شيخهم وقائدهم أبي حفص

1 – المراكشي: **المعجب**، ص 423.

2 – ابن خلدون: **العبر**، مج 6، ص 359.

3 – ابن القطان: **نظم الجمان**، ص 84.

4 – البيذق، **أخبار المهدي**، ص 34. المراكشي: **المعجب**، ص 423.

5 – نفسه، ص 255.

6 – عز الدين عمر موسى: **الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيمات ونظمهم**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1411هـ/1991م، ص 74.

7 – المراكشي: **المعجب**، ص 423.

عمر بن يحي صاحب الإمام ابن تومرت الذي يعد من جماعة العشرة والملقب عند الموحدين بالشيخ[1].

وحتى بعد وفاة الإمام المهدي لم يستطع عبد المؤمن أخذ الخلافة رغم ترشيح ابن تومرت له، فكان تدخل شيخ هنتاتة لصالح عبد المؤمن في أخذ البيعة له هو الحاسم والفيصل في تعيينه، كما أن أبا حفص حمل الموحدين على بيعة محمد بن عبد المؤمن لولاية العهد رغم رفضهم في بادئ الأمر[2]. وأمام عظيم جميل شيخ هنتاتة على عبد المؤمن وخلفه فما كان منهم إلا رد الجميل بتعيينه هو وأبنائه في مراكز القيادة، إلى أن انتهى بهم الأمر بتأسيس كيان مستقل لهم بإفريقية تحت راية الدولة الحفصية.

– **كدميوة:** أو جِدميوة[3]، كانت تابعة لسلطة هنتاتة وتينملل وذلك لاستقرارها في الجبل المحاذي لجبل هنتاتة[4]، وقسم آخر منها استقر في سهل جنوب مراكش، وبلغ عدد بطونها ستة وأربعين بطنا[5]، وكان لها رجلان في مجلس الخمسين[6].

– **جنيفسة:** أو كنيفسة وهي قبيلة عزيزة منيعة[7]، وخصهم المهدي بن تومرت بضم أربعة من رجالها المجلس[8].

– **وريكة:** وهي قبيلة مجاورة لهنتاتة، وكانت بينهم حروب قديمة وفتن متصلة، وهلك من الفريقين الكثير إلى أن انتهت بانتصار هنتاتة[9].

---

1 – ابن خلدون: **العبر**، ج 6، ص 360، 370.

2 – نفسه، ص 371.

3 – المراكشي: **المعجب**، ص 423. ابن القطان: **نظم الجمان**، ص 85.

4 – ابن خلدون: **العبر**، ج 6، ص 364.

5 – البيذق: ، **أخبار المهدي**، ص 44.

6 – ابن القطان: **نظم الجمان**، ص 85.

7 – المراكشي: **المعجب**، ص 340.

8 – ابن القطان: **نظم الجمان**، ص 85.

9 – ابن خلدون: **العبر**، ج 6، ص 365.

- **هسكورة:** بلد هسكورة تدعى بـ " ورزازات"[1]، وكانت لهم مكانة رفيعة في المجتمع الموحدي لأنهم أكثر قبائل المصامدة عددا[2]، وأكرمهم الإمام المهدي بتعيين ثلاثة من رجالهم في مجلس الخمسين[3].

- **كومية:** وهي قبيلة الخليفة عبد المؤمن بن علي[4]، وبه استمدت أهميتها ومكانتها ومكانتها القيادية، وتعود أصول هذه القبيلة إلى قبائل البتر وهم بطن من بني فاتن[5]، وقد تميزت هذه القبيلة بكثرة العدد ومضاء الشوكة، وكانت مضاربهم بالمغرب الأوسط[6]، وهم أصحاب فلاحة ورعاة غنم وأصحاب أسواق يبيعون فيها اللبن وسوى ذلك من سقط المتاع[7]، والجدير بالملاحظة هنا على الرغم من أن قبيلة كومية فرع بتري إلا أنها اشتغلت بالفلاحة، وبهذا نستطيع القول بأن نَعْت القبائل البرنسية بالاستقرار والقبائل البترية بالبداوة والترحال مسألة نسبية قابلة للاعتراض والجدل والتغير[8].

وهكذا يمكن القول أن المغرب الإسلامي صار في وضعية جديدة إبّان عهد دولة الموحدين الذين نشأت حركتهم بين قبائل جبل درن، فغلبت عصبية الدولة

---

1 – البكري: **المغرب**، ص 152.

2 – ابن خلدون: **العبر**، ج 6، ص 354.

3 – ابن القطان: **نظم الجمان**، ص 85.

4 – المراكشي: **المعجب**، ص 423.

5 – أبو العباس احمد بن خالد الناصري: **كتاب الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج 2، ط 1، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، ص 89.

6 – ابن خلدون: **العبر**، ج 6، ص 165–166.

7 – المراكشي: **المعجب**، ص 423.

8 – لمزيد من التفصيل، ينظر: موسى لقبال: **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص 59–60. رضا بن النية: **صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر (80–362هـ/699–973م) – دراسة اجتماعية–**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في المغرب الوسيط، إشراف: بوبة مجاني، جامعة قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، 1426–1427هـ / 2005–2006م، ص 10.

المصمودية على باقي العصبيات الأخرى، إذ شكل المصامدة عصب الدعوة والدولة الموحدية، واختلفت مكانة القبائل المصمودية فيما بينها حسب سبق القبيلة ومساهمتها في دعوة الإمام ابن تومرت، وأخذت السبع قبائل الصدارة في المجتمع لانضمامها للدعوة قبل دخول مراكش، ومن أهمها هرغة وهنتاتة وتنملل وهسكورة وإضافة إلى قبيلة كومية قبيلة عبد المؤمن بن علي؛ ولم تكن من المصامدة وأخذت مكانتها بفضل عبد المؤمن وأبنائه الخلفاء.

2. الخلفاء من حركة دينية إلى ملك السياسي:

أ- السلوك الشخصي للخلفاء:

بعد أن بينا سابقا أنَّ الوضعية العصبية الجديدة للدولة كانت الدافع الأساسي والمنطلق الحقيقي للدعوة الموحدية، إذ شكل المصامدة عصب الدعوة والدولة الموحدية، وقامت هذه الدولة على أساس دعوة دينية إصلاحية، معتمدة على مبدإ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسنحاول هنا رصد التحولات التي طرأت على تنظيمات الموحدين من الدعوة الدينية إلى الملك السياسي، ومحاولة مقارنة التحولات مع مبادئ الموحدين الأولى التي قاموا من أجلها، بهذا نتتبع سيرة وسلوك وسياسات خلفاء مصمودة، وهذا ما يطرح لدينا مجموعة من الإشكالات.

كيف كان سلوك الخلفاء الموحدين؟ هل مالوا للدين أم الدنيا؟ هل حادوا عن المبادئ الأولى للدعوة أم حافظوا عليها؟.

من خلال تتبعنا لما كتبه المؤرخون عن سيرة خلفاء المصامدة، سنحاول الإجابة على ما سبق، وقد كان الخليفة أبو يعقوب يوسف (558-579هـ/1163-1184م) كوالده عبد المؤمن بن علي (527-558هـ/1033-1163م) « كاملاً

فاضلاً عدلاً ورعاً جزلاً مستظهراً للقرآن .... مثابرا على الجهاد مشيعاً للعدل، مقسطاً فيه، فيذهب في زهده وورعه، وبسطه لعدله، وسداده في فضله، مذهب أبيه الخليفة»[1].

أما يعقوب المنصور (579-595هـ/1184-1199م) فكان قدوة كذلك في الأخلاق الحميدة والورع والتقى والتفاني في العمل وتسيير شؤون الحكم بما يرضي الله، حتى قال فيه ابن عذارى: « كان رحمه الله فاضلا عاقلا حازما عازما لا تأخذه في الله لومة لائم متواضعا لله مجاهدا في سبيل الله»[2]. أما المؤرخ المشرقي ابن خلكان فذكر في جميل خصاله وحسن صنعيه أنه « نصب ميزان العدل وبسط أحكام الناس على حقيقة الشرع ونظر في أمور الدين والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأقام الحدود حتى في أهله وعشيرته الأقربين كما أقامها في سائر الناس أجمعين»[3]. وبهذه الصفات الشخصية للخلفاء الأوائل الذين اكتفينا بهم، والتي في مجملها ذكر لمحاسن أصحابها، وتأكيد على تقوى وورع وحرص هؤلاء الخلفاء على إقامة الشرع والعدل بين الرعية، ولا تمييز عندهم بين العامة وذوي القربى، وكأن أصحاب بعض هذه النصوص يحاولون إسقاط السلوك الشخصي للخلفاء على سياساتهم.

ب- الحكم عند الخلفاء:

أسس الموحدون خلافتهم على عدم الاعتراف بأي من الخلافتين العباسية والفاطمية القائمتين في عهدهم، بل ذهبوا أكثر من ذلك فلم يعترفوا بأي خلافة سبقتهم سوى الخلافة الراشدة، التي كانت على العقيدة الصحيحة وسار الخلفاء الراشدون فيها بالناس على طاعة الله ورسوله، إلا أن من جاء بعدهم أظل الناس وسار بهم حسب الهوى، إلى أن جاء منقذ الأمة المهدي بن تومرت ليخرجها من الظلمات إلى النور[4]،

1 - ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، ص 165.

2 - ابن عذارى: **البيان الموحدي**، ص 229.

3 - ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج 7، ص 03-04.

4 - المهدي بن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص 299-300.

ولهذا تبنى الموحدون لقب" الخليفة "[1]، وكانوا يرون أنهم الأجدر به من غيرهم، لأن إمامهم جاء بالحق الذي انقطع في الأرض بعد نهاية عهد الخلافة الراشدة.

ولقب المهدي بن تومرت عبد المؤمن بن علي بلقب " أمير المؤمنين" يوم بعثه على رأس جيش الموحدين لخوض معركة البحيرة عام 524هـ/1130م[2]، غير أن ابن أبي زرع الفاسي يرى أن عبد المؤمن هو من سمى نفسه بـ" أمير المؤمنين" وكان ذلك سنة 528هـ/1134م، أي بعد عام واحد من أخذه البيعة العامة من طرف الموحدين[3]، كما لم يفوت الموحدون انتصارهم في موقعة الأرك[4]، سنة 591هـ/1194م[5]، حتى تبنوا لقبا جديدا وهو " الإمام "[6]، هذا اللقب له أبعاد دينية وسياسية والقصد منه تأكيد الإمامة التي تعد عماد وأهم أركان المهدوية.

وهكذا نجد أن الخلفاء الموحدين تلقبوا بألقاب الملوك والسلاطين، وعلى النقيض من ذلك في سيرتهم الشخصية فقد كانت سيرة المتدينين والمتبتلين والزهاد، هل انعكست سيرتهم الشخصية على سياستهم؟ أم كان العكس؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات ارتأينا أن نتتبع سياسة حكمهم وأنظمتهم ونقارنها مع سيرة الزهاد والمتبتلين من جهة، وفي المقابل نقارنها مع طبائع الملك وسير الملوك والسلاطين، لعلنا نجد في ذلك إجابة على تساؤلاتنا الأخيرة.

---

1 – وتعني لقب " الخليفة " عند الموحدين خلافة الإمام المهدي بن تومرت. ينظر: **مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية**، نشر: ليفي بروفنصال، ط 1، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941م، ص 162.

2 – المراكشي: **المعجب**، ص 260. لمزيد من التفسير والمناقشة. ينظر: عز الدين عمر موسى: **الموحدون في الغرب**، ص 123–124.

3 – ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، ص 187.

4 – **الأرك:** هو حصن منيع بمقربة من قلعة رباح، وهو أحد حصون النصارى بالأندلس. ولمزيد من التفصيل في الموقع وأحداث الموقعة. ينظر: الحميري: **الروض المعطار**، ص 27.

5 – مجهول: **الحلل**، ص 159.

6 – **مجموع رسائل موحدية**، ص 162.

اختلفت الروايات حول كيفية استخلاف عبد المؤمن بن علي للإمام المهدي بعد وفاته، فعبد الواحد المراكشي يؤكد أن بيعة عبد المؤمن كانت بوصية من المهدي بحضور أهل الجماعة وأهل الخمسين[1]، غير أن الرواية الثانية تقول أن بعض أصحاب المهدي بايعوا عبد المؤمن بيعة السر بعد وفاة المهدي وكتموا الخبر لثلاث سنوات[2]، حتى استقر الأمر لعبد المؤمن، فأعلنوا حينها الوفاة والبيعة معاً[3]. في حين ترى رواية ثالثة أن سبب اصطفاء عبد المؤمن دون غيره، يعود لمكانته الخاصة عند المهدي وتميزه على غيره، وكما قدمه للصلاة أثناء مرضه دون غيره[4].

ورغم موافقة عبد الواحد المراكشي للرواية الثالثة إلا أنه يضيف أن البيعة تمت لعبد المؤمن الكومي لغربته فيهم، ولكي لا تستأثر أي قبيلة موحدية بالسلطة[5]. وهذا مؤشر لوجود محتدم بين قبائل المصامدة حول الزعامة.

ومهما اختلفت هذه الروايات في اختيار عبد المؤمن من طرف المهدي بن تومرت أو من طرف أصحابه، غير أنها أجمعت على أنه كان لعبد المؤمن بن علي الكومي صفات ما وجدت في غيره، من صلاح وتقوى وورع ونضج وقوة، كان من القادة المقربين للمهدي بل أقربهم وأحبهم إليه رغم أنه غريب عنهم. وهنا نتساءل كيف كانت سياسة هذا الغريب؟ أتفرد بالحكم لنفسه؟ أم ساس الدولة بمشورة الجماعة؟ هل ترك الأمر من بعده لغيره؟ أم جعلها ملكا في أبنائه؟.

---

1 – المراكشي: **المعجب**، ص 262–264.

2 – يتفرد صاحب الحلل بإقراره أن إعلان وفاة المهدي تم في عام الوفاة ذاته أي عام 524هـ/1130م. ينظر: مجهول: **الحلل**، ص 143.

3 – البيذق: **أخبار المهدي**، ص 45–46. ابن القطان: **نظم الجمان**، ص 170. ابن عذارى: **البيان**، ج 4، ص 84.

4 – مجهول: **الحلل**، ص 143. ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، ص 184.

5 – نفسه.

ويبدو أن الخليفة عبد المؤمن حاول أن يمارس سلطته في تقسيم الغنائم وتولية أقربائه المناصب الرفيعة، إلا أنه وجد معارضة شديدة من الموحدين أنفسهم، وهذا ما جعله يعدل عن هذا الأمر، وفي ذلك مثلا يذكر لنا البيذق في فتح تلمسان سنة 539هـ/1145م، أنه لما « جاء إبراهيم إلى الخليفة أمير المؤمنين بالتوحيد، أعطاه الخليفة الخيل والعبيد والخباء وأنزله في موضع محمد بن أبي بكر بن ييگيت فتغاير إبراهيم أخو الخليفة مع محمد بن أبي بكر بن ييگيت، فقتله محمد بن أبي بكر بن ييگيت، فمن ذالك قسِمت المروس بالبنود»[1]. هذا ما يوضح لنا أن عبد المؤمن حاول أن يتقوى بأقاربه على المصامدة، ويذهب أحد الباحثين إلى أكثر من ذلك إذ يعتبرها مؤشر لتفكير الخليفة بتحويل خلافته إلى ملك وراثي، فبرفع أخيه إلى منزلة أهل الجماعة وأبنائهم فما هو إلا تقليص لنفوذ تنظيمات الموحدين الحزبية وهو لا زال لم ينته بعد من حربه مع المرابطين، لا يتوقع من عبد المؤمن أن يثير قضية ولاية العهد في هذا الوقت الحساس وخاصة أنها محل طمع الكثير من أشياخ الموحدين[2].

وقد سعى عبد المؤمن لإدخال عصبيات جديدة في خدمة الدولة من غير المصامدة، فيحول دون تفرد مصمودة بالقرار وبهذا تتغير موازين القوى في الدولة، وهذا ما نجح فيه عبد المؤمن باستمالة عرب بني هلال فبعد انتصاره الساحق عليهم عام 547هـ/1152م بسطيف، غنم منهم ما غنم « فقسم جميع الأموال على عسكره، وترك النساء والأولاد تحت الاحتياط، ووكل بهم من الخدم والخصيان من يخدمهم، ويقوم بحوائجهم، وأمر بصيانتهم، فلما وصلوا معه إلى مراكش، أنزلهم في مساكن فسيحة، وأجرى لهم النفقات الواسعة، وأمر عبد المؤمن ابنه محمداً، أنْ يكاتب أمراء العرب، ويعلمهم أن نساءهم وأولادهم تحت الحفظ والصيانة، وأنه قد بذل لهم الأمان

1 – البيذق: **أخبار المهدي**، ص 55.

2 – عز الدين عمر موسى: **الموحدون في الغرب**، ص 118.

والكرامة. فلما وصل كتاب محمد إلى العرب سارعوا إلى المسير إلى مراكش، فلما وصلوا إليها، أعطاهم عبد المؤمن نساءهم وأولادهم، وأحسن إليهم، وأعطاهم أموالاً جزيلة، فاسترق قلوبهم بذلك، وأقاموا عنده وكان بهم حفياً، واستعان بهم على ولاية ابنه محمد للعهد»[1]، ولم يكتف الخليفة بهذا الكرم والعطاء بل خرج أبو محمد عبد المؤمن بنفسه من مراكش إلى سلا لتشيع كبراء العرب وأمرائهم، « وفي نفسه أن يربط العهد الميمون الطاهر المصون، فلما وصل سلا انعقدت البيعة لابنه محمد على أوفى شروطها وربوطها»[2]. ومن خلال ما سبق لا يساورنا أدنى شك في أن عبد المؤمن من خلال توجهه نحو الشرق في فتوحاته، واستمالته لعرب بني هلال فصاروا له كحلفاء جدد، يصبو إلى تحقيق هدفه المنشود وهو تحويل الخلافة إلى ملك وراثي في أبنائه.

أما عن تفاصيل وحيثيات ولاية عهد عبد المؤمن بن علي لابنه محمد، لم نجد نصا فيها أكثر دقة وحيادا وتحررا من الرقابة الموحدية أكثر من نص المؤرخ المشرقي ابن الأثير، ففي خضم ذكره لأحداث عام 551هـ/1156م قال فيها: « وفي هذه السنة، أمر عبد المؤمن بالبيعة لولده محمد بولاية عهده، وكان الشرط والقاعدة بين عبد المؤمن وبين عمه أن يلي عمر الأمر بعد عبد المؤمن، فلما تمكن عبد المؤمن من الملك، وكثر أولاده، أحب أن ينقل الملك إليهم، فأحضر أمراء العرب من هلال، وزغب وعدي، وغيرهم إليه ووصلهم، وأحسن إليهم، ووضع عليهم من يقول لهم ليطلبوا من عبد المؤمن، ويقولوا له: نريد أن تجعل لنا ولي عهد من ولدك، يرجع الناس إليه بعدك، ففعلوا ذلك، فلم يجبهم إكراما لعمر، لعلو منزلته في الموحدين، وقال لهم: إن الأمر لأبي حفص عمر، فلما علم عمر ذلك، خاف على نفسه، فحضر عند عبد المؤمن وأجاب إلى خلع نفسه، فحينئذٍ بويع لمحمد بولاية العهد، وكتب إلى جميع بلاده

1 – ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، راجعه وصححه: محمد الدقاق، مج 9، ط 4، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م، ص 390-391.

2 – ابن عذارى: **البيان الموحدي**، ص 45-46.

بذلك، وخطب له فيها جميعا، فأخرج عبد المؤمن، في ذلك اليوم، من الأموال شيئا كثيرا»[1]. وهكذا تمت البيعة سنة 551هـ/1156م[2]، بتخطيط ودهاء كبير من الخليفة عبد المؤمن وحرص على التنويه دائما على أن هذا الأمر تم بطلب وإلحاح من غيره دون أن يأمر به يوماً.

ودائما في إطار خطة عبد المؤمن الرامية إلى الاستبداد بالسلطة لنفسه وأبنائه، كان من الحفاظ ثلاثة عشر ابنا للخليفة هيأهم لحكم الأقاليم[3]، وكان له ذلك فولى أبا محمد عبد الله على بجاية، واستعمل أبا حفص على تلمسان وأعمالها، وولى أبا سعيد على سبتة والجزيرة الخضراء ومالقة، واستعمل أبا الحسن علياً على فاس وأعمالها[4].

ولما اشتد المرض بالخليفة عبد المؤمن عام 558هـ/1163م، « ولما حضر الموت جمع شيوخ الموحدين من أصحابه وقال لهم: قد جربت إبني محمداً، فلم أره يصلح لهذا الأمر، وإنما يصلح له ابني يوسف، وهو أولى بها فقدموه، ووصاهم به وبايعوه، ودعي بأمير المؤمنين»[5]، وترجع أغلب المصادر سبب عزل محمد من ولاية العهد لشربه الخمر[6].

وبهذا نستطيع أن نقول أن انتقال السلطة من المرابطين إلى الموحدين لم يأت بجديد من حيث الممارسات، فكلا النظامين كرس ولاية العهد وتوريث السلطة في الأعقاب، واختلفوا في طبيعة نظامهم ومجالهم، فالمرابطون كان نظامهم أميري وخطبوا

---

1 - ابن الأثير: **الكامل**، مج 9، ص 407-408.

2 - نفسه، ص 407. النويري: **نهاية الأرب**، ص 418. بينما ذكر ابن الخطيب أن البيعة تمت سنة 549هـ/1154م. ابن الخطيب: **الأنيس المطرب**، ص 184.

3 - نفسه، ص 151. ابن الأثير: **الكامل**، مج 9، ص 407.

4 - ابن عذارى: **البيان الموحدي**، ص 50.

5 - ابن الأثير: **الكامل**، مج 9، ص 461.

6 - ابن عذارى: **البيان الموحدي**، ص 78-79. ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، ص 154-155. المراكشي: **المعجب**، ص 306.

للخلفاء العباسيين على المنابر وسيطروا على المغرب الأقصى وجزء من المغرب الأوسط، أما الموحدون فأعلنوا أنفسهم كخلفاء وأعلنوا القطيعة مع العباسيين، وحكموا المغرب الإسلامي كله لوحدهم.

3. مجتمع بين الطبقة الحاكمة والرعية:

لا شك أن تحول الموحدين من الإصلاح إلى الملك في الجانب السياسي كما أوضحناه في العنصر السابق انعكس على الجانب الاجتماعي للمجتمع الموحدي، فنتج عنه فئتان اجتماعيتان متباينتان، الأولى تمثلت في الطبقة الارستقراطية استفادت من جملة من امتيازات نتيجة هذا التحول، أما الأخرى فتمثلت في الطبقة العامة التي حرمت من الامتيازات الأخيرة. وهذا ما ذهب إليه الباحث محمد القبلي حين اعتبر أن التصنيف والتراتب الاجتماعي كان أساس الاعتراف بمهدوية " الإمام " ومناصرته أو مناصرة " حزبه " على الأقل»[1].

وقد احتكرت الطبقة الأرستقراطية الحاكمة الفائض من الإنتاج الاقتصادي فتجمعت لديها الثروات الطائلة، وهذا ما انعكس على مستواها المعيشي المرتفع فبلغوا حدا كبيرا من البذخ والترف من تأنق في المباني فسكنوا القصور الفسيحة واستقل الكثير من سكانها بذاتهم لما تتوفر عليه من عبيد وحشم وخدم، وتعددت زيجاتهم وتسروا بالجواري[2].

وقد شملت الطبقة الأرستقراطية أيضا من سار في نهج السلطة الموحدية من الفقهاء[3]، فاستعانت بهم خاصة في شرعنة حكمهم وحشد العامة لحروبهم مقابل

1 – محمد القبلي: **حول بعض مضمرات التشوف ضمن كتاب الدولة والولاية والمجال بالمغرب الوسيط علائق وتفاعل**، ط 1، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، 1997م، ص 31-32.

2 – الحسين أسكان: **الدولة والمجتمع في العصر الموحدي 518-668هـ/1125-1270م**، ط 1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2010م، ص 282.

3 – أكثر خلفاء الموحدين من ركزت الكتب على علاقته بالفقهاء والعلماء هو المنصور. ينظر: محمد الرشيد ملين: **عصر المنصور الموحدي أو الحياة السياسية والفكرية والدينية في المغرب من سنة 580هـ إلى سنة 590هـ**، د

امتيازات سياسية واقتصادية واجتماعية، ونذكر منهم مثلاً الفقيه أبا الحسن بن الإشبيلي الذي « قربه الخليفة واستدْناه، ونال من الآمال مُنَاه .... ووصل لجميع غرباء الناس والطلبة بخيراته، يوصل عنهم كل خير، ويدفع عنهم كل ضير، يشفع فيهم عند الأمر العالي فيشفع، ويتكلم فيصغي لكلامه ويستمع. دام على علوّ مكانته عند الخليفة رضي الله عنه فأسهمه الأسهام والديار، وأناله الإكرام والأوطار»[1]. وبهذا نال الفقهاء المال والجاه وفيهم من نفع غيره من هذه الحظوة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

غير أن كتب الطبقات حفظت لنا مجموعة من الفقهاء لم تنل أي شيء من امتيازات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، لأنها عارضت السلطة أو كانت زاهدة في الدنيا، فمثلاً في بجاية الفقيه أبو زيد عبد الرحيم بن عمر اليَزْناتي (عاش خلال القرن 7هـ/13م)[2] كان لا شيء له من الدنيا، فلمّا وصل أمره إلى والي المدينة، ووصِف له علمه وجلاله فوجه إليه طعامًا كثيرًا وجملة مال، إلا أنّه ردّه على الوالي ولم يقبله[3]، وكذلك الفقيه أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمان الأزدي الإشبيلي (ت 581هـ/1185م) نزيل بجاية، دُعي بها إلى تولّي خطّتي القضاء والخطابة للموحدين،

= ط، مطبعة الشمال الافريقي، د م، د ت. لخضر محمد بولطيف: **الفقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي (510-668هـ/1116-1269م)**، ط 1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية، 1429هـ/2009م، ص 189-190. محمد المغراوي: **العلماء والصلحاء**، ص 217-219. محمد زنير: **حفريات في شخصية يعقوب المنصور**، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، العدد: 9، سنة 1982م، ص 23-52؛ والعدد:10، سنة 1984م، ص 25-44.

1 - ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، ص 160-161.

2 - ويدعى باليزناسني كذلك، وهو من أهل بجاية، واستوطن فاس، كان فقيها محصّلا محقّقا لمذهب مالك، ولأصول الفقه على طريقة الأقدمين من أهل الاجتهاد. ترجم له: بدر الدين محمد بن يحي بن عمر القرافي: **توشيح الديباج وحلية الابتهاج**، تحقيق: علي عمر، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1425هـ/2004م، رقم: 136، ص 152. التنبكتي: **نيل الابتهاج**، ص 266-267. ومحمد بن محمد مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ط 1، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ/1930م، ص 185.

3 - الغبريني: **الدراية**، ص 223.

لكنه امتنع عن ذلك وأبى[1]، وأمثالهم كثر ممن رفضوا مناصب وعطايا السلطان، وهذا ما انعكس على حالهم الاجتماعية فعاشوا العوز والكفاف.

تشكل العامة السواد الأعظم من الرعية، وهي تمثل الطبقة السفلى من الهرم الطبقي للمجتمع الموحدي، وأهم ما ميز هذه الطبقة مستواها المعيشي المنحط نتيجة دخلهم المحدود، وشملت هذه الفئة مجموعة من الفئات الاجتماعية منها الحرفيون وصغار التجار والباعة المتجولون، والمستخدمون والأجراء وأصحاب المهن الوضيعة، والمزارعون الصغار والرعاة، والمعلمون، والطلبة وغيرهم[2]. كما وصفت بأوصاف حقيرة ونعتت بعبارات ذمّ وقدح عديدة كالدهماء، والسقاط، والأراذل، والأوباش والسفلة....[3].

ولم يقتصر احتقار الرعية بالألفاظ فقط، بل في حديث نسب إلى المهدي بن تومرت يعتبر العامة في مكانة العبيد حين قال: « أن أهل الجماعة وصبيانهم عبيدهم كل من في الدنيا»[4]، وما يعزز هذا الطرح ما ذكره صاحب كتاب الاستبصار أنه عندما استرجع الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور مدينة قفصة وكانت بها مجموعة من الأغزاز « فرغبوا في عتق رقابهم على أن يكونوا عبيدا للأمر العزيز مماليكا للخليفة»[5]. وبهذا يمكننا القول أن الطبقة الحاكمة الموحدية اعتبرت العامة هم عبيدها وسخرتهم لخدمتها وهمشوا على جميع الأصعدة.

وهكذا أمام هذا التباين الاجتماعي الذي انعكس على الحياة الاجتماعية فأفرز مجموعة من الانحرافات الاجتماعية، فأثرت على القيم الأخلاقية للمجتمع الموحدي، وكان أهم هذه الانحرافات التي أثرت على أخلاقيات المجتمع الموحدي، تناول

1 – ابن الزبير: **صلة الصلة**، مج 3، رقم: 442، ص184.

2 – بوتشيش: **مباحث**، ص 169–170.

3 – أحمد المحمودي: **عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي**، تقديم: محمود إسماعيل، ط 1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009م، ص 22–24.

4 – البيذق: **أخبار المهدي**، ص 55.

5 – مجهول: **الاستبصار**، ص 151.

المشروبات المسكرة بشتى أنواعها وأسمائها المختلفة، وقد انتشر الخمر على نطاق واسع في المجتمع الموحدي، حتى أن صاحب الاستبصار في حديثه عن مصامدة جبل الدرن، قال: « وأكثر عيشهم إنما هو من العنب والزبيب والرُّب، وهم لا يستغنون عن شربه لشدة برد الجبل وثلجه»[1].

ولعل أهم حادثة للسكر وشرب الخمر والتي كانت سببا لتحييد عبد المؤمن بن علي ابنه محمد من ولاية العهد، هي أنه في أحد أيام عام 588هـ/ 1192م توجه الخليفة في زيارة رسمية إلى قبر المهدي، فتقيأ ابنه «على ثيابه وأطنابه وهو راكب على فرسه في المحلة على مرأى من أشياخ الموحدين والعامة من الناس الزائرين فصح عند أبيه نكره وتخليطه وسكره فأسقط هو بفعله من الأمر نفسه وكسف بالنهار شمسه وتكلم الناس بعد ذلك بأقوال شنيعة»[2]. وبهذا قد طال الانحراف البلاط الموحدي بل السادة من بني عبد المؤمن.

وعلى أية حال كان من عادة الموحدين في حفلاتهم الرسمية تقديم الرُّبِّ بكميات كبيرة حتى أن ابن صاحب الصلاة شبهها بـ" النهر الرُّب " أو " الساقية الرُّب"[3]، ولهذا التشبيه أهمية بالغة في إبراز مدى أهمية الرّب عند الموحدين. وأمام هذه المعطيات هنا نتساءل: ما كان موقف الدولة الرسمي من الخمور؟ وهل ظلت صامتة أمام استفحال هذه الظاهرة؟ أم كان لها ردة فعل أمام هذه المعضلة؟ وإن وجدت هل كانت في مستوى تفشي الظاهرة؟.

جاء موقف الدولة الرسمي من الخمور واضحاً في العديد من الرسائل الموحدية الرسمية وأهمها ما جاء في رسالة عبد المؤمن من تنمل إلى الطلبة والأشياخ بالأندلس المؤرخة بتاريخ 16 ربيع الأول سنة 543هـ/ 1148م، موضحاً موقف الدولة في

1 – مجهول: **الاستبصار**، ص 211.

2 – ابن عذارى: **البيان الموحدي**، ص 78–79.

3 – ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، ص 344.

قوله: « والله والله في البحث على الخمور! وتقديم النظر في أمرها فهو من أهم الأمور، فإنها مفتاح الشرور، ورأس الكبائر والفجور، وهي رابطة أهل الجرم، وجامعة أشتات الظلم»[1]. ليتبعها الخليفة بأوامر لمحاربة الظاهرة « فخذوا في طلبها في المواطن المتهمة بشانها، واجتهدوا في إراقتها وكسر دنانها ..... ومروهم بالتعهد لمواضع بيع الرُّبِّ واعتصاره وخذوهم بتوقف جدِّهم على ذلك واقتصاره، فما حل منه أبيحوه، وما كان غير ذلك قطعوه أصلا وفرعا وأراقوه»[2].

كما تأتي رسالة أخرى للخليفة يعقوب المنصور إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والأعيان والكافة بإشبلية المؤرخة عقب رمضان 580هـ/1185م لتؤكد مدى انتشار ظاهرة معاقرة الخمور في المجتمع الموحدي، ومدى حزم الدولة في محاربة هذه الآفة، حين أمر الخليفة بأن « لا توجدوا أحد إلى بيعه سبيلا، واشتدُّوا في ذلك اشتداداً لا يوسع مستسْمَحاً فيه صُدوفاً عن هذا القصد الحميد ولا عُدولا، وأَخلوا الحوانيت التي يباع فيها منه وأفقروها، وأَصرفوها لغير ذلك من المباحات وصَيِّروها، والديار المعروفة ببيعه أيضاً لا تتركوها على ذلك ولا تقرِّروها، وأريقوا ما تلقونه من مشتبهه وملتبسه، وعاقبوا من تجدونه عنده أشد عقوبة على دَلسِّه، وتتبعوا في ذلك أبلغ تتُّبع وأَشدَّه، ومن وجدتُمْ عنده رائحةٌ منه كائناً من كان فأَقيموا عليه ما رسمه عليه الشرعُ في ذلك وَحَدَّه»[3]. وأمام هاتين الرسالتين المتشابهتين في المضمون واللتان سارتا على نهج إمام الدعوة الموحدية المهدي بن تومرت، الذي خصص في كتابه " أعز ما يطلب " خمسة أبواب كاملة في الخمر[4].

---

1 – ابن القطان: **نظم الجمان**، ص 197. وردت هذه الرسالة كاملة في الرسالة (6)، ضمن كتاب: **رسائل موحدية – مجموعة جديدة–**، تحقيق: أحمد العزاوي، ج 1، ط 1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، 1416هـ/1995م، ص 60–71.

2 – ابن القطان: **نظم الجمان**، ص 197–198. **رسائل موحدية**، ج 1، ص 67.

3 – ينظر: الرسالة (28). **مجموع رسائل موحدية**، ص 168.

4 – ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص 362–382.

ومن خلال رسالتي عبد المؤمن وتخصيص الإمام المهدي لهذه الأبواب في التنويه إلى تحريم الخمر، رغم أننا لم نجد في مؤلفه " أعز ما يطلب " أن خصص لمحرم آخر أكثر من باب واحد، وهذا دليل على تجذر ظاهرة معاقرة الخمور بشتى أصنافها في المجتمع المغربي، إلا أننا من خلال ما سبق لم يبق لنا أدنى شك من أن موقف الدولة الرسمي كان حازماً وواضحا تجاه هذه الآفة، بتحريمها ومحاربة صانعها وبائعها وشاربها وكل من له علاقة بها من قريب أو بعيد، بل شددوا على من يدعي الانتفاع بها بغرض التداوي أو غيره، كيف لا والإمام المهدي استعملها كورقة سياسية ضد الحكم المرابطي[1]، واستغل كل فرصة بالتشهير بهم بعدم محاربتهم لمحرم الخمر.

4. مجتمع بين الفروع والأشعرية:

إن الإمام محمد بن تومرت لم يشهد قيام دولته ولا أهم انتصاراتها ضد أعدائها المرابطين، رغم أنه صاحب دعوتها ومنظرها وواضع أسس عقيدتها التي رسمت سياسة الحركة ثم فيما بعد الدولة، وكان المهدي « قد لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السُنّة وأخذ عنهم واستحسن طريقهم في الانتصار للعقائد السلفية والذبّ عنها بالحجج العقلية الدافعة في صدر أهل البدعة. وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي والأحاديث بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن أتباعهم في التأويل والأخذ برأيهم فيه اقتداء بالسلف في ترك التأويل وإقرار المتشابهات كما جاءت»[2].

أقر الإمام محمد ابن تومرت بالعصمة لنفسه وأنه المهدي المعصوم، وأخذ " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" شعاراً لدعوته، وكان على مذهب أبي الحسن الأشعري

---

[1] – حول استعمال المهدي بن تومرت والخلفاء الموحدين الخمرة كورقة سياسية ضد المرابطين، ينظر المبحث الثالث الذي عنوانه "الخمور ورقة سياسية ". مصطفى نشاط: **جوانب من تاريخ المشروبات المسكرة بالمغرب الوسيط**، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006م، ص 63-83.

2 – ابن خلدون: **العبر**، ج 6، ص 302.

في علم أصول الدين، ووافقهم في أغلب المسائل إلا في إثبات الصفات التي وافق المعتزلة في نفيها وفي بعض المسائل الأخرى القليلة، وكما انتسب إلى المذهب الظاهري في أصول الفقه والحديث، وأخفى تشيعه وهذا ما أكده صاحب كتاب المعجب[1]، غير أننا لا نرى ذلك لأن المهدي لم يكن اعتقاده شيعياً بل أخذ من التشيع ما يحتاجه في دعوته من فكرة الإمامة وما تعلق بها.

أ- الموحدون والمالكيـة:

وبهذا حاول الموحدون التوفيق بين مبادئهم السياسية وثوابت المجتمع الفكرية، مع محاولة فرض توجه يخدم سياساتهم « وقد مال محمد بن تومرت مهدي الموحدين إلى مذهب ابن حزم، إذ وجد فيه ما يؤيد دعوته»[2]. وبهذا توجه بضرب المذهب المالكي الذي يعد عماد عقيدة المرابطين، ومحاولة إيجاد بديل له، وسار المهدي بن تومرت وخلفاؤه بفرض عقيدتهم وفكرهم بكثير من العنف والتشدد[3].

في سنة 550هـ/1155م ذكر ابن الآبار أن الخليفة عبد المؤمن أمر بإحراق كتب الفروع، وردَّ الناس إلى قراءة الحديث[4]، رغم أهمية هذا الأمر الجلل إلا أن ذكره اقتصر سوى عند ابن الآبار، ولم تذكره أي من المصادر التاريخية الأخرى فبهذا نستبعد صحته، غير أننا وجدنا خبرًا آخر له صلة بهذا الخبر وحدث في نفس السنة، وتمثل في اجتماع الخليفة عبد المؤمن بمجموعة من فقهاء المذهب المالكي، وعبر لهم صراحة عن انتقاده وامتعاضه من مذهبهم، فتصدى له أحد العلماء الحاضرين وهو:

1 – المراكشي: **المعجب**، ص 254-255.

2 – بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص 238.

3 – عبد المجيد النجار: **تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت –الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري–**، ط 2، المعهد العالي للفكر الإسلامي، هيرندن–فرجينيا، 1415هـ/1995م، ص 71. الحسين بولقطيب: **جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين**، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2002م، ص 87 وما بعدها.

4 – ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص 195.

عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون (ت 586هـ/1180)[1]، بالرد على انتقادات الخليفة والدفاع عن المذهب وتوضيح محاسنه وإبراز أفضاله على المغاربة[2]، ويبدو أن عبد المؤمن أراد جس نبض الفقهاء ومعرفة ردة فعلهم، فلما رأى دفاعهم المستميت على المذهب، لم يقم بأي خطوة تصعيديه أخرى.

كما وجدنا رواية أخرى نستطيع أن نقول أنها منافية للواقع ولثقافة عبد المؤمن بن علي المتشبع من تعاليم أستاذه وإمامه المهدي بن تومرت، ذكر فيها النويري أن عبد المؤمن « جمع الناس على مذهب الإمام مالك بن أنس رحمه الله، في الفروع وعلى مذهب أبي الحسن الأشعري في الأصول»[3]، إضافة إلى أن اجتماع المغاربة على مذهب مالك كان قبل زمن الخلافة الموحدية، وإنما كان نتيجة تظافر جهود أشخاص ودول لم يقتصر على جهود عبد المؤمن نفسه، وكان كذلك نتيجة لمجموعة من العوامل السياسية والاجتماعية والفكرية[4]. وغير أنه ما يمكننا الذهاب إليه من خلال النص السابق أن الخليفة عبد المؤمن لم يقم بأي عمل عدائي اتجاه المالكية شأنه شأن ابنه يوسف كذلك، وما منع هذا الأخير من القيام بأي عمل ضد فقهاء المالكية ربما

---

1 – ابن الآبار: **التكملة لكتاب الصلة**، ج 1، ص 301. ابن مخلوف: **شجرة النور**، ص 158.

2 – سعيد أعراب: **موقف الموحدين من فقه الفروع وحمل الناس على المذهب الحزمي**، دعوة الحق، العدد: 249، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الرباط، يونيو 1985م، ص29.

3 – النويري: **نهاية الأرب**، ص 427–428.

4 – حول انتشار المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي ومناقشة عوامل الإنتشار. ينظر: ابن خلدون: **المقدمة**، ص 431–433. نجم الدين الهنتاتي: **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ/11م**، ط 1، تبر الزمان، تونس، 2004م، ص 59–96. عمر الجيدي: **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، ط 1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993م، ص 35–37. عمر الجيدي: **محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي**، ط 1، دار عكاظ، الرباط، 1987م، ص 27–38. علاوة عمارة: **انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط (الجزائر) قراءة سوسيو–تاريخية** ضمن كتاب **دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي**، ط 1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م، ص 127–135. علاوة عمارة: **المذهب المالكي في الغرب الإسلامي – من خلال قراءة جديدة–**، دراسات وبحوث مغربية أعمال مهداة إلى الأستاذ موسى لقبال، منشورات مخبر البحوث والدراسات في الحضارة المغرب الإسلامي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008م، ص 177–192.

شخصيته الرزينة الهادئة وعلمه الغزير وحبه لأهل العلم وإجلاله للعلماء[1]. بالرغم من موقفه المعادي لعلم الفروع وفقهائه كحال أبيه وإمامهم المهدي، وبهذا يمكن أن نقول أن الابن وأباه كانا بصدد بناء الدولة الناشئة الفتية، فربما آثرا عدم استعداء أي جهة، وخاصة أنهما في بداية المشروع الموحدي، وبهذا كان وقتهم وقت دعوة وبناء الدولة وحرب مع المرابطين، ولهذا لم يظهرا رأيهما[2].

وعلى العكس من ذلك فالخليفة يعقوب المنصور « في أيامه انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء، وأَمر بإِحراق كتب المذهب بعد أن يجرِّد ما فيها من حديث الرسول الله ﷺ والقرآن، ففعل ذلك، فأَحرق منها جملة من سائر البلاد»[3]، وبعد هذه الشهادة حول إحراق كتب الفروع بفاس التي شهدها عبد الواحد المراكشي بنفسه.

حاول أن ينقل لنا تخميناته حول الغرض من هذا العمل فذكر أن المنصور « كان قصْده في الجملة مَحْوَ مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة، وحَمْلَ الناس على الظاهر من القرآن والحديث، وهذا المقصد بعينه كان مقصدَ أبيه وجدِّه، إلا أنهما لم يظهراه وأَظهره يعقوب هذا»[4]. وهكذا حاول المنصور إزاحة المذهب المالكي مقابل فرض المذهب الظاهري وخاصة أنه كان شديد الإعجاب بإمامه ابن حزم الظاهري[5].

وهناك إحراق آخر ينفرد بذكره ابن الأحمر فيقول فيه: « ولما ولي منهم الناصر ابن المنصور ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي بلغه أن الفقهاء من المالكية ينكرون عليه ذالك ويقولون الحق هو مذهب المدونة، فأمر بجمع ما وجد من النسخ منها

---

1 – المراكشي: **المعجب**، ص 309–310.

2 – نفسه، ص 355. عبد الهادي الحسيسن: **الحركة الثقافية والحضارية في العصر الموحدي وأثرها بالغرب الإسلامي**، ضمن ملتقى الدراسات المغربية الأندلسية تيارات الفكر في المغرب والأندلس الروافد والمعطيات، 26–27–28 ابريل 1993م، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1993م، ص 414.

3 – المراكشي: **المعجب**، ص 354–355.

4 – نفسه.

5 – المقري: **نفح الطيب**، مج 3، ص 238. ابن الخطيب: **الإحاطة**، مج 4، ص 419–420.

بالمغرب وإحراقها فأحرقت عن آخرها»[1]. وربما لمحدودية عملية الإحراق ما أدى بابن الأحمر إلى الانفراد في ذكرها، كما أن عهد الناصر اتسم بالضعف وخاصة بعد هزيمة العقاب، فبالتأكيد أن الخليفة لا يستطيع أن يقوم بعملية الإحراق على نطاق واسع، فبهذا نستطيع أن نقول عن عملية الإحراق الأخيرة إن تمت فقد كانت على نطاق محدود وضيق.

وعلى الرغم من المحاولات المستمرة التي بذلها النظام الموحدي، للقضاء على مذهب مالك وما تعلق به واستبداله بالمذهب الظاهري، إلا أنهم وجدوا مقاومة شرسة من رجالات المذهب المالكي، فهذا « الفقيه الإمام العلامة المدرس علي بن عشرين، كان حافظا للفقه محصلا محررا له، وتفقه عليه فقهاء المغرب، وكان يحفظ المدونة، ولما أحرقها ملوك الموحدين بالمغرب من بني عبد المومن كتبها الفقهاء من حفظه بمدينة فاس»[2]. بل كان بعض من فقهاء المالكية مقربين من الخلفاء أنفسهم، وكانت لهم مكانة مرموقة ومناصب عليا في الدولة، فمثلاً هذا أحمد بن عتيق بن حسن بن زياد البلنسي (ت 601هـ/1205م) « كانت الفتاوى في نوازل الأحكام تصدر عنه .... فينسب كل فتوة إلى قائلها من أهل المذهب المالكي»[3].

بل كان من فقهاء السلطة من يطري ويشيد بفقهاء مذهب مالك دون خوف ولا جزع، فقد « قال أبو الحسين محمد بن محمد بن زرقون: قلت للحافظ أبي بكر ابن الجد إنك تكتب إليه يعني أبو العباس فتصفه بالمشاوَر وهي تحلية ربما كرهها أهل الأمر وحذروا من استعمالها فالأولى تركها احتياطاً عليكما فقال لي بيته بيت الشُّورى على

1 – إسماعيل بن الأحمر: **بيوتات فاس الكبرا**، ط 1، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة ووراقة، الرباط، 1972م، ص 19.

2 – نفسه، ص 19.

3 – ابن عبد الملك: **الذيل والتكملة**، س 1، ق 1، ص 280.

القديم فلا أرى ان انقص أحداً منهم ما يستحقّه لا سيما هذا فإنه أهلٌ لها ولأكثر منها ويكون بعد ما أراد الله»[1].

ب-الموحدون والأشعرية:

ساعد التطور العام للمذهب المالكي بالمغرب في تفهم فقهائه لمضمون الأشعرية[2] ومنهجها، فانخرط الفقهاء في المنهجية التأويلية للأشعرية بشكل تلقائي متحرر بعيداً عن تضييق المرابطين، وبهذا فإن انتماء المالكية للأشعرية قد حسم بعد العصر المرابطي أي مع بداية العصر الموحدي[3].

وما ساعد على انتشار الأشعرية في العصر الموحدي عند الناس سواء بين النخبة أو العامة، هو تفطن المهدي من البداية، إذ فصل آراءه ذات الصبغة المهدوية، وخصص لها كتابه " الإمامة "، أما الآراء ذات الصبغة الأشعرية جعلها في مجموع رسائل أهمها: " المرشدة "، وهذا ما سهل انتشار الأشعرية وتقبل الناس لها دون حزازات، وخاصة أن الكثير من كان ينظر بعين الريب إلى فكرة الإمامة[4]، رغم أن مؤسس الدولة الموحدية أسس مذهبه على المزج بين عدة مذاهب كلامية[5].

كما كان للقاضي أبي بكر بن العربي (ت 543هـ/1148م)، فقيه الأندلس وإمام العقيدة الأشعرية الفضل الكبير في نقل علم الكلام إلى المغرب الإسلامي، فحين هَمَّ

---

1 – ابن عبد الملك: **الذيل والتكملة**، س 1، ق 1، ص 113.

2 – **الأشعرية**: يعرفها الشهرستاني بقوله: « كانوا من جملة السلف إلا أنهم باشروا علم الكلام، وأيدوا عقائد السلف بحجج كلامية، وبراهين أصولية .... وانحاز الأشعري إلى هذه الطائفة، فأيد مقالتهم بالمناهج الكلامية، صار ذلك مذهبا لأهل السنة والجماعة». أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني: **الملل والنحل**، تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، ج 1، ط 3، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ/1993م، ص 106.

3 – محمد المغراوي: **العلماء والصلحاء**، ص 186.

4 – عبد المجيد النجار: **المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي المتوفي سنة 524هـ/1129م حياته وآراءه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1403هـ/1983م، ص 446.

5 – المراكشي: **المعجب**، ص 255.

بالعودة إلى الأندلس في رحلته المشرقية قاصدا الحج جلب معه مجموعة من أمهات كتب الأشاعرة في أصول الفقه والدين[1]. ولم يكتف ابن العربي بنقل علم الكلام من المشرق إلى المغرب، بل ألف مجموعة من المؤلفات نطقت بالجانب العقدي الأشعري، من أهمها: العواصم من القواصم، الدواهي والنواهي، قانون التأويل....[2].

وأمام إرادة سياسية وجهد العلماء انتشر علم الكلام على نطاق واسع خلال عهد الموحدين، فكثر طلبة علم الكلام ومتلهفين لتلقينه وتلقيه، فازدهرت وراجت مؤلفاته وكثرت الكتابة في علم الكلام، وبهذا برزت بقوة المدرسة الكلامية المغاربية، وكان من أشهر علماء الكلام بالمغرب على الإطلاق خلال هذه الفترة أبو عمرو عثمان بن عبد الله السلالجي (ت 574هـ/1178م) [3]، الذي نال أعلى الدرجات في علم الكلام حتى رفعه البعض من المؤرخين إلى مرتبة الإمام الجويني بالمشرق[4]، ونظرا لتضلعه في المذهب الأشعري ودوره البارز في نشره وتثبيت أركانه في المغرب، قال فيه ابن الزيات: « إمام أهل المغرب في علم الاعتقاد»[5].

وقد امتد أثر السلالجي البالغ في الحياة الفكرية والعقدية إلى كافة المغرب الإسلامي، فقد تخرج من مدرسته العديد من العلماء الذين عملوا على نشر أفكار أستاذهم وآرائه العقدية حتى أصبح الفكر الأشعري للمدرسة السلالجية هو المسيطر على الفكر العقدي المغاربي[6]، ورغم أنه لم تصلنا من إنتاجات السلالجي سوى عقيدته

---

1 – عمار طالبي: **آراء بن عربي الكلامية**، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت، ص 52.

2 – لمزيد من التفصيل ينظر: يوسف احنانة: **تطور المذهب الأشعري في المغرب الإسلامي**، ط 2، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1428هـ/2007م، ص 127–128.

3 – ينظر ترجمته عند: ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 69، ص 198–201. ابن أبي زرع: **المطرب**، ص 266. ابن القاضي: **جذوة الاقتباس**، رقم: 501، ص 458. الكتاني: **سلوة الأنفاس**، رقم: 622، ص 205–206.

4 – ابن الأحمر: **بيوتات فاس**، ص 45.

5 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 69، ص 198.

6 – جمال علال البختي: **عثمان السلالجي ومذهبيته الأشعرية – دراسة لجانب من الفكر الكلامي بالمغرب من خلال " البرهانية " وشروحها–**، ط 1، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، 1426هـ/2005م، ص 79.

عقيدته الصغيرة المسمات " العقيدة البرهانية في علم الألوهية " الشهيرة بالبرهانية أو السلالجية، وهي عقيدة مختصرة وصغيرة الحجم[1].

ثم يأتي فيما بعد السلالجي من حيث الأهمية أستاذه أبو الحسن علي بن محمد بن خليل – أو خليد– المعروف بابن الاشبيلي (ت 567هـ/1171م)[2] هو الأستاذ الأول للسلالجي في الأشعرية وهو الذي أخذ عنه تفاصيل المذهب الأشعري الذي اعتنقه[3]، ورغم أنه كان قد أخذ بعض تعاليمه ومبادئه من خلال دراسة كتاب " الإرشاد" على القطب ابن حرزهم، إلا أن هذا الأخير اعترف بفقره في هذا المجال[4]، ونظراً لتضلع ابن الإشبيلي في الفكر الأشعري والذي هو مذهب الموحدين العقدي، فنال الحضوة عند خلفائهم، وكان عندهم مقدما على غيره من العلماء.

وما تجدر الإشارة إليه أن أهم علمين في الأشعرية كان موقفهما من السلطة الموحدية حاملة لواء العقيدة الأشعرية متناقضا، فالأول السلالجي كان متحفضا إن لم نقل أنه كان يتحاشى مخالطة الخلفاء وعمالهم[5]، أما الثاني وهو أستاذه ابن الإشبيلي فكان ذا حضوة ومقدما عند خلفاء بني عبد المؤمن على غيره من العلماء والمتكلمين[6]، والمتكلمين[6]، ويعد العصر الموحدي العصر الذهبي للأشعرية وذلك لتبني السلطة

1 – حول البرهانية: أبو عمرو عثمان السلالجي: **العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية**، تحقيق: نزار حمادي، ط 1، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1429هـ/2008م، ص 7. جمال علال البختي: **السلالجي**، ص 181–256.

2 – ينظر ترجمته عند: ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، ص 160–162. ابن الزبير: **صلة الصلة**، مج 3، رقم: 654، ص 272. ابن عبد الملك: **الذيل والتكملة**، ج 5، رقم: 589، ص304.

3 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 69، ص 200. جمال علال البختي: **السلالجي**، ص 124–125.

4 – ابن الزيات: **التشوف**، ص 199. يوسف احنانة: **تطور المذهب الأشعري**، ص 139–140.

5 – يرجح الباحث البختي السبب الرئيسي لمحاشات السلالجي السلطان لسلوكه الصوفي الذي أخذه من أستاذه القطب ابن حرزهم. جمال علال البختي: **السلالجي**، ص 144.

6 – ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، ص 160.

الموحدية له كمذهب رسمي لها، وبروز عدد كبير من المتكلمين[1]، وكذلك لانتشار المذهب الأشعري على نطاق واسع عند العامة[2]، وهكذا بدأت تتجلى بوضح الثلاثية المغربية المذهب المالكي والاعتقاد الأشعري والسلوك الصوفي.

1 – حول العلماء المتكلمين في عصر الموحدين ينظر: يوسف أحنانة، **تطور المذهب الأشعري**، ص 99 وما بعدها. محمد الفاسي: **ابن الكتاني الفندلاوي وابن عبد الكريم التميمي الفاسيان**، دعوة الحق، العدد: 262، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الرباط، جمادى الأولى والثانية 1407هـ/يناير وفبراير 1987م، ص 2–5. سعيد أعراب: **موقف الموحدين**، ص 82.

2 – ومما ساهم أيضا في انتشار الأشعرية عند كافة أصناف وأطياف وطبقات المجتمع الموحدي وهو نظم الأراجيز التي تُستخدم عادةً لتسهيل الحفظ عند عامة الناس، وعرفت هذه الأخيرة ظهورها في العهد المرابطي ولتزدهر وتنتشر على نطاق واسع خلال عصر الموحدين. ينظر: محمد نصير: **انتشار المذهب الأشعري ببلاد المغرب خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين العاشر والحادي عشر الميلاديين**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، اشراف: محمد بن عميرة، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، السنة الجامعية: 1431–1432هـ/2010–2011م، ص 98.

الفصـــــل الثانـي

تأصيل الولاية وتطورها

I- تعريف الولاية

1. لغــة
2. اصطلاحا
3. الولاية في القرآن
4. الولاية في الحديث

II- تعريف الولاية عند الصوفية

1. الولاية عند الحكيم الترمذي
2. الولاية عند الطوسي
3. الولاية عند الكلاباذي
4. الولاية عند المكي
5. الولاية عند السلمي
6. الولاية عند أبي نعيم الأصفهاني
7. الولاية عند القشيري

III- طبقات الأولياء ومراتبهم

1. القطب (الغوث)
2. الأئمة
3. الأوتاد
4. الأبدال
5. النقباء
6. النجباء

IV- الولاية والولي بين الإستشراق وكتب المناقب والتراجم

1. نشأة الولاية في نظر المستشرقين
2. الولاية والولي في كتب المناقب والتراجم

أن مسألة الولاية كانت مصدر انقسام وانشقاق للنخب المثقفة منذ القدم بين معارض ومناصر، فنجد لكل نظرته اتجاه الولي والولاية فتختلف مثلا نظرة الفقيه اتجاه هذا الموضوع عن الصوفي، بل نجد الفقهاء أنفسهم يختلفون في رُؤاهم. لذا ارتأينا قبل الخوض في حيثيات الأولياء وجزئيات الولاية، أن نحاول التأصيل للمصطلح، كما سنحاول تتبع تطور ظاهرة الولاية من خلال تتبع أهم من تطرق إلى هذا الموضوع – حتى فترة دراستنا– من خلال مؤلفاتهم، وكل هذا الغرض منه محاولة تحديد تعريف للظاهرة لأننا سوف نرى أن مصطلح الولاية مصطلح مطاط ومتغير وغير ثابت ومتطور ومتأثرا بمحيطه.

I- تعريف الولاية:

1. لغـــة:

كلمة ولي على وزن " فعيل " لها الكثير من المعاني والدلالات كلما تغير شكلها، الوَلْي بفتح فسكون، يدل على: القُرْب والدُّنُو، أما الوَلْي بتشديد الياء فهو المطر الذي يأتي بعد المطر، والوَلي له معان أخرى كثيرة منها: المحب، والصديق، والنصير[1].

وإذا تجاوزنا اصل المصطلح " ولي " إلى كلمة " الولاية " على وزن فعالة بكسر الواو، أما الوِلاية بكسر الواو تعني الوظيفة أو العمل أو الصنعة أو الخطة، فولاية تعني وظيفة الوالي، وعلى وزنها أي فعالة بالكسر تأتي العديد من الوظائف

1 – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: **لسان العرب**، مج 15، ط 1، دار صادر، بيروت، 1300هـ/1883م، ص 407–406 . محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر ، د ط، مكتبة لبنان، بيروت، 1986م، ص 307–306. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون ، ج 6، ط 2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1399هـ/1979م، ص 141. مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ط 4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 1425هـ/2004م، ص 1058.

منها الخياطة التي تعني مهنة الخياطة والخلافة تعني مهنة الخليفة والإمارة تعني مهنة الأمير[1]. أما الوَلاية بفتح الواو، يستعمل للدلالة على " الحالة " ومن هنا يرى البعض أن وَلاية أكثر ملائمة لتطابقها مع المقصود في المفهوم الصوفي[2].

مما سبق نرى أن الولاية بفتح الواو على الأرجح هي موضوع الدراسة: حيث أن الوِلاية بالكسر تعني الإمارة والسلطان، بينما الوَلاية بالفتح تعني القرب والدنو ووصف الحال، إلا أنه لا يمكننا الجزم بذلك لأن نصوص المخطوطات الصوفية الأصلية لم تشكل مصطلح الولاية لا بالفتح ولا بالكسر، وبالتالي يمكننا أن نستخلص أن الولاية اسم ذو معنيين، الأول للدلالة على من له وظيفة الولاية، والثاني للدلالة على من له حال الولاية.

2. اصطلاحا:

تعدد واختلف مفهوم مصطلحي الولي والولاية بين كل من علماء الفقه أو ما يسمون بالفقهاء، وبين علماء الحقيقة وهم الصوفية، حتى علماء علم الكلام كذلك، فكل منهم عرف الولي والولاية حسب توجهه، بل حتى هذه الأصناف الثلاثة اختلفت فيما بينها حول التعريف.

وكان من أهم تعريفات الفقهاء، تعريف الإمام الطحاوي حين قال: « المؤمنون كلهم أولياء الرحمان، وأكرمهم عند الله أطوعهم، وأتبعهم للقرآن»[3]، من خلال هذا النص نستطيع أن نقول أن كل مؤمن ولي دون استثناء، غير أن الحافظ ابن حجر العسقلاني اقتصرها على المؤمنين المخلصين في طاعة الله وعبادته، حين قال:

---

1 – محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: ضاحي عبد الباقي، مراجعة: عبد اللطيف محمد الخطيب، ج 40، ط 1، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1422هـ/2001م، ص241–242.

2 – محمد حلمي عبد الوهاب: **ولاة وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط**، تقديم: رضوان السيد، ط 1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2009م، ص 75.

3 – صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العزّ الحنفي: **شرح الطحاوية في العقيدة السلفية**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط 1، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، 1418هـ/1997م، ص 234.

«المراد بولي الله العالم المواظب على طاعته المخلص في عبادته»[1]. وكذلك الشوكاني الذي اقتصر الولاية على: « خلص المؤمنين كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته»[2].

أما الشيخ البيضاوي وأبو حيان الأندلسي اعتبرا أولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة[3]، وهذا التعريف أقرب إلى المتصوفة رغم أنهما لم تكن لهما أي ميولات واضحة اتجاه الصوفية، أما شيخ المتكلمين فخر الدين الرازي فأتى لنا بتعريف للولي يمكننا أن نعتبره مبني على تصنيف عقدي بروح كلامية في قوله: « ولي الله من يكون آتياً بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتياً بالأعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة»[4].

أما عن الجانب الصوفي، فنجد أن القشيري في رسالته ذكر أنه: « للولي: معنيان: أحدهما: فعيل بمعنى مفعول، وهو من يتولى الله سبحانه أمره، قال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّـۧ

1 – الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، راجعه: قصي محب الدين الخطيب، قرأ أصله تصحيحًا وتحقيقًا وأشرف على مقابلة نسخهِ المطبوعة والمخطوطة :عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ج 11، ط 1، دار المعرفة، بيروت، د ت، ص 342.

2 – محمد بن علي بن محمد الشوكاني: **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، حققه وخرج أحاديثه: عبد الرحمان عميرة، ج 2، د ط، دار الوفاء، د م، 1415هـ/1994م، ص 640.

3 – ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن عبد الله الشيرازي البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي – المعروف بتفسير البيضاوي–**، حققه وعلق عليه وأخرج أحاديثه وضبط نصه: محمد صبحي بن حسن الحلاق ومحمود أحمد الأطرش، مج 2، ط 1، دار الفكر؛ بيروت، دار الرشيد ومؤسسة الإيمان؛ دمشق بيروت، 1421هـ/2000م، ص 108. محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: **البحر المحيط**، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عادل أحمد عبد الموجود وأحمد النجولي الجمل، قرطه: عبد الحي الفرماوي، ج 5، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1993م، ص 173.

4 – محمد فخر الدين بن ضياء الدين عمر الرازي: **تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، ج 17، ط 1، دار الفكر، بيروت، 1401هـ/1981م، ص 132.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ [1]، فلا يكله إلى نفسه لحظة، بل يتولى الحق سبحانه رعايته. والثاني: فعيل مبالغة من الفاعل، وهو الذي يتولى عبادة الله وطاعته، فعبادته تجري على التولي، من غير أن يتخللها عصيان، وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي ولياً يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء، ودوام حفظ الله تعالى إياه في السراء والضراء»[2].

كما نجد عند الجرجاني في كتابه التعريفات تعريفاً صوفياً، بأن الولي: « هو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات»[3]. أما عن تعريفه للولاية فقال: « هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه»[4]. وما نلاحظه من خلال تعريفات الصوفية للولي أو الولاية اقتصارها على فئة محددة جداً من عباد الله شملتهم العناية الإلهية.

غير أننا وجدنا من حاول أن يوسع المفهوم لأكثر من المضمون الذي تطرحه النظرة الصوفية، فابن تيمية المحسوب على فئة الفقهاء الذين لم يكونوا على وفاق مع الصوفية قال: « وأولياء الله هم المؤمنون المتقون، سواء سمي أحدهم فقيراً أو صوفيا أو فقيهاً أو عالماً أو تاجراً أو جندياً أو صانعاً أو أميراً أو حاكماً أو غير ذلك»[5]، هذا النص يوسع مفهوم الولي لأصناف متعددة من المجتمع الإسلامي، حتى أن أحد الدارسين اعتبر تعريف ابن تيمية كأنه بالذهنية الإسلامية تجنح إلى تخليص المفهوم

1 – الأعراف، الآية 196.

2 – القشيري: **الرسالة القشرية**، ص 259–260.

3 – علي بن محمد الشريف الجرجاني: **كتاب التعريفات**، د ط، مكتبة لبنان، بيروت، 1985م، مادة ولي، ص 275.

4 – نفسه.

5 – تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرالي: **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، جمع وترتيب: عبد الرحمان بن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمد، مج 11، د ط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1425هـ/2004م، ص 275.

من احتكار فئة الصوفية له[1]، وهذا ما وقفنا عليه سابقا في تعريفات الفقهاء للولي أو الولاية حيث أنها توسعه إلى كل مؤمن دون تفريق، غير أن مفهوم الولاية عند الصوفية وغيرهم يتفقون في دلالة المفهوم على القرب من الله.

3. الولاية في القرآن:

ويأتي ذكر مصطلح ولي في القرآن الكريم مئتين وسبع وعشرين مرة، وبمعان مختلفة ومتعددة، وتتغير دلالة مصطلح " ولي " أو جمعه " أولياء " حسب السياق الذي ورد فيه اللفظ، فكما أن الولي هو أحد أسماء الله الحسنى، ففي قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ ﴾[2]، وقوله كذلك: ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦ ﴾[3]، هنا يطلق كذلك على من يتولاه الله بالرعاية والعناية، غير أن ما نلاحظه في هذه الآية الأخيرة ارتباط مصطلحي الولاية والصلاح وتتابعهما، وهذا ما وجدناه كذلك في قوله تعالى: ﴿ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١ ﴾[4]، وسنجد تتابع وارتباط المصطلحين في الكثير من الأحاديث النبوية التي سنأتي على ذكر بعضها فيما بعد. كما أن الله يؤكد عنايته بفئة المؤمنين في حين افتقار الكافرين للولي، في قوله تبارك وتعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١ ﴾[5].

1 – محمد سعيد: **ظاهرة الأولياء**، ص 105.

2 – البقرة، الآية 257.

3 – الأعراف، الآية 196.

4 – يوسف، الآية 101.

5 – محمد ، الآية 11.

نلاحظ مما سبق ذكره من آيات أن لفظة ولي كلها أتت اسما لله، أما في قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[1]، وقوله كذلك: ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ ﴾[2]، أن مصطلح أولياء هنا يطلق على البشر وبالتالي فهذا الاسم مشترك بين الله وعباده ولكن باختلاف في المعنى، وإذا ما قارنا بين الآيتين الأخيرتين نلاحظ أن لمعنى كلمة الأولياء علاقة ترابطية لما اقترنت به، ففي الأولى اقترنت بلفظ الجلالة وهو الله كان لها معنى إيجابا، أما في الآية الثانية لما أقترنت بالشيطان مرادفا للشر دلت على معنى سلبي.

وهذين المعنيين الآخيرين استخلص منهما ابن تيمية اسم رسالته الموسومة بـ: "**الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان**"[3]، واستوحى منها فكرة الولاية المعكوسة والتي تتدرج عكس اتجاه "أولياء الرحمان "، حيث ينتهي التدرج في أولياء الشيطان إلى قطب ومثلما ينتهي التدرج في أولياء الله إلى قطب أيضا[4].

وهكذا نجد أن القرآن هو المصدر الأساسي لموضوع الولاية، غير أنه لفهم الموضوع جيداً والتوسع فيه وإثرائه لا يكون إلا باللجوء إلى المصدر الثاني في الشريعة وهو الحديث النبوي الشريف.

---

1 – يونس، الآية 62.

2 – النساء، الآية 76.

3 – أحمد بن عبد الحليم بن تيمية: **الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان**، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط 1، مكتبة دار البيان، دمشق، 1405هـ/1985م.

4 – علي شودكيفيتش: **الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر ابن عربي**، ترجمة وتقديم: أحمد الطيب، ط 1، دار القبة الزرقاء للنشر والخدمات الثقافية، مراكش، 1419هـ/1998م، ص 31.

4. الولاية في الحديث:

نظرا لكثرة الأحاديث النبوية التي يرد فيها مصطلح الولي وبالتالي، سنكتفي هنا بسرد الأحاديث التي يكثر ورودها في المصادر الصوفية، وما تجدر الملاحظة إليه أن أغلب الأحاديث النبوية الواردة في موضوع الولاية أحاديث قدسية.

نبدأ بذكر حديث الولاية القدسي المشهور، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **إِنَّ اللَّهَ قال: « مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْب، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْه، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّه، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِه، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّه، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّه، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»**[1].

في حديث قدسي آخر قال الله تعالى: « **إن أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ، ذو حظ من الصلاة، أحسن عبادة ربه وأطاعه، في السر، وكان غامضا في الناس لا يشار إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك، ثم نفض بيده فقال: عجلت منيته، قلت بواكيه قل تراثه**»[2].

ومن أشهر هذه الأحاديث النبوية ما رواه عُمَرُ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ حين قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : « **إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاء، وَلا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمْ الأَنْبِيَاء، وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ؟**

1 - أخرجه البخاري في صحيحه. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ج 8، ط 1، دار طوق النجاة، بيروت، 1422هـ/2001م، كتاب الرقائق، باب التواضع، الحديث رقم: 6502، ص 105.

2 - رواه الترمذي في **سننه**، **الجامع الصحيح**، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض، ج 4، ط 1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1382هـ/1962م، كتاب الزهد، الباب: 35، الحديث رقم: 2347، ص 575. محمد حلمي عبد الوهاب: **ولاة وأولياء**، ص 77.

قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّه، عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُم، وَلا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُور، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُور، لا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاس، وَلا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاس، وقرأ: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[1]»[2]. وما نلاحظه في هذه الأحاديث الثلاثة أنها عبارة عن ذكر لأوصاف الأولياء وأخلاقهم.

وهناك حديث آخر لرسول الله ﷺ الذي رواه سعيد بن جبير قال: سئل رسول الله ﷺ من أولياء الله؟ قال: « **الذين إذا رُؤوا ذُكر الله عز وجل**»[3]، وهناك حديث نبوي آخر مشابه لسابقه، حيث قال النبي ﷺ: « **وإن أوليائي من عبادي وأحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم**»[4]. وفي هذين الحديثين جاء مصطلح الولاية مقترناً ومرفوقاً ومرتبطا بالذكر، وقد كانا – أي هذين الحديثين- الأساس الذي بنى عليه الصوفية مشروعية الذكر.

وفي ذات السياق ورد حديث آخر ذكره مرداس الأسلمي أن رسول الله ﷺ قال: « **يذهب الأولياء الصالحون الأول فالأول وتبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر لا**

1 – يونس، الآية 62.

2 – أخرجه أبو داود في سننه، **سنن أبي داود**، حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قربللي، ج 5، د ط، دار الرسالة العالمية، دمشق، 1430هـ/2009م، كتاب الإجارة، باب في الرهن، الحديث رقم: 3527، ص 388. صححه الألباني، ينظر: **صحيح وضعيف سنن أبي داود**، مج 8 ، د ط، مكتبة المعارف، الرياض، د ت، ص 27.

3 – أخرجه أبو نعيم في الحلية والألباني في السلسلة الصحيحة. ينظر: الأصفهاني: **حلية الأولياء**، ج 1، ص 6. محمد ناصر الدين الألباني: **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، مج 2، د ط، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1415هـ/1995م، ص 390.

4 – أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل: **مسند الإمام أحمد ابن حنبل**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1414هـ/1993م، حديث مرفوع رقم الحديث: 15242، ص 15241. علي شودفيتسك: **الولاية والنبوة**، ص 32.

يبالي الله بهم»[1]. هنا أيضا كما سبق وأن ذكرنا بأننا سوف نأتي على ذكر أنموذجا لحديث يربط بين مصطلحي الولاية والصلاح وهذا لأهمية الأمر في دراستنا هذه، حيث أن المصطلحين وَرَدَا متتابعين ومتلاصقين دون فاصل بينهما، حيث أن هذا الجمع بين المصطلحين – " الأولياء والصالحون "– كان كثير الاستعمال في مصادر فترة دراستنا سواءً الصوفية أو غيرها، ونجده كذلك يختصر في " الصالحين " ليصبح هذا المصلح الأخير وحده يكفي في أغلب الأحيان للدلالة على الولاية والتصوف.

II- تعريف الولاية عند الصوفية:

تقاربت تعريفات الولاية عند الصوفية، بمعنى الحفظ، والعناية مع تحصيل الكرامات، وكان للكرامة النصيب الأكبر، وعدها بعضهم أنها شرط من شروط صحة الولاية ، وسأتناول أقوال بعضهم في تعريف الولاية مع الرد عليهم.

1. الولاية عند الحكيم الترمذي (ت 285هـ/898م):

على الرغم من أن مصطلح الولاية ذكر كثيرا في القرآن والسنة على عكس مصطلح التصوف كما سبق وأن ذكرنا، إلا أن الهجويري أشار إلى أن هذا المصطلح ظل مجهولا عند المتصوفة، إلى أن جاء أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي (ت 285هـ/898م) في القرن الثالث الهجري، فكان أول من أدخله ضمن اصطلاحات التصوف[2]، غير أن علي شودكيفيتس أكد أن الهجويري كان على دراية بأن لفظة الولي أو الولاية لا يمكن أن تكون مجهولة جهلا تماما في القرنين الأول والثاني الهجريين وخاصة أنها لفظة قرآنية ووردت في السنة النبوية كذلك، وكما أكد أن أهمية الترمذي هي أكبر بكثير من أهمية مجرد استعمال المصطلح، أو إدخاله ضمن

---

1 – البخاري: **صحيح البخاري**، ج 8، كتاب الرقائق، باب ذهاب الصالحين، ص 92. ابن الزيات: **التشوف**، ص 41.

2 – الهجويري: **كشف المحجوب**، ج 2، ص 442-443.

اصطلاحات الصوفية، بل تكمن الأهمية الحقيقية للترمذي باعتباره أول من اختط للولاية أبعادًا مذهبية أوسع وأشمل[1].

غير الأهمية الكبرى للترمذي تكمن في أنه أول من صاغ نظرية شبه متكاملة للولاية، وأول من اختط لها أبعادا تاريخية وتصورا نظريا في تاريخها، وكان كتابه ختم الأولياء، بمثابة ثورة وطفرة في تاريخ التصوف، كما أن هذا الكتاب يزاوج بين النظر والممارسة، وتتلاقح فيه الأفكار المجردة مع التجربة الذاتية لمؤلفه، كما يتعرض لمواضيع جد جديدة في حقل التصوف[2].

ومن خلال عنوان كتابه موسوم بـ " **ختم الأولياء** " يتضح لنا أن القضية الأساسية للكتاب تتمثل في ختم الولاية، إلا أنه لم يتعرض لقضيته إلا في ثلاثة فصول متفرقة: الفصل الثامن[3] والثالث عشر[4] والخامس والعشرين[5]، وبهذا لم تكن الأبواب والأفكار مرتبة في الكتاب.

كما أن الترمذي ينوه إلى وجوب التفرقة بين: " وليّ حق الله " و " وليّ الله حقاً"[6]، وهذه المسالة الأخيرة تثير العديد من التساؤلات، وحول هذه التساؤلات قال صاحب كتاب ولاة وأولياء: « وإذا كانت هذه الدرجة –" وليّ الله حقاً "– استحقاقاً لعامل المنة الإلهية، فإنها تتشابه مع النبوة من حيث المصدر والاصطفاء، فأنبياء الله هم صفوة خلقه الذين أوكل إليهم، دون غيرهم، مهمة تبليغ الرسالة السماوية، ويفضي هذا التشابه في مصدر النبوة والولاية إلى تساؤل متعلق بالكمال الروحاني بغض النظر

---

1 – علي شود كيفيتس: **الولاية والنبوة**، ص 34.

2 – محمد حلمي عبد الوهّاب: **ولاة وأولياء**، ص 82.

3 – الحكيم الترمذي: **ختم الأولياء**، ص 336–342.

4 – نفسه، ص 367–374.

5 – نفسه، ص 421–422.

6 – حول" وليّ حق الله " و " وليّ الله حقاً ". ينظر: علي شود كيفيتس: **الولاية والنبوة**، ص 36. محمد حلمي عبد الوهّاب: **ولاة وأولياء**، ص 83–84.

عن الألفاظ المستخدمة للدلالة على هذا الكمال: فما العلاقة التي تجمع بين كل من الولي والنبي»[1]، وقد أجاب الترمذي عن هذه المسألة في رسالة صغيرة ضمَّنها سيرته الذاتية وسماها " بدو الشأن أبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي"[2]، والإجابة عن هذه المسألة هي التي أثارت حفيظة وسخط الفقهاء على الترمذي، فاتهموه بادعاء النبوة ووشوا به لدى والي بلخ، فكانت سببا في ابتلائه بالمحن والمصائب طول حياته، وهذا ما أدى بمن جاء بعده بعدم الخوض في موضوع الولاية والأولياء[3]، وإن خاضوا فيها فيكثرون الحذر وهذا ما ينعكس على أفكارهم فيشوبها الاضطراب والخلط والاختصار المخل والإقصاء المتعمد، خشية أن يكون مصيرهم كمصير الحكيم الترمذي، وهذا ما سنراه في الدراسات الآتية.

2. الولاية عند الطوسي:

رغم أهمية كتاب **' اللُمع '** لصاحبه أبي النصر عبد الله السراج الطوسي (ت 378هـ/988م) إلا أنه لم يتطرق لموضوع الولاية سوى مرتين، الأولى في الباب الذي عنونه بـ « ذكر من غلط في النبوة والولاية»[4] الذي لا يتجاوز عدد صفحاته الثلاث، انتقد فيه أولئك الذين يفضلون الولاية على النبوة، وخلص في آخر بابه إلى أن «الولاية والصدِّيقية منوَّرة بأنوار النبوة، فلا تلحق النبوة أبدًا، فكيف تفضل عليها؟»[5]، أما المرة الثانية فخصص فيها كتاباً لـ " إثبات الآيات والكرامات"[6]، وهو عبارة عن رد المنكرين

1 – محمد حلمي عبد الوهّاب: **ولاة وأولياء**، ص 83-84.

2 – الحكيم الترمذي: **بدو شأن أبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي**، ضمن **كتاب ختم الأولياء**، ص 14-32.

3 – علي شود كيفيتس: **الولاية والنبوة**، ص 36. محمد حلمي عبد الوهّاب: **ولاة وأولياء**، ص 85.

4 – الطوسي: **اللُّمَعُ**، ص 535-537.

5 – نفسه، ص 537.

6 – نفسه، ص 390-407.

لكرامات الأولياء، وفي ماعدا هذين الموضعين، لا نكاد نلمس طرحا معمقا لموضوع الولاية.

3. الولاية عند الكلاباذي:

كذلك أبو بكر الكلاباذي (ت 380هـ/990م) في كتابه الموسوم بـ " **التعرف لمذهب أهل التصوف** " لم يحد على الطوسي في تحفظه في موضوع الولاية وسار على نهجه، فرغم أن كتابه يحتوي على خمسة وسبعين بابا لم نجد فيه ما يهم الولاية إلا في الباب السادس وعشرين والذي عنونه بـ " قولهم في كرامات الأولياء "[1]، فحاول إثبات كرامات الأنبياء كما فرق بين الكرامة وغيرها بقوله: « فالذي للأنبياء معجزات، وللأولياء كرامات، وللأعداء مخادعات»[2]، كما أعاد طرح سؤال سابقه الترمذي وهو: «هل يجوز للولي أن يعرف أنه ولي أم لا»[3]، فكان جوابه في شقين حين قال: « قال بعضهم: لا يجوز ذلك، لأن معرفة ذلك تُزيلُ عنه خَوْفَ العاقبة، وزوالُ خوف العاقبة يوجب الأمن، وفي وجوب الأمن زوالُ العبودية، لأن العبد بين الخوف والرجاء .... وقال الأجِلَّةُ منهم والكبارُ: يجوز أن يعرف الوليُّ ولايَتَهُ لأنها كرامة من الله تعالى للعبد، والكراماتُ والنِّعَمُ يجوز أن يُعلم ذلك فيقتضي زيادة الشكر»[4].

كما أورد الكلاباذي في الأخير« الولاية ولايتان: ولاية تخرج من العداوة وهي لعامَة المؤمنين، فهذه لا توجب معرفتها والتحقق بها للأعيان لكن من جهة العموم، فيقال: المؤمن ولي الله ولاية اختصاصٍ واصطفاءٍ واصطناع، وهذه توجب معرفتها والتحقق بها، ويكون صاحبها محظوظًا عن النظر إلى نفسه فلا يدخله عجب، ويكون

1 – أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي: **التعرف لمذهب أهل التصوف**، ضبطه وعلق عليه وخرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1993م، ص 79-88.

2 – نفسه، ص 81.

3 – نفسه، ص 82.

4 – نفسه.

مسلوبا من الخلق، بمعنى النظر إليهم بحظّ فلا يفتنونه. ويكون محفوظًا عن آفات بشرية وإن كان طبع البشرية قائمًا معه باقيًا فيه، فلا يستحلي حظًّا من حظوظ النفس استحلاءً بفتنه في دينه، واستحلاءُ الطبع قائم فيه، وهذه هي خصوص الولاية من الله للعبد»[1].

4. الولاية عند المكي:

أما أبو طالب المكي (ت 386هـ/996م) الذي يحتوي كتابه " **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد** " على ثمانية وأربعين فصلًا موزعة على ثلاثة أجزاء، فلم نجد فيه ضالتنا إلا في فصل وحيد وهو الفصل التاسع والعشرين والذي كان عنوانه " ذكر أهل المقامات من المقربين وتمييز أهل الغفلة المبعدين"[2]، حيث ميّزَ فيه بين طوائف ثلاث من الأولياء يترتبون فيه ترتيباً تنازليا، وهم: أهل العلم، وأهل الحب، وأهل الخوف. ثم يذكر مأثورات منسوبة للمسيح، يعدد فيها فضائل الأولياء[3]، وغير ذلك لا نجد شيئا آخر يهم موضوع الولاية.

5. الولاية عند السُلمي:

أبو عبد الرحمان السلمي (ت 412هـ/1021م) في مقدمة كتابه " **طبقات الصوفية** "، يقول: « أحببت أن أجمع في سير متأخري الأولياء كتابا أسميته " طبقات الصوفية"»[4]، وكأن السلمي يعتبر أن مصطلحي الولي والصوفية يكادان يكونان مصطلحا واحداً، وهذا ما تطرقنا إليه سابقا وأقرته أيضا نللي سلامة العامري[5]، وكما يذكر السُلمي أيضا في مقدمته أن الله تعالى قد « أتبعَ الأنبياء – عليهم السلام –

1 – الكلاباذي: **التعرف لمذهب أهل التصوف**، ص 82–83.

2 – أبو طالب المكي: **قوت القلوب**، ج 1، ص 312–320.

3 – نفسه، ص 319.

4 – السلمي: **طبقات الصوفية**، ص 09.

5 – نللي سلامة العامري: **التصوف بإفريقية**، ص 18.

بالأولياء، يخلفونهم في سننهم، ويحملون أمتهم على طريقتهم وسيمتهم»[1]، وما نلاحظه في هذا الكتاب تردد ذكر كلمة الولي والأولياء والولاية وهذا لكون الكتاب هو عبارة عن ترجمات للأولياء، غير أنه لا يشتمل على أي عرض مذهبي للولاية، بل نجده حتى في حديثه عن محمد بن علي الترمذي صاحب كتاب " ختم الأولياء " لا يتضمن أدنى إشارة إلى علاقته بموضوع الولاية لا من قريب ولا من بعيد[2]، وكأنه تعمد ذلك قصداً. وقد أثار كتاب السلمي عدداً من القضايا والمسائل التقليدية حول الكرامة وإمكانية وقوعها، وقضية هل يعرف الولي بولايته، وكما يتطرق لصفات الأولياء وخصائصهم، وأوضاعهم في الدنيا، و يحث على زيارة الأولياء وأضرحتهم.

6. الولاية عند أبي نعيم الأصفهاني:

يعد كتاب الأصفهاني (ت 430هـ/1038م) الموسوم بـ " **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** " من أهم وأضخم المصادر التي اهتمت بالترجمة للأولياء، فمن خلال عنوانه نلاحظ أن الأصفهاني كأنه يعتبر الولاية والتصوف ظاهرة واحدة كما هو الشأن عند سابقه السلمي. أما عن النسخة التي بين أيدينا من كتاب حلية الأولياء بها أحد عشر جزءً، وتحتوي على ما لا يقل عن تسع وثمانين وستمائة ترجمة، وفي هذا الكتاب وجدنا دراسة جادة نوعا ما للولاية، غير أن ما لاحظناه عند أبو نعيم أنه تناول ظاهرة الولاية بحذر شديد حتى أن علي شود كيفيتس اعتبر أن معالجة الأصفهاني للولاية كانت مضطربة واستعملت فيها الكثير من الجمل الإشارية، بل ذهب أكثر من ذلك إلى اعتباره أن مفهوم الولاية ذاتها في كتاب الحلية بقي عاريا أي تحديد أو تعريف يكشف عن حقيقتها[3]. وربما حسبنا أن سبب هذا التحفظ والحذر في تناول موضوع

---

1 – السلمي: **طبقات الصوفية**، ص 09.

2 – نفسه، ص 70-71.

3 – علي شود كيفيتس: **الولاية والنبوة**، ص 42.

الولاية والولي، هو خوف الأصفهاني من أن يكون مصيره كمصير الترمذي حين تجرأ في طرح ظاهرة الولاية.

ودليلنا في هذا الرأي الأخير، أنه رغم أهمية الترمذي إلا أن الأصفهاني أهمله في ترجمته له فلم يخصص له سوى بضع صفحات[1]، كما لم يتطرق إلى أي قول من أقوال الترمذي في الولاية رغم أن هذا أهم ما ساهم به الترمذي في الفكر الصوفي عامة، وبهذا فالأكيد أن أبا نعيم تعمد إهمال الترمذي وهذا ما انعكس على دارسته التي كانت تنقصها الكثير من الجرأة في طرح موضوع ظاهرة الولاية، على الرغم من دلالة عنوانه على الولاية.

ورغم أن تعريف الولاية بقي غير واضح في الحلية، إلا أن صاحب الكتاب تطرق إلى نقاط أخرى جد مهمة عند الأولياء كصفاتهم الظاهرة ومراتبهم تحدث فيها بإسهاب كما ركز على ضرورة استتار الولي عن العباد، وفي كل هذه المسائل التي تناولها الأصفهاني كان فيها دائما حريصا على استحضار أدلته من القرآن وأحاديث نبوية وبعض من أخبار الأولين[2].

7. الولاية عند القشيري (ت 456هـ/1072م):

تعد " **الرسالة القشيرية** " من أهم كتب التصوف على مر العصور، وقد صنفها صاحبها سنة 438هـ/1046م وعمره آنذاك ثمان وثلاثون سنة[3]. وأول ما استوقفنا فيها ما قاله مؤلفها القشيري في مقدمته: « لقد جعل الله من هذه الطائفة [طائفة المتصوفين] صفوة أوليائه»[4]، وبهذا القول ينطبق على القشيري نفس ما ذكرناه في

---

1 – الأصفهاني: **حلية الأولياء**، ج 10، رقم: 564، ص 233-235.

2 – نفسه، ج 1، ص 05-17.

3 – الأخضر القويدري: **الفكر التربوي الصوفي – قراءة في التراث التربوي عند أعلام التصوف الإسلامي–**، تقديم: نظلة الجبوري، ط 1، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 1430هـ/2010م، ص 146.

4 – القشيري: **الرسالة**، ص 36.

شأن سابقيه السلمي والأصفهاني، حيث جميعهم يكاد يقر أن مصطلحي الولي والصوفي هما واحد، أي أن ظاهرتيْ الولاية والتصوف ظاهرة واحدة.

وبرجوعنا إلى الرسالة القشيرية التي رغم أهميتها إلا أن صاحبها لم يخصص إلا باباً واحداً للولاية في رسالته ولا يتجاوز عدد صفحاته خمس[1]، مفتتحا إياه بالآية الكريمة ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢﴾ [2]، وأتبعها بالحديث النبوي الشهير « **من آذى لي وليا فقد استحل محاربتي**....»[3]، ثم تناول المعنى اللغوي للولي، ثم تطرق إلى أنه « من شرط الولي أن يكون محفوظا، كما أنه من شرط النبي أن يكون معصوما»[4]، وبعدها طرح السؤال الذي طرحه سابقاه وهو: هل يجوز أن يعلم الولي أنه ولي أم لا؟ فعرض الرأيين وناقشهما ومن خلال ذلك لاحظنا أن القشيري يميل إلى جواز أن يعلم الولي بأنه ولي، ثم بعد ذلك تناول العديد من قضايا الولاية في مختصرات كاستتار الولي، والعلاقة بين النبوة والولاية وفناء النفس وغيرها، إلى أن ختم بابه بشرح الآية التي افتتحه بها.

كما أضاف القشيري فصلا آخر عن الأحوال والكرامات[5]، ناقش فيه العديد من المسائل التي ناقشها غيره والمتعلقة بالولاية والكرامة، فبدأه بتعريف الكرامة، ثم أتى بنماذج من كرامات جاءت في القرآن والسنة، وبعدها أعاد تعريف الولي وتحدث عن عصمته، وسقوط الخوف عنه، وتغيّر حال الأولياء، ورؤيتهم لله وغيرها من قضايا الولاية، إلا أن ما لاحظناه عند القشري في تناوله لهذه القضايا أنه يكثر من ذكر

---

1 – القشيري: **الرسالة**، ص 259–263.

2 – يونس، الآية 62.

3 – الحديث روته عائشة، وأخرج البخاري مثله عنها في جامعه. ينظر: البخاري: **الجامع المسند**، ج 8، كتاب الرقائق، باب التواضع، الحديث رقم: 6502، ص 105.

4 – القشيري: **الرسالة**، ص 260.

5 – نفسه، ص 351–378.

الروايات الكرامية ربما إلى حد الإفراط، ورغم كبر هذا الفصل إلا أن القشيري لم يأت بجديد يذكر عن من سبقه.

III- طبقات الأولياء ومراتبهم:

حدد الصوفية نظاما تراتبيا ينبني عليه مجتمعهم الولائي، فعينوا رتبًا يتدرج فيها الأولياء، وأول من حدد هذه المراتب الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي (ت 638هـ/1240م) في الباب الثالث والسبعين من كتابه الفتوحات المكية، وقد شرحها وأطال في ذلك، وقد عددها الشيخ الأكبر في ست طبقات حين قال: « والمجمع عليه من أهل الطريق أنهم [أي الأولياء] على ست طبقات أُمَّهات: أقطاب، وأئمة، وأوتاد، وأبدال، ونقباء، ونجباء»[1].

وكل من تحدث في هذا الأمر وحتى من أضاف فيه رجع إلى ابن عربي، فهذا مثلا ابن عجيبة أكد ما ذهب إليه الكبريت الأحمر وأضاف إليه طبقة، حيث أن ابن عجيبة قسم أولياء الله إلى سبع مراتب، حين قال: « فقضاهن سبع طبقات، وهي دوائر الأولياء، دائرة الغوث، ثم دائرة الأقطاب، ثم الأوتاد، ثم الأبرار، ثم النجباء، ثم الصالحين»[2]. كما أن هذه المراتب مرتبطة ببعضها البعض، وفي هذا كذلك قال الهجويري: « أهل الحل والعقيدة، وقادة حضرة الحق ﷻ، فثلاثمائة يدعون الأخيار، وأربعون آخرون يسمون الأبدال، وسبعة آخرون يقال لهم: الأبرار، وأربعة يسمون الأوتاد، وثلاثة آخرون يقال لهم النقباء، وواحد يسمى القطب أو الغوث، وهؤلاء جميعاً يعرفون أحدهم الآخر، ويحتاجون في الأمور لإذن بعضهم البعض »[3].

---

1 - محي الدين بن عربي: **الفتوحات المكية**، تحقيق وتقديم: عثمان يحي، تصدير ومراجعة: إبراهيم مدكور، س 12، ط 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1405هـ/1985م، ص 64.

2 - أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي: **البحر المديد**، ج 6، ط 2، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، 1423هـ/2002م، ص 503.

3 - الهجويري: **كشف المحجوب**، ج 1، ص 447-448.

وكان سند الصوفية في مراتب الأولياء وطبقاتهم، إلى حديث نبوي روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: « لله من عباده المسلمين في كل قرن ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم عليه السلام وأربعون قلوبهم على قلب موسى عليه السلام وسبعة قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام وخمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام وواحد قلبه على قلب إسرافيل عليه السلام لا يزالون إلى يوم القيامة فإن مات الواحد بدل الله مكانه ممن قبله في الكثرة وقسر على هذا مات واحد من الثلاثمائة بدل مكانه من سائر العامة فبهم يمطر وبهم يحي وبهم يميت الناس»[1].

وهكذا صار الأولياء يتدرجون في مراتب الولاية، نحو قمة الهرم وهي مرتبة القطب وهو الغوث بمكة ولا يبلغ هذه المرتبة إلا واحد عصره ثم تليه العمد وهم أربعة على زوايا الأرض وكل واحد على ركنه، ثم يليهم الأخيار السبعة الذين لا قرار لهم فهم جوالون وسائحون في الأرض، يليهم البدلاء وهم أربعون في الشام، ثم النجباء وعددهم سبعون بمصر، وآخر هذه المراتب النقباء وهم خمسمائة بالمغرب[2].

ويتجدد هذا النظام التراتيبي باستمرار دائم، ذلك أن القطب (الغوث) إذا مات يخلفه واحد من العمد الأربعة، الذي يعين بدله واحد من الأخيار السبعة، ويرتقي مكان ذلك السابع أحد البدلاء الأربعين، ومكان ذلك أحد الأربعين يعين أحد النجباء السبعين وهذا الأخير بدوره يخلفه واحد من النقباء الخمسمائة، ويخلف هذا

1 – ابن مريم: **البستان** ، ص 278.

2 – نفسه، ص 277–278. آمال لدرع: **الحركة الصوفية في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الزياني (633–962هـ/1236–1555م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: بوبه مجاني، جامعة منتورى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، قسنطينة، السنة الجامعية: 1426–1427هـ/2005–2006م، ص 200–201.

النقيب واحد من السالكين المتدرجين في المقامات[1] والأحوال[2]، وبهذا يحافظ هذا النظام على ديمومته[3].

وهكذا صار للأولياء نظاماً كونياً تراتبياً، محافظاً عن ديمومته بفضل توارث الأولياء لمراتب بعضهم، والرقي في السلم الولائي بفضل أعمالهم ومجاهداتهم وأحوالهم، نحو الرتبة العلية وهي القطبية أو الغوثية، ويمكن حصر هذه الرتب في:

1. القطب(الغوث):

تجمع أغلب المصادر الصوفية على تعريف الولي بأنه: « هو الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى، من العالم في كل زمان وهو على قلب إسرافيل عليه السلام»[4]، ولا ينال هذه الرتبة إلا من علم معاني الحروف المقطعة في أول السور، وفي هذا قال الشعراني نقلا عن ابن عربي: « لا يتمكن القطب أن يقوم في القطبانية إلا بعد أن

---

1 – **المقامات:** جمع المقام وهو مقام العبد بين يدي الله فيما يقوم به من العبادات والمجاهدات والرياضات، ولا يرتقي العبد من مقام إلى مقام آخر ما لم يستوف أحكام المقام الأول، ومن المقامات التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والرضا والتوكل وغيرها. ينظر: القشيري: **الرسالة**، ص 56. الطوسي: **اللمع**، ص 65. ابن خلدون: **شفاء السائل**، ص 90.

2 – **الأحوال:** جمع الحال وهي حالة نفسية عابرة لا تدوم تحل بالقلوب من صفاء الأذكار. ومن المقامات: المراقبة والقرب والمحبة والخوف والرجاء والشوق والأنس والطمأنينة والمشاهدة واليقين وغير ذلك. ينظر: الطوسي: **اللمع**، ص 65. عمر فروخ: **التصوف في الإسلام**، د ط، دار الكتاب العربي، بيروت، 1401هـ/1981م، ص 54.

3 – ابن مريم: **البستان**، ص278. الطاهر بونابي: **الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14–15 الميلاديين**، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف: عبد العزيز فيلالي، جامعة الجزائر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، السنة الجامعية: 1429–1430هـ/2008–2009م، ص 200.

4 – ابن عربي: **التعريفات للشيخ الأكبر**، تحقيق وتقديم: رفيق العجم، ضمن مجلة الأبحاث الأمريكية، العدد: 36، بيروت، 1988م، ص 13. عبد الرزاق الكاشاني: **معجم اصطلاحات الصوفية**، تحقيق وتقديم وتعليق: عبد العال شاهي، ط 1، دار المنار، القاهرة، 1413هـ/1992م، ص 162.

يحصل معاني الحروف التي في أوائل السور المقطعة مثل آلم والَمَصَ ونحوها، فإذا أوقفه الله تعالى على حقائقها ومعانيها تعينت له الخلافة وكان أهلاً لها»[1].

كما أن الشيخ الأكبر ابن عربي اعتبر « الأقطاب وهم الجامعون للأحوال والمقامات بالأصالة أو بالنيابة... ورجال الله قد يتوسعون في هذا الإطلاق فيسمون قطباً كل من دار عليه مقام ما من المقامات، وانفرد به في زمانه على أبناء جنسه ... ولا يكون منهم في الزمان إلا واحد، وهو الغوث أيضا، هو من المقربين وهو سيد الجماعة في زمانه»[2]، ومن خلال هذا النص نستشفُّ أن القطب هو في نظر ابن عربي نفسه الغوث، وهذا ما ذهب إليه المناوي أيضا حين قال: « القطب، وقد يسمى غوثاً باعتبار إلتجاء الملهوف إليه، عبارة عن الواحد الذي هو موضوع نظر الله تعالى في كل زمان»[3].

وقد كانت « القطبية للعارف هي منتهى مناله وغاية آماله»[4]، بما أننا بصدد الحديث عن الأقطاب وجب علينا التوقف عن أكبر أقطاب المغرب وأشهرهم وهو الغوث أبو مدين شعيب (ت 594هـ/1197م)، الذي قال فيه الغبريني نقلا عن محي الدين أبو بكر بن العربي المعروف بإبن سراقة: « أن الشيخ أبا مدين رحمه الله لم يمت حتى تقطب قبل أن يغرغر بثلاث ساعات»[5]، وتعددت نعوته عند المؤرخين المغاربة، فهذا يحي بن خلدون تارة يلقبه بـ " قطب العارفين " وتارة أخرى بـ " الشيخ

---

1 – عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني: **اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر**، ج 2، د ط، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، د ت، ص 446.

2 – ابن عربي: **الفتوحات المكية**، س 11، ص 274. وهذا ما ذهب إليه أيضا المناوي وسائر الصوفية، ينظر: محمد عبد الرؤوف المناوي: **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط 1، دار الفكر المعاصر، بيروت – دمشق، 1410هـ/1989م، ص83.

3 – المناوي: **التوقيف**، ص586. ينظر أيضا: رفيق العجم: **موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي**، ط 1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1999م، ص694.

4 – الغبريني: **الدراية**، ص56.

5 – نفسه.

الصالح قطب العارفين وشيخ المشائخ "[1]، أما ابن قنفد القسنطيني نعته بـ" الشيخ العارف المحقق الواحد القطب "[2].

وما تجدر إليه الملاحظة أن المرأة في المغرب الإسلامي اشتركت مع الرجل في جميع المراتب الولائية حتى القطبية[3]، ولم نجد في وليات فترتنا من نالت القطبية غير عائشة المنوبية (ت665هـ/1267م)، والتي قالت عن نفسها: « أنا أحبني ربي واختارني واصطفاني وزينني وسقاني وأيدني وجعلني زينة الأولياء وجعلني قطبة الأقطاب ... وقطبة أقراني وفريدة زماني ... أنا قطبية الرجال وقطبة الأشراف ... أنا قدمني ... عشرة آلاف ولي قدموني وقالوا لي أنت قطبتنا ورضينا بك وقدمناك ورفعناك ورفعنا لك البيعة أنا فارسة الفرسان أنا خليفة الله في أرضه»[4]، وهذا الذي نلاحظه في نص عائشة المنوبية هو مفاخرتها بنفسها وبقطبيتها وهذا ما جعل أحد الدارسين[5] يعتبر أن اعتراض البعض عن تقطبها بل فيهم من نفوا إمكانية وجود أي ولية كانت غوثا أو قطباً.

---

1 – أبو زكريا يحي بن خلدون: **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، ط 1، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م، ص 107؛ 125.

2 – ابن قنفد: **أنس الفقير**، ص 11.

3 – محمد العدلوني الإدريسي: **معجم مصطلحات التصوف الفلسفي**، ط 1، دار الثقافة مؤسسة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1423هـ/2002م، ص 174.

4 – مؤلف مجهول: **مناقب الولية الصالحة عائشة المنوبية**، زاوية الهامل، بوسعادة، من مجموع، رقم: 066، ورقة 104/أ.

5 – سهام دحماني: **المرأة والتصوف في المغرب الإسلامي من القرن 6هـ/12م إلى القرن 9هـ/15م**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاجتماعي للمغرب في العهد الوسيط، إشراف: بوبة مجاني، جامعة منتوري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، قسنطينة، السنة الجامعية: 1427-1428هـ/2006-2007م، ص 86.

2. الأئمة:

وهما اثنان لا ثالث لهما، وهما بمنزلة الوزيرين للقطب[1]، الأول منهما عبد الرب وهو مقصور على مشاهدة عالم الملكوت أي العالم الروحاني. أما الآخر عبد الملك وهو مقصور على عالم الملك أي العالم المادي[2]، وهذا الأخير أعلى مرتبة من صاحبه وهو الذي يخلف القطب إذا مات[3].

3. **الأوتاد:**

وهم أربعة رجال في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون[4]، منازلهم على منازل أربعة أركان من العالم: شرق، وغرب، وشمال، وجنوب، مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة[5]. وقيل أيضا أن عددهم أربعون وقد يكون منهم النساء[6]، ولم نسجل حضورا لوليات بالمغرب في هذه المرتبة غير عائشة المنوبية التي قالت على نفسها: « أنا من الأربعة من ركائز الأرض...»[7].

---

1 – ابن عربي: **الفتوحات المكية**، س 11، ص 275.

2 – نفسه، ص276. يوسف بن إسماعيل النبهاني: **جامع كرامات الأولياء**، تحقيق ومراجعة: إبراهيم عطوة عوض، ج 1، ط 1، مركز اهلسنة بركات رضا فوربندر، غجرات – الهند، 1322هـ/2001م، ص 69.

3 – الجرجاني: **كتاب التعريفات**، ص 36.

4 – النبهاني: **جامع كرامات الأولياء**، ج 1، ص 69.

5 – عبد الرزاق الكاشاني: **رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال**، ضبطه وصححه وعلق عليه: عاصم إبراهيم الكياني، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م، ص 201. عبد الحميد محمد عرادة: **الولاية عند غلاة الصوفية (عرض ونقد)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: أحمد جابر العمصي، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، السنة الجامعية: 1431هـ/2010م، ص 136.

6 – ابن عربي: **الفتوحات المكية**، س 11، ص 277–278. النبهاني: **جامع كرامات الأولياء**، ج 1، ص 108.

7 – مؤلف مجهول: **مناقب عائشة المنوبية**، ورقة 108/أ.

4. الأبدال:

وهم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة[1]، وقيل أنهم سبعون: أربعون بالشام وثلاثون بغيرها[2]، وهم الذين يفنون عن إرادتهم وتبدل بإرادة الله عز وجل، وسموا بذلك لأنهم بُدِّلوا خلقا بعد خلقٍ، وصُفُّوا تصفية بعد تصفية[3]. ومن أشهر أصحاب هذه المرتبة أبا مدين شعيب الذي تقطب فيما بعد، حيث وصفه ابن مريم قائلا: « كان رحمه الله ... صدرا من صدور الأولياء والأبدال»[4].

5. النقباء:

عرف ابن عربي في كتابه الفتوحات المكية أن النقباء« وهم إثنا عشر نقيبا في كل زمان، لا يزيدون ولا ينقصون، على عدد بروج الفلك الاثني عشر برجاً، كل نقيب عالم بخاصية برج، وبما أودع الله في مقامه من الأسرار والتأثيرات وما يعطي للنزلاء فيه من الكواكب السيارة والثوابت »[5]. غير أن ابن عربي في كتابه التعريفات ذكر أن عدد النقباء وهم ثلاثمائة[6]، غير أن أحمد النقشبندي الخالدي تفرد بعدّ النقباء في أثني عشر نقيبًا [7].

1 – ابن عربي: **الفتوحات المكية**، السفر: 11، ص 278. سعاد الحكيم: **المعجم الصوفي**، ط 1، دندرة للطباعة والنشر، بيروت، 1401هـ/1981م، ص 190.

2 – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط 8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1426هـ/2005م، ص 965.

3 – الكاشاني: **رشح الزلال**، ص ص201، 204. رفيق العجم: **موسوعة مصطلحات التصوف**، ص 02.

4 – ابن مريم: **البستان**، ص 108.

5 – ابن عربي: **الفتوحات المكية**، س 11، ص 281. وكذلك النبهاني نقل تعريفا للنقباء عن ابن عربي يكاد يكون نفسه ووافق ابن عربي في عدد النقباء وهم اثنا عشر نقيبا. ينظر: النبهاني: **جامع كرامات الأولياء**، ص70.

6 – ابن عربي: **التعريفات**، ص13. وذهب كذلك القاشاني إلى أن عدد النقباء ثلاثمائة. ينظر: القاشاني، **معجم اصطلاحات الصوفية**، ص 116.

7 – أحمد النقشبندي الخالدي: **جامع الأصول في الأولياء – الطرق الصوفية–**، تحقيق: أديب نصر الله، ج 2، ط 1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 1997م، ص 13.

أما عن عملهم وكراماتهم فقال فيها ابن عربي: « وأعلم أن الله قد جعل بأيدي هؤلاء "النقباء" علوم الشرائع المُنَزَلَة. ولهم استخراج خبايا النفوس وغوائلها، ومعرفة مكرها وخداعها»[1]. والنقباء أعلى مرتبة من النجباء لأنهم مطلعون على أحوالهم وأسرار النجوم والكرسي والعرش[2].

6. النجباء:

ذهب أغلب الصوفية القدماء والمحدثين إلى أن عدد النجباء ثمانية في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون[3] غير أن ابن عربي ذكر في كتابه التعريفات أن النجباء « هم أربعون وهم مشغولون بحمل أثقال الخلق، فلا يتصرفون إلا في حق الغير»[4]، ويبدو أن الكاشاني نقل ما ذكره ابن عربي حين قال: النجباء: « هم الأربعون القائمون بإصلاح أمور الناس، وحمل أثقالهم المتصرفون في حقوق الخلق لا غير»[5].

غير أن الكمشخانوي شذ في عددهم حين قال: « هم سبعون، مشغولون بحمل أثقال الخلق، فلا ينتظرون إلا في الحق، ولهم ثمانية أعمال، أربعة باطنة، وأربعة ظاهرة، فأما الظاهرة، فهي الفتوة والتواضع والأدب وكثرة العبادة، وأما الباطنة فالسفر والشكر والحياء، وهم أهل المكارم والأخلاق والعرفان»[6].

وأهم ما استوقفنا في تعريفات النجباء هو التعريف المختصر الجامع للنبهاني الذي قال فيه: « النجباء وهم ثمانية في كل زمان، لا يزيدون ولا ينقصون وهم الذين

1 – ابن عربي: **الفتوحات المكية**، س 11، ص 282.

2 – النقشنبدي: **جامع الأصول**، ج 2، ص 13.

3 – ابن عربي: **الفتوحات المكية**، س 11، ص 282–283. النبهاني: **جامع كرامات الأولياء**، ج 1، ص 70. النقشندي: **جامع الأصول**، ص 13. عاصم إبراهيم الكيالي: **الولاية والولي عند السادة الصوفية في الشريعة والطريقة والحقيقة**، ط 1، كتاب ناشرون، بيروت، 1431هـ/2010م، ص 38.

4 – ابن عربي: **التعريفات**، ص 13.

5 – الكاشاني: **معجم اصطلاحات الصوفية**، ص 114.

6 – أحمد بن مصطفى ضياء الدين الكمشخانوي النقشبندي: **جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم وأوصافهم وأصول كل طريق**، د ط، المطبعة الوهبية، مصر، 1298هـ/1881م، ص 3.

تبدو منهم وعليهم أعلام القبول من أحوالهم، وإن لم يكن في ذلك اختيار، لكن الحال يغلب عليهم، ولا يعرف ذلك منهم إلا من هو فوقهم لا من هو دونهم»[1].

وما تجدر إليه الملاحظة أن مصادر فترتنا المدروسة، كان فيها ذكر المراتب الولائية محتشما جداً سواء القطبية أو غيرها، وهذا ما خلص إليه كذلك الباحث في التصوف الدكتور الطاهر بونابي[2]، بل حتى كتب المناقب يكاد ينعدم فيها ذكر هذه المراتب أو توصيف الأولياء بها منعدما، وكأن هذا التحاشي وعدم الخوض فيها متعمداً.

وفي الأخير يمكننا القول: أنه رغم اختلاف المتصوفة في بعض الطبقات وفي عدد أفرادها، ورغم تحاشي وعدم خوض بعضهم في هذا الأمر، إلا أنه بفضل هذه التصنيف التراتبي الطبقي صار للأولياء نظاماً كونياً تراتبياً، محافظاً عن ديمومته بفضل توارث الأولياء لمراتب بعضهم، والرقي في السلم الولائي بفضل أعمالهم ومجاهداتهم وأحوالهم، نحو الرتبة العلية وهي القطبية أو الغوثية، وما تجدر إليه الملاحظة كذلك أن المرأة المغاربية اشتركت مع الرجل في جميع المراتب الولائية حتى القطبية.

IV- الولاية والولي بين الاستشراق وكتب المناقب والتراجم:

من الصعب على الباحث أن يجزم بتحديد بداية قاطعة في الزمان والمكان لبدء الظواهر الدينية، فما بالنا بظاهرة الولاية التي يكتنفها جانب كبير من الغموض والتطور والتغير، إلى جانب اندماج المنحى الصوفي في الحياة الدينية العامة خاصة خلال القرنين الأولين.

---

1 -النبهاني: **جامع كرامات الأولياء**، ص 70.

2 - الطاهر بونابي: **الحركة الصوفية**، ص 201.

1. نشأة الولاية في نظر المستشرقين :

شكلت الحياة الدينية بالمغرب الإسلامي اهتماما واسعا للدارسين الغربيين سواء مؤرخين أو علماء اجتماع أنثربولوجيين أو أثنوغرافيين، وكانت دوافعهم في ذلك متعددة منها خدمتهم الفكر الاستعماري حيث كان عدد منهم من عملاء الإدارة الفرنسية ولم يكونوا متخصصين في التاريخ، كما كان غرضهم دراسة مكانة الدين في مجتمعات جنوب شرق البحر الأبيض المتوسط.

ولقد انطلق بعض المستشرقين من نظرية أنثروبولوجية ترى أن البربر أقبلوا على التصوف أكثر من العرب، وأن ظهور الأولياء واحترامهم يعود إلى فرضية الأصول الأمازيغية القديمة[1]، فاعتبر بعضهم أن احترام وتقديس الأولياء مظهر الحنين إلى تقاليد المجتمع الأمازيغي الوثني لما قبل الإسلام، والتي كان أهم مميزاتها تقديس الكهنة والسحرة، ومن هؤلاء " كولدزيهر" (Goldziher) الذي قال في هذا الصدد: «إن المظهر الذي اتخذه تسجيل الأولياء في الشمال الإفريقي يعكس ميل البربر قبل الإسلام للسحر، وإلى التقديس الذي أحاطوا به كهنتهم وكاهناتهم، الذين لم يعتبروهم مجرد سحرة عاديين، بل اعتبروا أنبياء»[2]. وأكد إدوارد مونتي (Edouard Montet) هذه الفكرة، حين قال: « على الرغم أننا لا نعرف الشيء الكثير عن ديانة البربر السابقة للديانة المحمدية فإن التماثلات التي توجد داخل الإسلام الشرقي تشي بأن بعض الأولياء المسلمين هم بلا شك ورثة الآلهة الوثنية الرومانية .... فقد أورد رقم كبير من الباحثين كبروسكوب (Proscope) مجموعة من المعلومات عن الأنثروبولولتريا Anthropolâtrie (عبادة الإنسان) عند البربر وتبجيلهم لكهنتهم الذين

---

1 – جورج مارسيه: **بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ترجمة: محمود هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991م، ص331.

2 - Edmond Doutté: **Notes sur l'islam maghrébin : les marabouts**, Revue de l'histoire des religions, N°: 40, Année: 1899, pp 348-349.

نقلا عن: عبد الجليل لخمنات: **التصوف المغربي**، ص 34-35.

كانوا ينبؤونهم بالغيب ويستطلعون لهم المستقبل، فكل هذا يدفعنا إلى تأكيد الجذور الوثنية للإعتقاد في الأولياء بالمغرب»[1].

وأكد هذه النظرة كذلك ألفرد بل (Alfred Bel) حين اعتبر أن « الإسلام رغم وحدانيته المطلقة لم يستطع أن يقضي على التصور الديني القديم عند البربر .... وأن ديانة البربر تبدو لنا محملة ببقايا وثنية عديدة مؤلفة من طقوس دينية سحرية»[2].

غير أن ألفرد بل في موضع آخر من كتابه " الفرق الإسلامية " أكد غير هذا، حيث اعتبر أن التصوف عامة والولاية خاصة لها أصول مسيحية[3]، وهذا الإدعاء ذهب إليه كذلك جمهور من المستشرقين[4]، من بينهم المستشرق الإسباني آسين بلاسيوس (Asin Palacios)[5] وليفي بروفنسال (Lévi–Provençal)[6].

كما أن من المستشرقين من أرجع أصول ظاهرة الولاية إلى تمازج الطبيعة البربرية مع الديانة اليهودية وإلى أفكارها ذات المنحى الغنوصي التي كانت منتشرة في

1 - Edouard Montet: **le culte des saints musulmans dans l'Afrique du Nord et plus spécialement au Maroc**, librairie George, Genève, 1909, p 8.

نقلا عن: محمد الكحلاوي: **الفكر الصوفي في إفريقية والغرب الإسلامي (القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي)**، ط 1، دار الطليعة، بيروت، 2009م ، ص 74-75.

2 – ألفرد بل: **الفرق الإسلامية**، ص 60-61.

3 – نفسه، ص 99 وما بعدها.

4 – حول المستشرقين أصحاب هذا الطرح وبعض الباحثين العرب الذين ساروا على دربهم، وعلاقة التصوف والولاية بالديانة المسيحية. ينظر: الفصل الأول الذي عنونه محمد الكحلاوي بـ " اشكالية الأثر المسيحي في التصوف الإسلامي مابين المستشرقين والدارسين العرب ". محمد الكحلاوي: **مقاربات وبحوث في التصوف المقارن –أضواء على علاقة التصوف الإسلامي بالمسيحية، اليهودية، الفلسفة اليونانية الثقافة الفارسية والعقائد الهندية–**، ط 1، دار الطليعة، بيروت، 2008م، ص 13-55.

5 – أسين بلاثيوس: **ابن عربي**، ص 103 وما بعدها .

- Asine Palacios: **Ibn Massarra y su escuela**, Imprenta Ibérica - E. Maestre, Madrid, 1914, p 28.

6 – ليفي بروفنسال: **حضارة الغرب في الأندلس**، ترجمة: ذوغان قرقوط، د ط، مكتبة الحياة، بيروت، د ت، ص 28-30.

الأديرة والمعابد اليهودية بالمغرب الإسلامي[1]، ومن هؤلاء المستشرقين أدولف فور (Adolphe Faure) الذي يرى أن « أذواق البربر الخاصة ونزولهم إلى الاستقلالية ومعارضتهم لسلطة الدولة المركزية تتوافق تماماً مع تقاليد النّساك اليهود القديمة وآباء البرية Pères du désert التي امتدت جذورها في هذه البلاد بواسطة الولي البربري»[2].

إن أهم ما لاحظناه عند المستشرقين، أنهم حاولوا أن يربطوا ظاهرة الولاية في العنصر البربري دون سواه، وهذا خطأ لأن ظاهرة الولاية انتشرت عند كافة الأجناس التي تضمنتها الشعوب الإسلامية من عرب وعجم وبربر في القديم والحديث[3]. وهكذا يمكننا القول أنه لا جدوى من تخصيص نجاح هذه الظاهرة عند البربر فقط إن لم يثبت فشله عند جنس معين. وكما حاول المستشرقون أن يسبغوا الولاية بسبغة مسيحية، وربطوا كذلك تقديس الأولياء ومكانتهم العلمية عند المغاربة بحنينهم لإرثهم الوثني، وهكذا حاول المستشرقين إرجاع أصول هذه الظاهرة وحتى تطورها وأسباب انتشارها في المغرب إلى كل الديانات والمعتقدات غير الإسلام، وهذه الأفكار ما نستطيع أن نقول فيها إلاّ أنها أفكار خبيثة تنطوي على غيض كبير تجاه إقبال البربر على الدين الإسلامي ورفضهم للمسيحية التي حاول المستدمرون السابقون من رومان ووندال وغيرهم فرضها على أهل المغرب إلا أنهم رفضوا ذلك.

وبالرغم من هذا الحقد الدفين لدى المستشرقين على الإسلام وما تعلق به، لم يستطيعوا أن يحدّوا من انتشار الظاهرة في بلاد المغرب الإسلامي، وفي هذا الشأن

---

1 – لمزيد من التفصيل حول علاقة التصوف والولاية بالديانة اليهودية ينظر: الفصل الثاني الذي عنونه محمد الكحلاوي بـ " **التصوف الإسلامي والفكر اليهودي (نظرية الكلمة، القبالة)** ". محمد الكحلاوي: **مقاربات وبحوث**، ص 56–72.

2 – أدولف فور: **التصوف والمدرسة الزهدية**، ص 51.

3 – عبد السلام الغرميني: **المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس الهجري**، ط 1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1420هـ/2000م، ص 251.

تحدث ليفي بروفنسال (Lévi–Provençal) عنها رغم اقتصاره على جزء من مجال دراساتنا وهو المغرب الأقصى، فقال: « ولا يخفى على أحد أنه ليس في أي بلد إسلامي آخر ما يعدل المغرب الأقصى في عدد الأولياء والصلحاء والشرفاء، والمتشرفين، المحاطين بالتبجيل والاحترام في الأوساط الحضرية والقروية»[1]، وهذا النص نستطيع إسقاطه على المغرب الإسلامي كاملا، مستشهدين بما قاله صاحب كتاب مفاخر البربر: « وأما الأولياء، والصلحاء، والعباد، والأتقياء، والزهاد النساك الأصفياء، فقد كان في البربر منهم ما يوفي على عدد الحصى والإحصاء»[2]، وبهذا لم يستطع المستشرقون تجاوز حجم اكتساح الظاهرة الولائية للمجال المغاربي وانتشارها في الحواضر والبادية.

ولم يكتف المستشرقون بالاستنقاص من أولياء المغرب والمغاربة فقط، بل حتى تاريخ نشوء الظاهرة الولائية أخروها إلى القرن 6هـ/12م، فهذا أحد روادهم وهو ألفرد بل (Alfred Bel) الذي اعتبر الفضل في نشأة التصوف إلى مؤلفات الغزالي التي تسربت إلى بلاد المغرب، وبفضلها عرف التصوف كيف يثبت جذوره في عهد الدولة المرابطية، والأولياء لم تكن لهم أي سلطة إلا على عهد الموحدين[3]، وكما أرخ روبير برنشفيك (Robert Brunshving) لابتداء الظاهرة الولائية بنشاط أبي مدين شعيب

---

1 – ليفي بروفنسال: **مؤرخو الشرفاء**، تعريب: عبد القادر خلادي، ط 1، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1397هـ/1977م، ص 54.

2 – أبو علي صالح بن عبد الحليم الإيلاني: **مفاخر البربر**، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، ط 2، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2008م، ص 188.

3 - BEL Alfred: **le soufisme en Occident musulman au XII éme et au XIII éme de J.C**, Annales de l'institut d'études orientales, T:1, Faculté des lettre université d'Alger, libraire la rose, paris, 1934- 1935; pp 145-161.

وقد ترجم المقال: محمد العدلوني الإدريسي: **التصوف في الغرب الإسلامي خلال القرنين الثاني والثالث عشر ميلاديين**، ضمن كتاب: **نظرات في التصوف المغربي**، ص 55–74.

(ت 594/1198م)[1]، وكذلك إدوارد دونوفو (Edward de Neveu) الذي أرجع بدايات الظاهرة بالمغرب الأوسط إلى القرن 5هـ/12م[2].

وهذه النتائج والاستنتاجات التي وصل إليها المستشرقون لم تأت من عدم، إنما اعتمدوا على نصوص مغاربية وحتى كتب المناقب نفسها، فمثلاً نجد الغبريني (ت 704هـ/1306م) صاحب كتاب الدراية الذي أرخ لأولياء بجاية، استهل كتابه بتعريف أولياء القرن 6هـ/12م كأبي مدين شعيب (ت 594هـ/1197م)، وأبو علي حسن بن علي المسيلي (ت 581هـ/1185م) وغيرهم[3]، إلا أننا نجد أن كتب المناقب والتراجم مليئة بتراجم أولياء كانوا قبل القرن 6هـ/12م، غير أن المستشرقين إلتقطوا ما يخدم أهدافهم وتركوا غيره، وهذا ما يؤكد أنهم مارسوا الطابع الانتقائي في توظيف النصوص، للتدليل على استنتاجهم وخلاصاتهم التي كان غرضها واضح وهو خدمة سياساتهم الاستدمارية، وربط كل شيء بالغرب المسيحي والاستنقاص من إسلام البربر بل حتى من العقل البربري والجنس البربري نفسه.

وبانتقادنا لانتقاء المستشرقين للنصوص التي بنو عليها دراساتهم ونتائجها، ارتأينا نحن أن نتبع نشأة الولاية وتطورها والعوامل المسهمة في انتشارها في كتب المناقب والتراجم دون إقصاء، كما أردنا أن نبني دراستنا ونتائجنا على أسس متينة ومقيدة ومكتوبة على الورق لا على فرضيات وتخمينات واحتمالات كما فعل البعض.

---

1 – روبار برنشفيك: **تاريخ إفريقية في العصر الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م**، نقله إلى العربية: حمَّادي الساحلي، ج 2، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ص332.

2 – إدوارد دونوقو: **الإخوان (دراسة أنثربولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر)**، ترجمة وتحقيق: كمال فيلالي، ط 1، دار الهدى، عين مليلة، 2003م، ص29.

3 – الغبريني: **الدراية**، ص 54 وما بعدها.

2. الولاية والولي في كتب المناقب والتراجم:

من الصعب أن نحدد تاريخا معيناً لنشأة ظاهرة الولاية في المغرب الإسلامي لذا سنلجأ إلى إتباع نشأتها وتطورها مع تركيزنا على مجال إفريقية على حساب باقي مجالات الغرب، وهذا لأن إفريقية كانت سباقة في احتضانها للزهد وحتى فيما بعد كانت رائدة وسباقة كذلك إلى التصوف بالمغرب الإسلامي.

كما أنه انطلاقا من قراءتنا للمادة الخبرية التي بين أيدينا حول الظاهرة من كتب مناقب وتراجم، لاحظنا أن المؤلفين تأثروا ببيئتهم الثقافية، حيث نجد عندهم مصطلحات مثل: " الولي" و" القطب" و" البدل" و" الكشف"[1] و" الكرامة"، ورغم أنها مفاهيم متأخرة ذات صلة بالمعجم الصوفي إلا أنهم استعملوها في ترجمتهم لأولياء عاشوا في القرن الثاني للهجرة/ الثامن ميلادي[2]، ورغم هذا وجب علينا اعتماد هذه المادة الخبرية مع مقارنتها ببعضها البعض أو بغيرها.

إن أول[3] من تسمى برتبة من مراتب الأولياء في المغرب الإسلامي كافة، هو أبو يزيد رباح بن يزيد بن رباح اللّخمي (ت 172هـ/783م)، حيث تسمى برتبة الأبدال حين قال فيه الدباغ: « كان من الأبدال، صالحاً فاضلاً زاهداً مستجاباً مشهوراً بذلك، وبه كان يضرب المثل في زهده وعبادته، غزير الدمعة، كثير الإشفاق والخشية،

---

1 – **الكشف:** هو رفع الحجاب عن القلب كيفما اتفق فقد يحصل بالتصفية عن الأغيار ورقة القلب بالجوع والسهر من غير شرط الاستقامة. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون: **شفاء السائل وتهذيب المسائل**، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، ط 1، دار الفكر، دمشق، 1417هـ/1996م، ص 74.

2 – هذا ما سنجده لاحقا خاصة في كتاب رياض النفوس لأبي بكر المالكي (ت 481هـ/1091م) وترتيب المدارك للقاضي عياض (ت 544هـ/ 1149م) ومعالم الإيمان للدباغ (ت 699هـ/1300م). كما أننا أيضا من خلال مقارنتنا للمادة الخبرية لمصادر متقدمة مثل: طبقات علماء افريقية لأبي العرب بن تميم القيرواني (ت 333هـ/944م). وطبقات الحشني (ت 361هـ/971م). لاحظنا أن هذه المصادر غلب عليها في الترجمة للأولياء مفاهيم ذات صلة بالمعجم تعبدي زهدي، كما لاحظنا أن كل هذه المصادر تزيد فيها المادة الخبرية وتتسع كلما تقدم الزمن.

3 – أخذنا وفاة الولي كمقياس كرونولوجي.

وله كرامات مشهورة»[1]، وهنا في آخر هذا القول نسب إليه الدباغ الكرامات، وبهذا يعد رباح بن يزيد كذلك أول ولي تنسب له الكرامات، وكما سبق وأن ذكرنا أن الكرامة أهم علامات الولي، وذكرنا أن المعجزات للأنبياء والكرامات للأولياء.

وأكَّد الدباغ في آخر ترجمته لرباح على ولايته، فروى أن أحد أهل المغرب حدثه « أن بأقصى المغرب شجراً إذا فتح نورها يوجد فيها مكتوب بقلم القدرة لا إله إلا الله رباح بن يزيد ولي الله»[2]. وكان من طبقة أبي يزيد رباح بن يزيد الصالح البهلول بن راشد الذي توفي بعد عشر سنوات من رباح أي عام 182هـ/799م[3]، « وهو وتد من أوتاد المغرب»[4]، وهكذا يعد البهلول استمراراً لنموذج رباح بن يزيد، وفي هذا قال سحنون بن سعيد: « كان البهلول بن راشد ورباح بن يزيد فكان الذكر لرباح فلما مات عاد الذكر للبهلول»[5] وإننا هنا نوافق الباحث هشام جعيط فيما ذهب إليه حول هذين الرمزيين حين اعتبرهما من أولياء الله حين قال فيهما: « ليسا فقيهين ولا محدثين، وإنما من رجال الله .... متعطشان للمطلق»[6].

وقد ازدهرت ونشطت حركة الزهد في إفريقية والمغرب الإسلامي عامة، وهذا النشاط انعكس على مجالس الذكر والسماع التي يتلى أثنائها القرآن والأحاديث وأشعار

1 – الدباغ: **معالم الإيمان**، مج 1، ص 216.

2 – نفسه، ص 223.

3 – محمد بركات البيلي: **الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري**، ط 1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1993م، ص 92.

4 – المالكي: **رياض النفوس**، ج 1، رقم: 86، ص 201.

5 – أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم: **كتاب طبقات علماء إفريقية**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ت، ص 52.

6 – هشام جعيط: **تأسيس الغرب الإسلامي – القرن الأول والثاني الهجري/السابع والثامن ميلادي–**، ط 2، دار الطليعة، بيروت، 2008م، ص 168.

الرقائق، وأهم الأماكن التي كانت تعقد بها هذه المجالس: مسجد السبت (الدمنة)[1] ومسجد الخميس[2] وهما من ضمن أهم مساجد القيروان السبعة الفاضلة[3].

وكان الأولياء من رواد هذه المساجد وعبادها وفي هذا الصدد يخبرنا المالكي وبصريح العبارة على لسان أحدهم مخاطبا شخصا آخر قائلا: « إن أردت أن ترى أولياء الله فاخرج إلى مسجد الدمنة»[4]، هذا عن مسجد الدمنة وكذلك الشأن لباقي المساجد السبعة. أما أهم الأولياء فكان منهم أبو عثمان الجزري الذي قال فيه المالكي أيضا وبصريح العبارة كذلك « كان من أولياء الله تعالى المنقطعين المتبتلين إليه في العبادة»[5]، ومن الأبدال الولي أبو هارون الأندلسي[6]، أما عن من بلغ أعلى المراتب وهي القطبية خلال القرن 3هـ/9م، فجاء في إشارة عند الدباغ حول الولي أبو سليمان ربيع بن عبد الله القيرواني الصوفي (ت 229هـ/911م) الذي لقب بـ « سيد الوقت»[7]، وكما سبق وأن أشرنا في مراتب الأولياء وطبقاتهم، أن هذا اللقب مما يوصف به القطب (الغوث)، وهكذا يمكن أن نعد الولي أبو سليمان بن عبد الله القيرواني أنه من أقطاب القرن 3هـ/9م.

---

1 – **مسجد السبت:** يعرف بمسجد الدِّمْنَةَ وهو بمدينة القيروان منسوب لأبي محمد صالح الدمني الضرير (ت 249هـ/863م)، يتجمع فيه خيرة الصلحاء والقراء والحفاظ من أول نهار السبت إلى الزوال. ينظر: الدباغ: **معالم الإيمان**، ج 1، ص 62.

2 – **مسجد الخميس:** بناه أبو إسحاق إبراهيم بن المضاء الزاهد (ت 305هـ/917م) بالدمنة، يجتمع به الصلحاء والقراء و أهل الخير كل يوم خميس من العصر إلى الليل يقرؤون القرآن والرقائق كمسجد السبت. ينظر: الدباغ: **معالم الإيمان** ج 1، ص 63.

3 – **مساجد القيروان السبعة القديمة الفاضلة:** وهي مسجد الأنصار، مسجد الزيتونة، مسجد أبي مسرة، مسجد الحُبُلَيّ، مسجد حَنَش، مسجد علي بن رباح اللخمي، مسجد السبت، مسجد الخميس، وهي في الواقع تسعة مساجد إلا أنه نظرا لقداسة رقم سبعة عند الصوفية فاعتقد الناس أنها سبعة مساجد. ينظر: الدباغ: **معالم الإيمان**، ج1، ص 58–63.

4 – المالكي: **رياض النفوس**، ج 2، ص 06

5 – نفسه، ج 1، ص 232.

6– نفسه، ج 2، ص 128–129.

7 – الدباغ، **معالم الإيمان**، ج 2، ص 162.

وفي القرن الرابع هجري/ العاشر ميلادي، يحتدم الصراع المذهبي بالمغرب الإسلامي بين المذهب الشيعي والمالكي، ونجد هنا الولي يقف موقف المعارض للمذهب الشيعي الذي مثلته الدولة الفاطمية مدافعا عن مذهب مالك، وهنا يتجل بوضوح نشاط الولي السياسي المعارض[1]، بل تحول بعض الأولياء من ذلك المسالم العابد الناسك إلى المحارب المقاتل نصرة للمذهب السني المالكي، وكان ذلك خلال ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد المعروف بصاحب الحمار[2]، والتي استمرت من عام 331هـ/ 942 إلى 336هـ/947.

وأشهر من شارك في ثورة صاحب الحمار واستشهد بها ربيع القطان (ت 334هـ/944م)، « كان يذكر أنه يجتمع مع الخضر في غرفته»[3]، كما أورد لنا المالكي خبر رؤيته الله مناما فقال: « رأيت في المنام كأني أمشي في الهواء كالمشي على الأرض وإذا بقباب وفازات مضروبة وحشم وجمع كثير مثل اجتماع العساكر، فوقع في قلبي أن الله –عز وجل– في ذلك المكان فبينما أنا أتأمل من ذلك الجمع أتهيبه جاءني آت فقال لي: أنك تدعى للدخول، فمضى بي حتى وقف عند الحجب، فأحضرت ذهني وقطعتُ نفسي وعدّلت أموري وعلمت أني أدخل على ملك عظيم، ثم رفع الحجاب وقال لي: قد أذن لك أن تدخل، فدخلتُ فرأيت الله عز وجلّ جالساً على

---

1 – وقد أطلق الباحث التونسي لطفي عيسى على هذا النشاط خلال فترة الدولة الأغلبية والفاطمية بالدور أو الخط "النضالي". ينظر: لطفي عيسى: **مغرب المتصوفة (الانعكاسات السياسية والحراك الاجتماعي من القرن 10م إلى القرن 17م)**، ط 1، مركز النشر الجامعي و كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2005م.

2 – حول ثورة صاحب الحمار ينظر: الداعي المطلق إدريس بن عماد الدين القرشي: **كتاب عيون الأخبار – السبع الخامس وقسم من السبع السادس–تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب**، تحقيق: محمد اليعلاوي، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006م. غانية البشير: **ثورة أبي مخلد بن كيداد ضد الفاطميين ونتائجها على المغرب**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية بوزريعة، قسم التاريخ والجغرافية، الجزائر، السنة الجامعية: 2006/2007م.

3 – المالكي: **رياض النفوس**، ج 2، ص 332.

سرير كهيئة جلوس الملك»[1]، ولم يكتف ربيع برؤية الله بل دخل في حوار مع الله[2]، وبهذا اكتملت الحضرة الإلهية، وأمام هذا النص وبغض النظر عن صحته من عدمه، يمكننا اعتبار ربيع القطان من أولياء القرن 4هـ/10م.

أما عن أهم أولياء هذا القرن فنللي سلامه العامري اعتبرت أن أبا إسحاق الجبنياني (ت 369هـ/979م) يمثل النموذج الولائي الأكثر رواجاً وانتشارا خلال هذا القرن لاسيما من حيث الثقافة والزّهد والتورع والبكاء والصيام والبنية الخوارقية[3]، فقد كان شغوفا بالمطالعة، و« ما ترك حظه من دراسة العلم بالليل إلا عندما ضعف قبل موته سنين يسيرة»[4]، وكان علمه غزيرا في علوم القرآن والحديث والنحو[5]، كما أنه عالما بتفسير الرؤيا[6].

وكان أيضا من أهم النماذج الولائية في القرن 4هـ/10م، أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله البكري الصقلي (ت بين 375-380هـ/985م-990م) الذي لقبه الدباغ بـ « إمام الحقيقة وشيخ أهل الطريقة»[7]، وكان هذا الأخير يدعي رؤية رؤية الله يقظة لا مناما، وهكذا مثل عبد الرحمن البكري نموذجا للمعرفة الصوفية التي

---

1 – المالكي: **رياض النفوس**، ج 2، ص 333.

2 – نفسه.

3 – نللي سلامة العامري: **التصوف بإفريقية**، ص 63.

4 – أبو الطاهر محمد الفارسي: **مناقب محرز بن خلف**، ترجمة وتحقيق: الهادي روجي إدريس، ط 1، منشورات جامعة الآداب واللغات، الجزائر، 1956م، ص 11.

5 – نفسه، ص 10.

6 – نفسه، ص 17.

7 – الدباغ: **معالم الإيمان**، ج 3، ص148.

تقوم على المكاشفة والتذوق وتجاوز دائرة العلم التي يقول بها الفقهاء والمتكلمون وهذا على ما أثار حفيظتهم عليه فتوالت ردودهم[1].

أما الولي محرز بن خلف (ت 413هـ/1022م) فهو مخضرم عاش خلال القرنين 4هـ/10م وأدرك القرن 5هـ/11م، كان عالماً وشغوفاً بالعلم والمطالعة « فلا ينام إلا في موضعه الذي يطالع فيه العلم أو في مصلاه»[2] وقد تكرر ذكر لقاءه بالخضر في مناقبه كثيراً[3]، وكأن صاحب مناقبه يريد أن يغوص في تجربة محرز الولائية ذات الطابع الذوقي الكشفي. كما كان شأنه كشأن الجنياني عالماً بتعبير الرؤيا[4]، وقد أتى الاعتراف بولاية الولي محرز بن خلف من طرف المعز بن باديس الصنهاجي (حكم بين 406-453هـ/1015-1061م) في رسالة موجهة للولي جاء فيها « فأنتم [محرز بن خلف] أفضل أوليائه، ومعدن أصفيائه وأتقيائه، لأن الله تعالى، جعل من عرف وتبصر وفتح على باطنه وقلبه بخصوصيتكم قد أفلح وأنجح، فالله يمن على من يشاء من عباده، ويختص من يشاء بخصوصيته، وقد جعلكم من أهل خاصته بالعلم والعبادة والورع والزهادة ولحقكم بجميل ملاحقته .... ثم نقلت إلى الحضرة السعيدة»[5].

وهكذا من خلال بعض النماذج الولائية التي أبرزناها للمئة الثالثة والرابعة وحتى الخامسة للهجرة كانت ذات علم وعمل، وهذا ما ذهبت إليه كذلك الباحثة نللي سلامة

---

1 – الدباغ: **معالم الإيمان**، ج 3، ص 149. أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج 3، د ط، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د ت، ص 131. الهادي روجي إدريس: **الدولة الصنهاجية**، ج 2، ص 337.

2 – أبو الطاهر محمد بن الحسين الفارسي: **مناقب الشيخ محرز بن خلف**، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، ط 1، د ن، تونس، د ت، ص 09.

3 – نفسه، ص ص 13-14؛ 53.

4 – نفسه، ص 52-55.

5 – نفسه، ص 67-68.

العامري حين اعتبرتهم نماذج للولي العالم « الذي يجمع بين العلم والعمل والذي يتمتع بثقافة فقهية وحديثية وقرآنية ذات مستوى مقبول بل جيد في كثير من الأحيان كان منتشرا في تلك الآونة»[1].

وفي الأخير ربما يؤاخذنا البعض عن اقتصارنا على بعض الشخصيات دون أخرى رغم الفترة الزمنية الطويلة نوعا ما، هذا لأننا ركزنا على أهم الشخصيات التي قد تختزل كل رموز الظاهرة وأعلامها عبر فترتنا. كما قد يؤاخذنا البعض الآخر عن اعتبار بعض الشخصيات نماذج ولائية رغم أن التصوف لا زال في إرهاصاته الأولى يغلب عليه الطابع الزهدي خاصة في القرن 2 و3هـ/8 و9م، بل حتى المصادر الأولى لم تصفهم بأي من المصطلحات التي تحسب على المعجم الصوفي، بل المصادر المتأخرة هي من اعتبرتهم أولياء وصنفتهم ضمن مراتب الولاية، غير أننا سلمنا بما ذهب إليه الباحث المتخصص في الولاية الدكتور محمد سعيد، حين قال: « إن الولي لم يكن فقط نتاج العصر الذي عاش فيه، ولكن نتاج كل العصور التي تتلوه، ولو بعد مدة طويلة، حيث يمنح التقادم الولي شرعية قد لا يحصل عليها بين معاصريه»[2]. وهكذا يمكن أن نعتبر أن الولي نتاج الذاكرة الجماعية أي أن الولي ربما يعيش وهو ليس بولي ليصبح ولياً بفضل المجتمع الذي يجعله ضمن المقدس ويصبح قبره مزاراً، وهذا لا يزال حاصلاً إلى يومنا هذا.

كما أنه مما لا شك فيه أن البعض سيؤاخذنا كذلك على تركيزنا في النشأة على إفريقية دون المغرب الأوسط والأقصى، رغم أن مجال دراستنا المغرب الإسلامي إلا أنه مما لا شك فيه أنه لا يختلف إثنان من الباحثين في التصوف والولاية على سبق

1 – نللي سلامه: **التصوف بإفريقية**، ص 62.

2 – محمد سعيد: **ظاهرة الأولياء**، ص 89.

التجربة الولائية بإفريقية في المغربين الأوسط والأقصى، ولهذا ركزنا على إفريقية دون غيرها.

وما تجدر إليه الملاحظة في الأخير، أنه رغم محاولات المستشرقين ومن سار على خطاهم حول تأخر الظاهرة الولائية بالمغرب الإسلامي على نظيرتها بالمشرق، إلا أن ما خلصنا إليه أن الظاهرة الولائية بالمغرب لم تتأخر كثيراً عن المشرق، إنما كانت امتدادًا وتطورًا لنظيرتها بالمشرق، وهذا ما يفند أيضا إدعاءات المستشرقين حول الأصول غير الإسلامية للولاية وخاصة المسيحية التي حاولوا أن يرجعوا الظاهرة إليها.

الفصـــــل الثالث

أفكار وتركيبة الأولياء

I- التأثير المشرقي والأندلسي(من النشأة إلى التجلي)

1. التأثير المشرقي
2. التأثير الأندلسي

II- الأولياء في المغرب الإسلامي

1. أصول الأولياء الإثنية

ت- البربر (الأمازيغ)

ث- العرب

ج- السود

2. الطبقات (الفئات) الاجتماعية للأولياء

أ- الطبقة العليا

ب- الطبقة الوسطى

ت- الطبقة الدنيا

III- جوانب من الحياة اليومية للأولياء

1. مهن الأولياء
2. طعام الأولياء
3. لباس الأولياء
4. مساكن الأولياء
5. حياتهم الأسرية
6. وفاتهم وقبورهم

I- التأثير المشرقي والأندلسي (من النشأة إلى التجلي):

1. التأثير المشرقي:

ظل المشرق الإسلامي يهيمن على الحياة الدينية للمغرب الإسلامي طيلة قرون عديدة، واعتبرت جلّ الأفكار الدينية والمذهبية وحتى الفكرية نتاج البيئة الفكرية الدينية المشرقية، ومن هذه الأفكار الصوفية عامة والولاية خاصة.

وقد لعب الحج دورا كبيراً في انتقال الظاهرة الولائية من المشرق إلى المغرب، وكذلك الرحلة لطلب العلم ولغرض التجارة والسياحة[1]، ومن أوائل الصلحاء الذين كانت لهم رحلة مشرقية، أبو عبد الله محمد بن أحمد السوسي الذي أصله من السوس الأقصى انتقل إلى إفريقية، وكان من أصحابه الوتد بهلول بن راشد، ثم خرج متابعاً رحلته إلى المشرق، فتوفي بطور سيناء عام 292هـ/912م[2].

وأمام نشاط حركة الرجال نحو المشرق، بدأ الأولياء المغاربة يأخذون عن نظرائهم بالمشرق خلال سياحتهم المشرقية، فهذا الولي أبو عبد الله محمد بن سعدون بن علي بن بلال القيرواني (ت 485هـ/1092م)، « لقي بمكة أبا بكر المطوعي فحمل عنه تواليفه في التصوف وغيرها»[3]، كذلك أبو جبل يعلَى الفاسي (ت 503هـ/1109م) لقي بمصر أبو الفضل عبد الله بن حسن الجوهري (ت 480هـ/1087م)[4]، وأما البدل أبو موسى عيسى بن سليمان الرفروفي التادلي فكانت سياحته إلى المشرق، أخذ خلالها عن الفقيه الشافعي أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي

---

1 – بوداود عبيد: **ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق 13-15م)**، د ط، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2003م، ص 40.

2 – المالكي: **رياض النفوس**، ج 1، رقم: 82، ص 196-197. عز بن علي بن أحمد بن عبد الله ابن الملقن: **طبقات الأولياء**، تحقيق: نور الدين شريبة، ط 1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973، ص 402-403.

3 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 01، ص 83.

4 – نفسه، رقم: 10، ص 101.

(ت 507هـ/1113م) وعن الفقيه المالكي أبي بكر الطرطوشي وغيرهما[1]، وكذلك الشأن لدى أبو محمد عبد الجليل بن ويحْلَانْ، لقد « رحل إلى المشرق فلقي به شيخا من الصوفية، فأخذ عن هذا الشأن شيخا عن شيخ بالسند المتصل إلى أبي ذر الغفاري صاحب النبي ﷺ»[2].

أما أبو محمد صالح بن محمد بن عبد الله بن حرزهم من أهل فاس، كانت له رحلة للمشرق، وحج وانقطع مدة بالشام، وبها لقي أبا حامد الغزالي، ثم عاد إلى فاس بأسانيد صوفية منها سند الغزالي وسند السهروردي[3].

وهكذا كان الأولياء دائما هدفهم أخذ العلم والعمل والسلوك على يد المشايخ وأولياء المشرق وإن تعددت أغراضهم في رحلاتهم نحو الشرق كالحج والتجارة وغيرها إلا أن فيهم من كان هدفه البحث عن الأقطاب فهذا الولي القطب أبو الحسن الشاذلي (ت 656هـ/1258م) الذي رحل إلى المشرق بهدف البحث عن القطب إلى أن أشار عليه أبو الفتح الواسطي الذي جلس إليه، بأن يعود إلى بلده وأن القطب الذي هو ضالته موجود ببلده[4]، والأولياء في رحلاتهم كما كانوا يأخذون العلم وغيره، كذلك كانوا يلبسون الخرقة، وأشهر من لبس الخرقة من الأولياء في المشرق الولي أبا مدين شعيب (ت 594هـ/1197م) حيث « تعرف في عرفة بالشيخ سيدي عبد القادر الكيلاني فقرأ

---

1 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 12 ص 108-109.

2 – نفسه، رقم: 34 ، ص 146.

3 – نفسه، رقم: 8، ص 94. ابن عيشون: **الروض العطر الأنفاس**، ص56. محمد المغراوي: **التواصل الصوفي بين المغرب والمشرق إلى حدود السابع الهجري/ 13م**، مجلة دعوة الحق، ضمن عدد التصوف المغربي تاريخ وفكر وتجليات، العدد: 395، السنة الثانية والخمسون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية ربيع الثاني 1431هـ/ أبريل 2010م، ص 81.

4 – محمد بن أبي القاسم الحمري ابن الصبّاغ: **درّة الأسرار مناقب سيدي أبي الحسن الشاذلي**، ط 1، المطبعة التونسية الرسمية، تونس، 1304هـ/1886م، ص 23.

عليه في الحرم الشريف كثيراً من الحديث، وألبسه خرقة الصوفية، وأودعه كثيراً من أسراره»[1].

من خلال ما سبق من أخذ أولياء المغرب عن نظرائهم بالمشرق، لاحظنا أن هذه اللقاءات كانت فرصة لتلاقح الأفكار بينهم ولقراءة بعضهم عن بعض طيلة فترة إقامتهم، وما يرافق ذلك من طقوس لبس وإلباس الخرقة بإسنادها، وهذا ما جسد وحدة المجال الإسلامي على الصعيد الولائي. ومن هنا يمكننا القول أن محاولة دراسة التجربة الولائية المغاربية بمعزل عن المجال الإسلامي بشقيه المشرقي والمغاربي، يكون غير ذي جدوة ولا يستطاع من خلاله الإحاطة الحقيقية بهذه التجربة وهذا ما تعكسه سلسلات السند الصوفي[2] كسند الخرقة مثلا حيث نجد دائما المتصوفة حرصين على التشبث بالسند أولا، ثم إرجاعه إلى الأصول الأولى بدءً بالرسول ﷺ ، والصحابة رضي الله عنهم وخاصة الإمام علي ابن أبي طالب ﷺ. وهكذا كان الأخذ عن المشارقة والسند الصوفي يمثل انصهار واندماج الظاهرة الولائية المغاربية مع المشرقية في المجال الإسلامي الموحد.

وقد كانت حركة الرجال والأولياء كذلك نحو الاتجاه المعاكس أي من المشرق نحو المغرب، فقد استقطب المغرب منذ فترة مبكرة زهادا من المشرق مثل ذي النون المصري (ت 245هـ/859م)، ومولاي بوسلهام الذي رغم قلة المعلومات حوله إلا أنه من خلال اسمه الحقيقي وهو أبو سلهامة المصري نستطيع أن نقول أنه من بلاد كنانة[3]. كما أضاف لنا الغبريني اثنين من أرباب التصوف أصيلي الموصل كانا ببجاية أول القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي، أولهم « الشيخ الفقيه الصالح العابد

1 – المقري: **نفح الطيب**، ج 7، ص 138. التنبكتي: **نيل الابتهاج**، ص 195.

2 – ينظر: الملحق الأول والثاني والثالث والرابع.

3 – الكتاني: **سلوة الأنفاس**، ج 1، ص 06. محمد المغراوي: **التواصل الصوفي**، ص 77.

الزاهد المكاشف أبو زكرياء المرجاني الموصلي، أحد الأتقياء الأبرار، ممن اختصه الله بخالصة ذكر الدار»[1]، وهذه الديباجة للغبريني دليل على علو مكانة هذا الموصلي، أما الثاني فهو تقي الدين الموصلي الذي وصل إلى بجاية في مدة الولي أبي الحسن الحرالي (ت 637 أو 638هـ/1239 أو 1240م) حتى أن أبا حسن قال في تقي الدين: « أنه من أساطين الحكمة وأنه كقس ابن ساعدة زيد بن عمرو بن نفيل هداه الله إلى الحق بموجدة نفسه من غير اكتساب، وتوصل إلى ما توصل إليه أهل البراهين من خالص الصواب»[2]، ومن خلال هذا النص الأخير نلاحظ أن تقي الدين كان أميا.

كما تحدث ابن الزيات عن « طائفة من متصوفة المشرق وصلوا إلى بلد أزمور لزيارة أبي عبد الله بن أمغار وأبي شعيب وأبي عيسى فوجدوهم قد ماتوا. فزاروا قبورهم، فقيل لهم: ما الذي أوصلكم فقالوا، وصلنا من بلاد اليمن....»[3]، كما ذكر صاحب كتاب المقصد الشريف خبر وصول ثلاثة فقراء إلى بادس قبل عام 640هـ/1242م[4]. وكان الهدف من رحلات المشارقة هذه نحو المغرب الإسلامي زيارة أولياءه والتبرك بهم أحياء أو أموات.

وأمام حركة الرجال والأولياء في الاتجاهين نحو المشرق والمغرب، دخلت المغرب العديد من مصنفات ومؤلفات المتصوفة المشارقة عن طريق هاته الرحلات، نقلها العلماء والمتصوفة إلى المغرب بواسطة الإجازات والمجالس العلمية التي أخذوها عن مؤلفيها مباشرة أو عن طريق تلاميذهم والشارحين لها. وقد احتفظت لنا المصادر بعناوين مصنفات التصوف التي كانت متداولة بالمغرب الإسلامي خلال فترة دراستنا،

1 – الغبريني: **الدراية**، ص 165.

2 – نفسه، ص 166.

3 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 61، ص 185.

4 – البادسي: **المقصد الشريف**، ص 73.

وقد حاولنا من خلال المصادر التي عاصرت الفترة أن نصنفها إلى صنفين حسب ترددها: الأولى تردد ذكرها كثيراً أما الثانية فهي قليلة التردد.

أما عن من كثر تردده من المصنفات المشرقية بالمغرب الإسلامي، فيتصدرها كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي[1] (ت 505هـ/1111م)، ثم كتاب الرعايه للمحاسبي[2] (ت 243هـ/857م)، والرسالة لصاحبها أبو القاسم القشيري[3] (ت 456هـ/1072م). أما عن الكتب التي قل ذكرها وترددها في مصادر فترتنا نذكر منها: قوت القلوب لأبي طالب المكي[4] (ت 386هـ/996م)، وطبقات الصوفية لصاحبها أبي عبد الرحمان السلمي[5] (ت 412هـ/1042م)، وأيضا كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني[6] (ت 430هـ/1083م)، وكتاب حب الله تعالى ومراتب أهله وكتاب الزهد لصاحبهما للمحاسبي[7]، وكتاب مناهج العابدين لأبي حامد الغزالي[8]، وكتاب

1 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 39، ص 117، رقم: 76، ص 172، رقم: 95، ص 197. ابن الزيات: **التشوف**، ص 36، رقم: 9، ص 96، 100، رقم: 33، ص 145، رقم: 51، ص 169، رقم: 56، ص 179، رقم: 77، ص 214، رقم: 118، ص 270.

2 – القاضي عياض: **الغنية**، رقم: 28، ص 92. ابن خير: **الفهرسة**، ص 272. التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 01 ، ص 16، رقم: 36، ص 105، ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 06، ص 93، رقم: 162، ص 322.

3 – ابن خير: **الفهرسة**، ص 296. التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 03، ص 42، رقم: 07، ص 55، رقم: 09، ص 60.

4 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 180، ص 354.

5 – ابن خير: **الفهرسة**، ص 295.

6 – ابن الزيات: **التشوف**، ص ص 55؛ 57.

7 – ابن خير: **الفهرسة**، ص 271–272.

8 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 162، ص 324.

الرقائق لعبد الله بن مبارك[1] (ت 181هـ/797م) ، وكذلك كتب أبو بكر المطوعي[2].

وهكذا صنفنا هذه المؤلفات المشرقية في التصوف حسب تردد ذكرها في المصادر لا حسب أهميتها ومكانتها عند المغاربة، لأن قلة ذكرها لا يعني بالضرورة قلة شأن ومكانة مؤلفيها، فنذكر على سبيل المثال كتاب قوت القلوب لم يشر إليه سوى ابن الزيات وكان ذلك مرة واحدة فقط، رغم أن هذا الكتاب كانت له مكانة علية في قلوب المغاربة حتى جعلوه ندا لكتاب الإحياء، وفي هذا الشأن نقل لنا صاحب كتاب المعزى قول الشيخ أبي الحسن الشاذلي (ت 656هـ/1258م) الذي قال: « عليكم بالقوت فإنه قوت وكان يقول: من أراد العلم فعليه بالإحياء ومن أراد النور فعليه بالقوت»[3]. وبعد هذا القول لا يمكننا إلا أن نقول أنه رغم قلة ذكر بعض المؤلفات الصوفية في مصادرنا، إلا أن هذا لا ينقص من قيمتها المميزة عند أولياء ومريدي المغرب الإسلامي.

وهكذا بانتقال الرجال والأولياء بين المشرق والمغرب، وأخذهم العلم والطريق عن نظراءهم، انتقلت الأفكار والكتب وهذا ما جسد وحدة الظاهرة الولائية بين المغرب والمشرق، فكان منبعها من المشرق، إلا أنها بعد أن تجلت هذه الظاهرة بالمغرب الإسلامي، استطاعت أن تكون لنفسها تجربة ولائية بأتم معنى الكلمة، فكما احتكت واستفادت من مشرقها استفادت كذلك من التجربة الولائية بالأندلس، وتبادلت معها الرجال، وتلاحقت معها الأفكار، وانتقلت المعارف بينهم.

---

1 – ابن خير: **الفهرسة**، ص 268. ابن الزيات: **التشوف**، ص ص 65؛ 69–70.

2 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 01، ص 83، وعن كتب أبي بكر الغازي المطوعي ذكر ابن خير في فهرست ست كتب وهم: كتاب من صبر ضفر، وكتاب المقامات، وكتاب أخبار الشبلي، وكتاب الشيب والشيب، وكتابان فيهما كل من وقف بالناس بعرفات من سنة تسع من الهجرة إلى سنة 435هـ/1043م، ينظر: ابن خير: **فهرسة ابن خير**، ص 294–295.

3 – الصومعي: **المعزى**، ص 336.

2. التأثير الأندلسي:

منذ فتح الأندلس سنة 92هـ/710م، صارت هذه البلاد جزءا من الغرب الإسلامي، وقد كانت دائما مرتبطة بالمغرب الإسلامي بالرغم من انفصالها السياسي عنه في الكثير من الفترات، وحتى في فترات الصراع والتشنج السياسي مثل الصراع الفاطمي الأموي، إلا أن الأندلس والمغرب بقيت تجمعهما علاقة التأثر والتأثير.

وقد ارتبط أولياء المغرب بالأندلس، فنجد منهم من أصوله أندلسية أو أنه أندلسي، ويأتي على رأس أولئك الأولياء، القطب الغوث أبو مدين شعيب (ت 594هـ/1198م)[1]، كما ارتبطت الأندلس بالجهاد فكانت أرض رباط ضد النصارى منذ الفتح، واستمر ذلك حتى خلال فترة المرابطين والموحدين وبعدهما، فكان أول عبور للمرابطين في عهد الأمير يوسف بن تاشفين سنة 479هـ/1086م، بعد أن استنجد به أهل الأندلس[2]، توالت عمليات العبور بعدها سواءً لدى المرابطين أو الموحدين[3].

إن أول تجربة فكرية صوفية أثرت بعمق في مسار الحياة الروحية بالمغرب الإسلامي بشقيه الأندلسي والمغربي، تجربة محمد بن عبد الله ابن مسرّة الحلبي (269-319هـ/883-931م)[4] وقد « التقت في ثقافة ابن مسرّة الأفلاطونية المحدثة بالعرفانية

---

1 - ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 162، ص 329. ابن القاضي: **جذوة الاقتباس**، رقم: 609، ص 530.

2 - عبد الواحد المراكشي: **المعجب**، ص 190 وما بعدها.

3 - مجهول: **الحلل**، ص ص 22 وما بعدها ؛ 118-119؛ 121-122.

4 - حول شخصية ابن مسرة وأفكاره ينظر: أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، د ط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م، رقم: 652، ص 217-218. أبو عبد الله محمد بن نصر الحميدي: **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ج 1، ط 3، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ/1989م، ص 109. آنخل جنثالث بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص 226-232. محمد العدلوني الإدريسي: **المرحلة الابتدائية في تكون التصوف الفلسفي بالغرب الإسلامي ابن مسرّة ومدرسته**، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1421هـ/2000م.

الهرمسية، والفكر الإعتزالي بآراء إمباذقليس[1] ليصوغ كل ذلك في رؤية صوفية إشراقية طبعها بمنحاه الشخصي في المعرفة والتجربة الروحية»[2] وهكذا اتهم ابن مسرة بالهرطقة والاعتزال، ففر نحو المشرق فنزل بالقيروان ثم اتجه إلى مكة وسمع من أبي سعيد بن العربي الصوفي المتكلم في الباطنية وبعلم دقائق أسرار الصوفية وآرائهم الإشراقية[3]، وبعد أن هدأت الأمور عاد إلى الأندلس، وتجمع حوله عدد من المريدين فدربهم على الرياضات الروحية وترقي المقامات[4].

ورغم وفاة ابن مسرّة عام 319هـ/931م، إلا أن أفكاره لم تمت وأخذها تلاميذه ومريدوه، كما أن أفكاره لوحقت أيضا كما لوحق صاحبها، حيث أمر المنصور بن أبي عامر (366-393هـ/976-1002م) بإيعاز من الفقهاء وعلى رأسهم قاضي الجماعة محمد بن يبقي بن زرب (ت 381هـ/991م) بإحراق كتب ابن مسرّة وضيقوا على مريديه ولاحقوهم بتهمة الزندقة[5]، وكان من أشهر تلامذة ابن مسرة إسماعيل بن عبد الله الرعيني، حيث اتهمه معاصره ابن حزم (ت 456هـ/1064م) بإقراره بخلود

1 - **إمباذقليس:** أو أمباذوقليس ظهر زمن النبي داود عليه السلام وأخذ الحكمة عن لقمان عليه السلام ثم انصرف إلى بلاد اليونان، وهناك إزدهرت أفكاره في القرن الخامس قبل الميلادي، واشتهر بفيلسوف العناصر، ينظر: أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي: **كتاب طبقات الأمم**، نشره وذيله بالحواشي وأردفه بالروايات والفهارس: لويس شيخو اليسوعي، د ط، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1912م، ص 21. محمد إبراهيم الفيومي: **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس**، ط 1، دار الجيل، بيروت، 1417هـ/1997م، ص 279.

2 - محمد الكحلاوي: **الفكر الصوفي**، ص 60-61.

3 - بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص 327.

4 - فرحات الدشراوي: **مظاهر من الصراع المذهبي بالأندلس**، المجلة العربية للثقافة، العدد: 27، تونس، 1994م، ص 20.

5 - بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص331. محمود علي مكي: **التصوف الأندلسي مبادئه وأصوله**، مجلة دعوة الحق، العدد: السابع، السنة: الخامسة، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، ذو القعدة 1381هـ/ ابريل 1962م، ص 10.

العالم ونفيه للفناء[1]، كما أن الرعيني حافظ على أسس الحركة المسارية التي تقوم على: التصوف والاعتزال[2]، إلا أنه أضاف عن صاحبها بعض التعاليم كقوله: « أن شيخ الجماعة ينبغي أن يعتبر إماما أي رئيسا سياسيا دينيا لها، ودعا إلى إحاطته بالإجلال والتوقير الكاملين»[3].

وهكذا رغم التضييق وإحراق كتب ابن مسرة، إلا أن أفكاره بقيت حية عند تلامذته، وظهر ذلك جلياً بعد وفاته خاصة في أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، حيث ظهرت مدرسته التي انطلقت من المرية بالأندلس لتشمل سائر شبه الجزيرة الأندلسية، وانطوى تحت لواءها أكبر أعلام التصوف المعرفي وأولياءه، فبإشبيلية ظهر الإمام القطب أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمان بن برجان[4] (ت 536هـ/1143م) وفي قرطبة ظهر أبو بكر المايورقي (ت 537هـ/1142م)، أبرز تلاميذ أبو العباس أحمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن العريف[5]، صاحب

1 – أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري: **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمان عميرة، ج 4، ط 2، دار الجيل، بيروت، 1416هـ/1996م، ص 138.

2 – إبراهيم القادري بوتشيش: **صفحة من الدور السياسي للطبقة المثقفة في المغرب الإسلامي الوسيط نموذج الحركة المسرية**، مجلة تاريخ المغرب، العدد: 05، السنة: 14، جمادى الثانية 1415هـ/ نوفمبر 1994م، ص 144.

3 – بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص 331.

4 – حول ابن برجان وفكره. ينظر: ابن الزبير: **صله الصلة**، مج 3، رقم: 479، ص 207. محمد العدلوني الإدريسي: **التصوف الأندلسي أسسه النظرية وأهم مدارسه**، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2005م، ص 83–89. عبد السلام الغرميني: **معالم من فكر ابن برجان**، أعمال ندوة من ابن برجان إلي أبي إسحاق البلفيقي جوانب من التواصل الفكري بين المغرب والأندلس 12– 13 نوفمبر 1993م، العدد: 12، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، مراكش، 1995م، ص 23–30.

5 – حول ابن العريف وفكره. ينظر: أبو علي حسن بن محمد بن الأبار: **المعجم في أصحاب القاضي الصدفي**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط 1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ/1989م، رقم: 14، ص 27. محمد العدلوني الإدريسي: **تأملات في الفكر الصوفي الأندلسي**، ط 1 ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2012م، ص 121–130.

كتاب " محاسن المجالس"[1]، و" مفتاح السعادة "[2]، وظهر ابن العريف بالمرية وتوفي في نفس العام الذي توفي فيه تلميذه، كما ظهر بها الشيخ الصوفي أبو القاسم بن قسي[3] (ت 546هـ/1151م)، مؤلف كتاب " خلع النعلين"، وهذا الأخير يعد من أبرز تلاميذ ابن برجان.

ما ميز المدرسة الصوفية الأندلسية أن ثقافة أولياءها روحية فلسفية، وكان من أهم رجالها في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي الكبريت الأحمر محي الدين بن عربي الحاتمي الطائي[4] (ت 638هـ/1240م)، وأبو محمد

1 – ينظر: IBN AL-ARIF: **Mahasin AL-Majalis** , texte arabe traduction et commentaire par: Miguel Asin Palacios, librairie orientaliste Paul geuthner, Paris, 1933.

2 – أحمد بن محمد بن العريف: **مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة**، جمعه: أبو بكر عتيق بن مؤمن، دراسة وتحقيق: عصمت عبد الطيف دندش، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م.

3 – حول ابن قسي وفكره. ينظر: أحمد بن قسي: **كتاب خلع النعلين واقتباس النور من موضوع القدمين**، دراسة وتحقيق: محمد الأمراني، ط 1، مطبعة IMBH، أسفي، 1418هـ/1997م، ص 22–98. مصطفى بنساع: **الجانب الإيديولوجي لثورة المريدين**، أعمال ندوة: من ابن برجان إلى أبي إسحاق البلفيقي جوانب من التواصل الفكري بين المغرب والأندلس 12–13 نوفمبر 1993، العدد: 12، مجلة كلية الآداب والعلوم إنسانية جامعة القاضي عياض، مراكش، 1995م، ص 95–106. محمد الأمراني: **ثورة المريدين ابن قسي ملامح من حياته السياسية والصوفية**، نفس المجلة، نفس العدد، ص 107–167.

4 – حول محي الدين ابن عربي. ينظر: محمد بن الطيب: **وحدة الوجود في التصوف الإسلامي في ضوء وحدة التصوف وتاريخيته**، ط 1، دار الطليعة، بيروت، 2008، ص 155–305. أحمد امحرزي: **موقف أبي بكر بن العربي من التصوف**، أعمال ندوة: من ابن برجان إلى إسحاق البلفيقي جوانب من التواصل الفكري بين المغرب والأندلس 12–13 نوفمبر1993م العدد: 12، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، مراكش، 1995م، ص 163–170.

عبد الحق بن سبعين[1](ت 669هـ/1270م)، وأبو الحسن علي بن عبد الله الششتري[2] (ت 668هـ/1269م) .

ولكننا هنا نتساءل إلى أي مدى أثرت هذه المدرسة الولائية الفلسفية في الفكر الولائي بالمغرب الإسلامي؟.

قبل أن نجيب أن هذا التساؤل سنحاول تتبع حركة رموز هذه المدرسة الولائية الأندلسية نحو بلاد المغرب، فابن عربي الحاتمي الطائي استقر بفاس وبجاية وهذه الأخيرة دخلها في شهر رمضان سنة 597هـ/1200م[3]، غير أن علاقته بالمغاربة بدأت قبل أن تطأ أقدامه بلاد المغرب الإسلامي، فقد تتلمذ بإشبيلية على عدد من الشيوخ المغاربة وشهد لهم بنفسه بالولاية لأكثرهم، وكان من أهم هؤلاء الأولياء: صالح العدوي ويدعى بصالح البربري و أبو يحي بن أبي بكر الصنهاجي[4]، وهذا الأخير عدَّه ابن عربي من أهل المعارف والإشارات والتمكين وأنه قليل النظير لما رأى فيه من الحقائق الكثيرة، ومن أجله ألف كتابه " عنقاء المغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب"[5].

1 – حول ابن سبعين وفكره. ينظر: أبو محمد عبد الحق ابن سبعين المرسي الأندلسي: **بد العارف**، تحقيق وتقديم: جورج كتورة، ط 1، دار الأندلس، دار الكندي، بيروت، 1978م. ابن سبعين: **رسائل ابن سبعين**، حققه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، د ت.

2 – حول الششتري وفكره. ينظر: أبو الحسن علي بن عبد الله النميري الششتري: **الرسالة الششترية أو الرسالة العلمية في التصوف**، تلخيص: أبي عثمان بن ليون التجيبي، تقديم ودراسة وتحقيق وتعليق: محمد العدلوني الإدريسي، ط 1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2004م، ص 5–19. الششتري: **ديوان أبي الحسن الششتري أمير شعراء الصوفية بالمغرب والأندلس (610–668هـ)**، تقديم وضبط ودراسة وتحقيق: محمد العدلوني الإدريسي وسعيد أبو الفيوض، ط 1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2008م. كروم بومدين: **أبو الحسن الششتري الصوفي حياته وشعره**، ط 1، دار التوفيقية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1432هـ/2011م.

3 – الغبريني: **الدراية**، ص 158.

4 – محي الدين ابن عربي: **شرح رسالة روح القدس في محاسبة النفس**، جمع وتأليف: محمود محمود غراب، ط 2، دار الإيمان، دمشق، 1414هـ/1994م، ص 81–83.

5 – نفسه، ص 123.

وعلى ذكر شيوخ الكبريت الأحمر المغاربة، نذكر ما شدّنا فيهم وهو علو مكانتهم عند عامة الأندلسيين، فهذا الولي عبد الله بن تاحميست يعده أهل إشبيليه من الأبدال[1]، وكذلك الولي أبو عمران موسى السدراتي يعد من الأبدال رغم أنه « كان مجهولا له عجائب وغرائب»[2].

أما من استقر بالمغرب من أولياء الأندلس، نذكر منهم أبو الحسن الحرالي (ت 638هـ/1240م)، الذي استقر ببجاية بعد وفاة أبي زكريا الزواوي (ت 611 هـ/1214م)، وهذا ما إستخلصناه من خلال رواية الغبريني التي يتحدث فيها عن زيارة الحرالي لقبر الزواوي يستأذنه الجلوس في مسجده[3]. وكذلك ابن سبعين فقد استقر في كل من سبتة وبجاية[4]، ولقد أثر ابن سبعين (ت 669هـ/1270م) تأثيرا كبيراً بالمغرب خاصة في بجاية فيقول الغبريني عن ذلك: « وسكن بجاية مدة، لقيه من أصحابنا أناس وأخذوا عنه، وانتفعوا به في فنون خاصة، له مشاركة في معقول العلوم ومنقولها.... وله أتباع كثيرة من الفقراء، ومن عامة الناس، وله موضوعات كثيرة هي موجودة بأيدي أصحابه»[5]. أما تلميذه الششتري فسار على درب شيخه فنزل ببجاية ثم ثم تحول نحو قابس برباط البحر بمسجد الصهريج[6].

وهكذا نرى أن علاقة التجربة الولائية المغاربية بنظيرتها الأندلسية، كانت علاقة متعدية أي علاقة تأثير وتأثر، وهذا ما جسده شيوخ ابن عربي المغاربة حيث استقروا

1 – ابن عربي: **شرح روح القدس**، ص 122–123.

2 – نفسه، ص 113.

3 – الغبريني: **الدراية**، ص 151–152.

4 – عبيد بوداود: **ظاهرة التصوف**، ص 50.

5 – الغبريني: **الدراية**، ص 209.

6 – نفسه، ص 210–211.

بالأندلس وأفادوا الأندلسيين بعلومهم ورياضاتهم ومكاشفاتهم، كما انتقل عدد من أولياء الأندلس إلى المغرب ونقلوا تجاربهم إليه، وكان لهم عدد كبير من الأتباع والمريدون.

وأمام حركة رجال وأفكار أصحاب الكرامات الأندلسيين نحو المغرب الإسلامي، كانت هناك أيضا حركة معاكسة حيث انتقلت الأفكار كما انتقل الرجال من المغرب اتجاه الأندلس، ومن أولياء المغرب الإسلامي الذين انتقلت تعاليمهم إلى الأندلس الولي أبو الحسن بن حرزهم (ت 559هـ/1164م)، نقلها تلميذه أبو عمران البردعي الذي أخذ عنه وعن غيره بفاس وانتقل إلى إشبيلية، وعنه نقل تلميذه إبراهيم بن جابر المخزومي القفال نفس التعاليم إلى مالقة[1]. أما القطب أبو مدين شعيب رغم أن أصله أندلسي إلا أن تصوفه يعد تصوفا مغاربيا محضا، لأن فترة تكوينه وتدرجه كانت بالمغرب وبه أخذ القطبانية، وقد نقل العديد من المغاربة أفكاره إلى الأندلس، وكان من بينهم أبو أحمد السلاوي الذي عدّه ابن عربي ضمن شيوخه وأخذ عنه بإشبيلية، وقد صحب السلاوي « أبا مدين ثماني عشر سنة»[2]، ويعد أبو مدين من أكثر الأولياء الذين تأثر بهم ابن عربي[3].

وأخيرا نعود للإجابة عن التساؤل الذي طرحناه سابقا وهو: إلى أي مدى أثرت المدرسة الولائية الفلسفية (صاحبة التصوف الفلسفي) في الفكر الولائي بالمغرب الإسلامي؟.

1 – محمد المغراوي: **العلماء والصلحاء**، ص 361.

2 – ابن عربي: **شرح روح القدس**، ص 119.

3 – ساعد خميسي: **الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية**، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه الدولة، إشراف: عبد الرحمان التليلي، جامعة منتوري، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، قسنطينة، السنة الجامعية: 1426–1227هـ/2005–2006م ص 20–21. ساعد خميسي: **تأثير أبي مدين في فكر وتصوف محي الدين بن عربي**، مجلة العلوم الإنسانية، منشورات جامعة قسنطينة، عدد: 13، جوان 2000م.

ما لاحظناه في سير أولياء الأندلس الذين انتقلوا إلى بلاد المغرب أنهم لم يستقروا ولم يحلو لهم المقام بها، فالشيخ الأكبر ابن عربي حين استقر بفاس سنة 591هـ/1194م، لم يطل به المقام فيها فرحل نحو المشرق ، وأرجع كل من ميجل أسين بلاثيوس (Miguel Asian Palacios) وانجيل بالنسيا (Angel Gonzalez Palencia) سبب عدم الاستقرار إلى سوء العلاقة بين الولي والسلطة الموحدية، وأضاف بلاثيوس عاملاً آخر وهو خوف ابن عربي من دسائس ووشايات الفقهاء[1]، وكذلك الشأن عند ابن سبعين، الذي « استقر بمدينة سبتة، فشاع عنه أنه فيلسوفي، فنفاه ابن خلاص[2] منها»[3].

وإذا نظرنا إلى مكانة كل من محي الدين بن عربي وابن سبعين عند المغاربة، لا نجد مجالاً للمقارنة بينهما، فمكانة ابن عربي كانت رفيعة جداً عند المغاربة، رغم انقسام الناس حوله بين مؤيد ومعارض، فقد انبرى عدد كبير من مؤيديه وتلامذته للدفاع عنه وشهدوا له بالعلم والولاية معا[4]، كما رماه خصومه بفساد عقيدته[5]، غير أن المغاربة رغم هذا الانقسام كانوا يقبلون على دراسة وتدريس كتبه، ويظهر ذلك من خلال تردد أسماء كتبه في تراجم متصوفة وأولياء المغرب[6].

---

1 – أسين بلاثيوس: **ابن عربي**، ص 46–47. آنخل جنثالث بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص 373.

2 – **ابن خلاص:** هو أبو علي بن خلاص ولي من طرف الموحدين على سبتة سنة 620هـ/1237م. ينظر: السلاوي: **الاستقصاء**، ج 2، ص 220.

3 – البادسي: **المقصد الشريف**، ص 34.

4 – المقري: **أزهار الرياض**، ج 3، ص 52–53.

5 – ساعد خميسي: **الرمزية والتأويل**، ص 20.

6 – عباس العزاوي: **محي الدين بن عربي وغلاة التصوف**، ضمن الكتاب التذكاري **محي الدين بن عربي في الذكرى المؤوية الثامنة لميلاده 1165–1240م**، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1969م، ص 146–148.

وهكذا يمكن أن نعتبر الشيخ الأكبر ابن عربي، من أكثر الأولياء والعلماء الأندلسيين الذين أثروا في الفكر الولائي المغربي، رغم أنه علم من أعلام التيار الصوفي الفلسفي، وربما نرجع سبب ذلك إلى تبحره في علم التصوف، وكذلك إلى إنتاجه العلمي الغزير حيث صعب على الباحثين عدّ جميع كتبه، وهكذا حق للكبريت الأحمر أن يعد أحد أكبر أقطاب الأولياء شرقا وغربا.

وفي الأخير يمكننا إقرار أن التيار الفلسفي الولائي بالأندلس لم يجد طريقه إلى المغرب الإسلامي لأن البيئة المغاربية كانت رافضة لهذا النوع من الفكر الولائي، غير أن هذا الكلام لا نستطيع أن نتركه مطلقا، والأصح أن نقول أن الفكر الولائي الفلسفي الأندلسي كان تأثيره قليلا على الفكر الولائي المغاربي الذي كان أساسه الزهد والعبادة والمجاهدات، خاصة مع وجود عَلَم كابن عربي استطاع أن ينفذ هذا الفكر العرفاني ولو بشكل قليل واقتصاره على بعض النماذج الولائية دون غيرها.

كما أنه في الأخير أيضا يمكننا القول بأن علاقة الفكر الولائي المغاربي بغيره المشرقي والأندلسي، كانت علاقة متعدية أي علاقة تأثير وتأثر، وهذا ما رأيناه في حركة انتقال الأولياء والرجال في اتجاهين، وكذلك ما وقفنا عليه في انتقال الأفكار من أنها كانت متعدية كذلك، وهذا ما تجسده وحدة التجربة الولائية على كامل المجال الإسلامي، وهو ما يفند كذلك ما ذهب إليه المستشرقون من أن الفكر الولائي الإسلامي هو نتاج لأفكار مسيحية وغيرها من ديانات غير الإسلام، لكن مع هذا العرض السابق، نستطيع أن نقر أن التجربة الولائية الإسلامية هي نتاج تجربة ثلاثة أقاليم إسلامية وهي المشرق والمغرب والأندلس، وإن سلمنا بأن بعض ما جاء من أفكار الولائية ربما أصولها مسيحية وحتى يهودية، فهذا لا ينقص شيئا لأن الإسلام جاء خاتمة لباقي الديانات السماوية، وبالتالي فأصلهم واحد وهي تشاريع إلهية سماوية.

II- الأولياء في المغرب الإسلامي:

للوقوف على حجم انتشار الأولياء في المغرب الإسلامي، وأمام الواقع الصعب للظاهرة الولائية الذي جعلنا نرى استحالة القيام بدراسة إحصائية دقيقة حول الأولياء وعددهم في المدن والبوادي، وهذا نظرا لصعوبة الفصل في الأشخاص إن كانوا أولياء أو متصوفة أو زهاد، وأيضا كما سبق وأن ذكرنا أن هناك العديد من الأولياء من تكتم عن ولايته، وأيضا كذلك إلى نقطة مهمة سبق وأن أشرنا إليها في الفصل السابق وهي: أنه ليس بالضرورة أن يعرف الولي نفسه أنه وليٌّ وربما يعيش الولي ولا يعد وليًا إلا بعد وفاته بفترة قصيرة أو طويلة، لأن الولي نتاج الذاكرة الجماعية[1]. ولهذه الأسباب والدوافع رأينا أنه من شبه المستحيل القيام بدراسة إحصائية حول عدد الأولياء وحجم انتشار ظاهرة الولاية بالمغرب الإسلامي.

ولكننا حاولنا بطريقة أخرى ملامسة حجم انتشار الأولياء بالمغرب الإسلامي، ومحاولة تحديد هوية أولياء المغرب خلال عصري المرابطين والموحدين، ومن خلال تتبع انتشار هذه الظاهرة داخل جميع العناصر المكونة للمجتمع المغاربي خلال فترة دراستنا، سنحاول في البدء أن نرى حجم انتشار الأولياء من خلال أصولهم الإثنية عرب وبربر وحتى حسب لون بشرتهم بيض وسود. ثم بعد ذلك نحاول تتبع أي فئات الاجتماعية انحدر منها الأولياء بداية بالطبقة العليا أو الغنية، وصولا منا إلى الفئات المعدمة، وهذا ربما سيوضح لنا معالم حجم انتشار الأولياء داخل المجتمع المرابطي والموحدي بالمغرب الإسلامي.

1. أصول الأولياء الإثنية:

لقد سبق أن دحضنا ما ذهب إليه المستشرقون من ربطهم لظاهرة الولاية بالعنصر البربري دون سواه، وأثبتنا أن هذه الظاهرة تضمنتها جميع عناصر المجتمع

1 - ينظر: الفصل الثاني، ص 127.

المغاربي من بربر وعرب وعجم، غير أننا لا نستطيع أن ننفي كذلك نتائجهم وفرضياتهم، فظاهرة الولاية بالمغرب الإسلامي كان لها خصوصيتها، فنقر مثلاً أن ظهور الأولياء عند البربر كان أكثر من العرب، لكن لا نعتبر أن ظهور الأولياء عند الأمازيغ واحترامهم لهم، إنما هو الحنين إلى تقاليد مجتمع أمازيغي وثني[1]. بل الأخطر من ذلك النقطة التي بنى عليها دراق (Drague) مقاله حول ثنائية عرب وبربر، حيث اعتبر أن ظاهرة التصوف وما هي إلا ردة فعل أمازيغية محلية ضد المنظور الفقهي الذي احتكر تفسير الإسلام[2]. وكأن هذا المستشرق هنا يحاول أن يوهمنا أن التصوف عامة والولاية خاصة إنما هي صراع بين هوية أمازيغية محلية مهمشة ضد العرب المتسلطين المتحكمين في المغرب، وهنا يتضح لنا أن دراسة دراق وغيره من الأغلبية الساحقة للمستشرقين لم يكن الغرض منها البحث، إنما خدمة للأهداف الإستدمارية، وهكذا انطلقوا من فرضيات للإجابة عن تساؤلات يريدون أن يصلوا إليها قبل البدء في أبحاثهم.

وهنا سوف نتتبع أصول الأولياء بين كافة عناصر وفئات المجتمع المغربي من بربر وعرب وسود وغيرهم، لنجيب على أولئك المستشرقين بالحجة والدليل لا بالفرضيات والتأويل.

أ- البربر (الأمازيغ):

لقد اكتسح أولياء البربر المجال المغربي الإسلامي، وانتشروا في الحواضر والبوادي على حد سواء، ولا يخلو بطن أو قبيل من البربر إلا وكان له خط من الأولياء، وهذا لكثرة عددهم حتى أن البعض اعتبر عد الأولياء مستحيلاً، وهذا ما نجده في نص عند صاحب كتاب مفاخر البربر حين قال: « أما الأولياء والصلحاء والعباد،

1 - جورج مارسية: **بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق**، ص35.

2 - G . Drague: **Esquisse d'histoire religieuse du Maroc. Confrérie et Zaouïas**, Cahiers de l'Afrique et de l'Asie, Peyronnet, Paris, 1952, p 58,127.

والأتقياء، والزهاد النساك الأصفياء، فقد كان في البربر منهم ما يوفي على عدد الحصى والإحصاء»[1]. وأمام هذا العدد الكبير لأولياء البربر، ارتأينا أن نقسم أصول الأولياء إلى قسمين الأول بتر والثاني برانس.

- **أصول الأولياء البترية:**

وتأتي على رأس البطون البترية قبائل صنهاجة الجنوب وهي عصبية الدولة المرابطية، وقد نالت حظها من الأولياء ذوي الأصول الصنهاجية فقد وجدنا أن ابن الزيات قد ترجم لحوالي أربع وعشرون وليًا أصولهم صنهاجية[2]، وكان من بين هؤلاء أبو عيسى وزجيج بن ولوون الصنهاجي، وهو « كبير الشأن من أقران أبي عبد الله بن مغار وأبي شعيب»[3]، أما أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي (ت 561هـ/1166م)، فهو « من أشياخ أبي يعزى ويقال إنه من الأبدال»[4] ، وكذلك الولي أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر إسحاق بن إسماعيل بن سعيد الصنهاجي المعروف بابن أمغار وهو من « الأبدال ومن أقران أبي شعيب السارية وأبي عيسى الدكالي»[5]، ومن أولياء صنهاجة كذلك أبو زكريا يحيي بن يسولال الصنهاجي « تلميذ عبد الجليل بن ويحلان وشيخ أبي علي منصور بن عبد الحكيم الهسكوري. كان من أكابر الأولياء»[6].

---

1 - الإيلاني: **مفاخر البربر**، ص 188.

2 - ينظر: الملحق السابع؛ من الولي رقم: 01 إلى رقم 24.

3 - ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 61، ص 185.

4 - نفسه، رقم: 62، ص 187.

5 -نفسه، رقم: 75، ص 209.

6 - نفسه، رقم: 84، ص 230.

وقد ترجم صاحب التشوف لصنهاجيين آخرين غير أنه نسبهم لبطونهم مباشرة، كجزولة ولمطة، فمن جزولة أحصينا أربعة أولياء[1]، ومنهم الولي أبو محمد يرْزْجان بن محمد الجزولي كان ضريراً وصاحب أبي بكر بن العربي، وكان صاحب كرامات[2]، أما الولي أبو محمد عبد الرزاق الجزولي ويعد من كبار المشايخ وهو تلميذ الغوث أبي مدين شعيب[3]. أما أولياء لمطة فذكر ابن الزيات وليان[4]، أما لمتونه فذكر لها وليًا واحدًا[5]، وكذلك مسوفة أيضا[6].

ومن قبائل البترية كذلك زناته، التي وجدنا لها ست تراجم عند ابن الزيات[7]، نذكر منهم أبو محمد مع الله بن يحي بن يجاتْنْ الزياتي (ت 536هـ/1141م) وهو من « أهل العلم، وكان من الأفراد»[8]. ومن أصحاب الكرامات كذلك أبو محمد عبد الله بن الخير الزناتي[9]. وصاحب التشوف ترجم لزناتين آخرين غير أنه نسبهم لبطونهم مباشرة[10]، كما فعل مع صهناجة الجنوب، ونذكر منهم الولي أبا زكريا يحي بن محمد الجراوي « كان كبير الشأن ويقال إنه من الأبدال»[11]، وكذلك الولي أبو محمد صالح بن وِمْليل الجراوي (ت حوالي 540هـ/1145م) كان من العلماء، وكانت له كرامات

1 – ينظر: الملحق السابع؛ من الولي رقم: 25 إلى رقم: 28.

2 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 114، ص267.

3 – نفسه، رقم: 164، ص327.

4 – نفسه، رقم: 05، ص 89، رقم: 176، ص 344.

5 – وهو الولي أبو عبد الملك مروان بن عبد الملك اللّمتوني (ت 571 أو 572هـ/1175 أو 1176م). ينظر: نفسه، رقم: 93، ص 238.

6 – وهو الولي أبو إسحاق باران بن يحي المسوفي. ينظر: نفسه، رقم: 105، ص254.

7 – ينظر: الملحق السابع؛ من الولي رقم:33 إلى رقم: 38.

8 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 25، ص 132.

9 – نفسه، رقم: 141، ص 296.

10 – ينظر: الملحق السابع؛ من الولي رقم:39 إلى رقم 44.

11 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 26، ص 135

عديدة[1]. كما ترجم صاحب التشوف ولياً واحدًا لكل من مطماطة[2]، ومطغرة[3]، ومغيلة[4]. ومغيلة[4].

- **أصول الأولياء البرنسية:**

من أهمها قبائل هسكورة، وقد ترجم التادلي لسبعة من أوليائها[5]، ومن هؤلاء السبعة نذكر، الولي أبو محمد عبد الحميد بن صالح الهسكوري « نزل مدينة فاس فصحب بها أبا الحسن بن حرزهم وأبا عبد الله الدقاق، وكان عبدا صالحا من كبار الأولياء»[6]. أما الولي أبو صالح عبد الحليم بن هارون بن سعيد الهسكوري (ت 593هـ/1197م)، كان « من أقران أبي محمد سكر وأبي الأمان بن مشو. وكان الأفراد»[7]. وكان الولي أبو صالح واطيل بن عبد الرحيم الهسكوري أيضا « من الأفراد»[8].

ومن الفرع المصمودي كذلك قبيلة وريكة، إذ وجدنا في التشوف ترجمتين لوليين من أولياءها[9]، أما قبائل تينملل فلم نجد سوى ترجمة واحدة لأوليائها، وكانت للولي أبو أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم التينملي (ت 592هـ/1196م)[10]، كما أرخ التادلي لأولياء آخرين نسبهم إلى إقليم دكالة، وقد ذكرنا سابقا أن هذه الإقليم هو موطن

---

1 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 42، ص 158.

2 – هو الولي أبو واجّاج عفان بن إسماعيل المطماطي. ينظر: نفسه، رقم: 228، ص 407.

3 – هو الولي أبو علي حسن بن علي المطغري المؤذن (ت 603هـ/1206م). ينظر: نفسه، رقم: 205، ص 384.

4 – وهو الولي: أبو زكريا يحي بن عبد الله الهواري المغيلي. ينظر: نفسه، رقم: 146، ص 302.

5 – ينظر: الملحق الثامن؛ من الولي رقم:01 إلى رقم: 07.

6 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 68، ص 196.

7 – نفسه، رقم: 172، ص 339.

8 – نفسه، رقم: 190، ص 364.

9 – نفسه، رقم: 64، ص 193، رقم: 143، ص 297.

10 – نفسه، رقم: 170، ص337.

المصامدة، وكان عددهم تسعة أولياء دكاليين[1]، نذكر منهم أبو وَزْجيج يِفْراكْسْ بن يسُولان الدكالي (ت 540هـ/1145م)، يعد « من أقران أبي حفص بن ميكسوط من أكابر الأولياء»[2]. وكذلك الولية منية بنت ميمون الدكالي (ت 595هـ/1199م) وكانت صاحبة كرامات وتعد « من الأفراد»[3].

ونالت كذلك هزرجة حظها في ترجمات ابن الزيات فترجم لثلاثة من أوليائها[4]، نذكر منهم الولي أبو إبراهيم إسحاق الهزرجي (ت 580هـ/1184م)، وهو صاحب كرامات وبركة، ويعد « من الأفراد»[5]. أما قبيلة هوارة فترجم لخمسة من أوليائها[6]، منهم منهم الولي أبو عبد الله محمد بن مْحْيو الهواري وهو « من تونس، كبير الشأن من أهل العلم والعمل»[7]، أما هزميرة فقد ترجم لوليين منها[8]، أحدهما أبو علي مالك بن تماجورت الهزميري (ت 612هـ/1215م)، و« كان عبدا صالحا من كبار المشايخ وكان الشيخ أبو يعزى يقدمه للصلاة به»[9]. هناك ولي آخر ثالث من هزميرة وهو القطب أبو يعزى (ت 572هـ/1176م)، لكن لا نستطيع أن نجزم بذلك لأن التادلي في بداية ترجمته له قال: « قال قوم إنه من هزميرة ايروجان وقيل من بني صبيح من هسكورة»[10]. وهكذا لم يفصل في أصل أبو يعزى أهو هزميري أم هسيكوري.

---

1 – ينظر: الملحق الثامن؛ من الولي رقم: 11 إلى رقم: 19.

2 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 36، ص 151.

3 – نفسه، رقم: 160، ص 361.

4 – نفسه، رقم: 79، ص 225، رقم: 96، ص 241، رقم: 148، ص 303.

5 – نفسه، رقم: 96، ص 241.

6 – ينظر: الملحق الثامن؛ من الولي رقم: 23 إلى رقم: 29.

7 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 56، ص 179.

8 – نفسه، رقم: 223، ص 400؛ رقم: 248، ص 422.

9 – نفسه، رقم: 248، ص 422.

10 – نفسه، رقم: 77، ص 213.

أما قبيلة أوربة البرنسية، فلم يذكر لها سوى أبو خزر يخْلَفْ بن خزر الأوربي الذي كان من أصحاب الكرامات[1]، وكذلك قبيلة فندلاوة التي لم يترجم إلا لولي واحد منها، هو الولي أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي المعروف بابن الكتاني (ت 597هـ/1201م)[2].

ومما لاحظنا بلكاد نجد لكل قبيلة أو بطن من القبائل الأمازيغية إلا ولها أولياء، وهذا رغم اقتصارنا في إحصاء تراجم هؤلاء الأولياء وأصولهم من مصدر واحد وهو التشوف، وهذا تقريبا ما أقره سابقا صاحب كتاب مفاخر البربر حين اعتبر أن عدد أولياء البربر لا يحصى وهو يقارب عدد الحصى، ورغم هذا العدد الضخم لأولياء المغرب الأمازيغ، إلا أننا وجدنا أنه لم يقتصر على البربر فقط بل شمل كذلك العرب، وإن كان في الكم أقل.

ب- العرب:

لم تقتصر النماذج الولائية على الأمازيغ فقط، بل وجدنا أولياء آخرين أصولهم عربية، ومن خلال أسمائهم يتضح جليا أن نسبهم عربي، فقد وجدنا في التشوف ثلاث تراجم لأولياء ينتسبون إلى أشرف نسب وهو القرشي[3]، ونذكر منهم الولي أبو الحسن علي بن خلف بن غالب القرشي، وهو صاحب كرامات ومكاشفات « وكان الأولياء يحضرون مجلسه»[4]، ومنهم كذلك الولي أبو سهل القرشي الذي دفن بمراكش، بمراكش، « وقبره معروف يتبرك به إلى الآن [أي زمن التأليف]»[5].

---

1 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 55، ص 177.

2 – نفسه، رقم: 169، ص 335.

3 – نفسه، رقم: 74، ص 208؛ رقم: 81، ص 228؛ رقم: 91، ص 236.

4 – نفسه، رقم: 81، ص 228.

5 – نفسه، رقم: 74، ص 208.

وهناك من أولياء أصلهم من المدينة المنورة، وقد ذكر التادلي أربعة منهم[1]، إلا أن أشهرهم هو أشهر أولياء المغرب وأكبرهم وهو القطب الغوث أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري (ت 594هـ/1198م)[2]، ومنهم كذلك الولي أبو يعقوب يوسف بن أحمد بن الحسن الأنصاري المعروف بالحكيم (ت 605هـ/1208م) وهو « من أكابر أصحاب أبي العباس السبتي»[3].

أما من بني أمية وجدنا وليًا واحدًا وهو أبو الحسن نجا بن عبد الله الأموي (ت 590هـ/1194م)[4]، وأيضا الفهريين فترجم التادلي لولي واحد أصوله فهرية، وهو أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري (ت 609هـ/1212م)، وقد « صحب أبا يعزى وأبا مدين وابن غالب، ورحل إلى المشرق فلقي العلماء والفضلاء»[5]. أما عن قبيلة جذامة العربية فلم يترجم إلا لواحد من أولياءها ، وهو أبو عبد الله محمد بن شعيب الجذامي (ت 604هـ/1207م)[6]، ونفس الأمر حصل مع اللّخميين فقد ترجم لواحد منهم، وهو الولي الولي أبو عبد الله محمد بن أحمد اللّخمي الواعظ المعروف بابن الحجام (ت 614هـ/1217م)[7]، وما تجدر إليه الملاحظة حول الأولياء ذوي الأصول العربية أن الأغلبية الساحقة منهم ينحدرون من القبائل العربية التي استوطنت الأندلس منذ الفتح الإسلامي، فهذا ما استخلصناه من أغلب تراجم التادلي لهم، فهو دائما يذكر أن أصولهم إلى أحد الحواضر الأندلسية.

---

1 – ينظر: الملحق التاسع؛ من الولي رقم: 04 إلى رقم: 07.

2 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 162، ص 319.

3 – نفسه، رقم: 226، ص 404.

4 – نفسه، رقم: 182، ص 358.

5 – نفسه، رقم: 405، ص 415–416.

6 – نفسه، رقم: 221، ص 398.

7 – نفسه، رقم: 268، ص 439–440.

ت- السود:

السود هم أصحاب البشرة الداكنة أغلبهم ينحدر من أصول سودانية حبشية، وقد ذكر التادلي لهم اثنين وعشرين وليا[1]، نذكر منهم أبو محمد خميس بن زرح الرجراجي الأسود، « يقال إنه من الأبدال وأنه ممن لقي الخضر عليه السلام»[2]، والولي ريحان الأسود وهو من الأفراد[3]، وأما الولي أبو لقمان يرْزْجَانْ بن يعقوب الأسود (ت 570هـ/1174م)، « كان صديقا لأبي شعيب»[4]، وكذلك يِلْبْخْتْ ياالِلْتْنْ الأسود (ت 570هـ/1174م)، وهو « تلميذ أبي يعزى... وكان من أكابر الأولياء»[5]، ومنهم كذلك كذلك الولي أبو إسماعيل الأمان الأسود (ت 616هـ/1219م)، وقد « صحب أبا يعزى وأبا إبراهيم السفاح وغيرهما»[6].

كما أن صاحب كتاب المستفاد عدَّ أبو يعزى يلنور نفسه من أصحاب البشرة السوداء حين قال: « وكان رحمه الله [أبو يعزى] أسود اللون»[7]، ولم يكتف التميمي بالقطب أبي يعزى فقط بل ذكر العديد من الأولياء من بينهم، الولي أبو علي المنصوري ابن فوقَةَ « كان أسود اللون»[8]، وكذلك الولي مسلم الحبشي[9]، ومن خلال خلال أصله الحبشى يتضح لنا أنه أسود البشرة، ذكر التميمي أيضا الولي أبو سعيد

1 – ينظر: الملحق العاشر.
2 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 14، ص 113.
3 – نفسه، رقم: 43، ص 158.
4 – نفسه، رقم: 86، ص 232.
5 – نفسه، رقم: 203، ص 381.
6 – نفسه، رقم: 274، ص 444.
7 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 2، ص 40.
8 – نفسه، رقم: 08، ص 55.
9 – نفسه، رقم: 70، ص 161.

الحبشي غير أن التميمي هنا لم يدع مجالاً للتأويل في لون البشرة، حين قال : « إذ وصل أبو سعيد الأسود»[1]. وهذا ما ينطبق على سابقه مسلم الحبشي.

إن ما لاحظناه عند كل من صاحب المستفاد وصاحب التشوف، تركيزهم على لون بشرة الأولياء السوداء، وكأنهم يريدون أن يؤكدوا ويبرزوا أن الارتقاء في مراتب الولاية لم يكن مقتصراً على جنس واحد دون غيره، فحتى الأقلية المهمشة يمكن أن ترتقي في سلم الولاية، وهذا ما ذهب إليه أيضا الباحث أحمد التوفيق حين قال: « الإشارة إلى اللّون لا تخلو من مغزى تاريخي لاسيما وأن الإلحاح عليها من قبل صاحب المستفاد وصاحب التشوف في حق عدد من مترجميهم أمر واقع. إلحاح قد تجبل فيه ميزة الأدمة على موقع في الهامش الاجتماعي، وإلاّ فمن تكون تلك الفئة السمراء التي تطلب رقياً في مجتمع إمازيغن (الأحرار) بسلم الصلاح؟ الإلحاح يبرزه أن المسافة بين الرتبة الراجعة لأمثالهم على العادة وبين الرتب المدركة بالمجاهدة مسافة بعيدة»[2].

وأمام انتشار الأولياء وتوزيعهم حسب أصولهم بين مختلف قبائل البربر والعرب وغيرهم حتى السود، لا يمكن إلاّ أن نعتبر نظريات المستشرقين ونتائج بحوثهم حول أولياء المغرب واقتصارها فقط على البربر، وأن ظاهرة الولاية عامة ماهية إلا صراع واثبات هوية بين ثنائية البربر (الأمازيغ) والعرب، وهذه كلها ادعاءات المستشرقين وافتراءاتهم الغرض منها خدمة سياستهم الاستعمارية، وتكريس لنظرتهم المتعالية لكل ما هو إسلامي أو شرقي.

---

1 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 75، ص 168.

2 – أحمد التوفيق: **التاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى**، الملتقى الدراسي: التاريخ المناقب، 8–9 أبريل 1988م، منشورات عكاظ الرباط، 1989، ص 86.

2.الطبقات (الفئات) الاجتماعية للأولياء:

تنوعت أصول الأولياء بين مختلف القبائل المغرب الإسلامي، سواء البربر أو العرب وغيرهم، كذلك الشأن في الطبقات والفئات الاجتماعية المكونة للمجتمعين المرابطي والموحدي فلم يقتصر الأولياء على طبقة معينة دون أخرى. فقد سلك طريق الولاية بعض الأمراء وكبار عمال الدولة والأغنياء، كما كان لأصحاب الفئات الوسطى كالتجار والزراع والحرفيين والصناع نصيب من الولاية كذلك، بل حتى قطاع الطرق وأهل السوء وأرذال القوم فنالوا الولاية بعد أن تركوا ما كانوا فيه من سيء الأعمال وذميم الأفعال واتجهوا إلى طريق العبادة والعمل والمجاهدة.

أ- الطبقة العليا:

أول من يستحق الذكر من أولياء هذه الفئة الولي أبو زكريا بن يوغان الصنهاجي (ت 537هـ/1142م)، وهو أحد أمراء صنهاجة سلك طريق الولاية على يد الولي أبو محمد عبد السلام التونسي الذي نجح في أن يذهب عنه الكبر والزعامة، و« لما تاب ابن يوغان أقبل على الله تعالى وزهد في الدنيا وانتهى إلى أعلى مقامات الأولياء»[1]. أما الولي أبو محمد صالح بن عمر فكان من أرباب الدولة، فزهد في الدنيا وسلك طريق الولاية[2]. ومن عمال الدولة الذين كانت لهم الولاية، الشيخ أبو عباس أحمد الأريني « استوطن مدينة فاس... وكان بها عاملا، ثم تاب إلى الله»[3]، أما أبو محمد عبد الله بن عبد الملك البَيَّانِي، « كان من العمال ثم تاب إلى الله تعالى فرد

1 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 19، ص 123-124.

2 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 23، ص 83.

3 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 103، ص 250.

المظالم إلى أهلها»[1]. نفس الأمر وقع مع الولي أبو يزيد عبد الرحمان الزاهد (ت 613هـ/1216م)[2].

أما عن الأغنياء والأثرياء، فنذكر منهم الفقية أبو عبد الله محمد بن علي بن جعفر بن أحمد القيسي المعروف بابن رمامة (ت 567هـ/1086م) « وكان من ذوي اليسار»[3]. كذلك الولي أبو عبد الله محمد إبراهيم المهدوي، فهذا الأخير لما « وصل إلى مدينة فاس بمال كثير، عدة آلاف أنفقها على الفقراء وأهل الإدارة»[4].

ب- الطبقة الوسطى:

وكان من أولياء هذه الفئة من مارسوا مختلف المهن من زراعة، ورعي، وحرف وصناعة، وتجارة[5]. وفيهم كذلك العلماء والفقهاء والمحدثين[6]، كما كان منهم القضاة والعمال والجباة وغيرهم من موظفي الدولة[7].

أما عن من صنفاه ضمن هذه الطبقة بفضل أملاكه، فهم لم تكن لهم أموال فاحشة حتى نعدهم من الطبقة العليا كما لم يكونوا من المعوزين والفقراء حتى نصنفهم ضمن الطبقة السفلة. فنبدأ بأول أولياء هذه الفئة وهو القطب أبو الحسن علي بن حرزهم (ت 559هـ/1164م) كانت لأبيه أملاك بخولان[8]، رغم هذا « لا يأخذ من الدنيا إلا المهم الضروري، ولو يشاء لكانت تعد له الفرش اللّينة»[9]، وأما الولي أبو محمد

1 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 91، ص 236–237.

2 – نفسه، رقم: 262، ص 434.

3 – ابن الزبير: **صلة الصلة**، مج 3، رقم: 8، ص 7–8.

4 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 26، ص 87–88.

5 – ينظر: مهن الأولياء، ص 159–165.

6 – حول هذه النماذج. ينظر: الاختلاف والصدام الفكري بين الولي والسلطان، الفصل الرابع، ص 192–203.

7 – حول هذه النماذج. ينظر: الولي والسلطان (احتواء وحذر)، الفصل الرابع، ص 177–191.

8 – ابن القاضي: **جذوة الاقتباس**، ق 2، ص 560.

9 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 201، ص 17.

محمد عبد الله بن دبوس كان له جنان بداخل مدينة فاس وبه أغنام[1]، كذلك الولي أبو القاسم عبد الرحمان بن خنوسة كان له جنان سعر غلته في الموسم أكثر من ستين ديناراً[2]، وحتى الولي أبو موسى عيسى الزرهوني، « كان له بموضعه جنان»[3]، أما الولي أبو القاسم عبد الرحمان ابن العجوز، فقد ورث فندقًا مرتين، وكان له « فدانا بباب الجيسة»[4].

ت- الطبقة الدنيا:

لقد استطاع الكثير من الأولياء أن يتحولوا من طريق السوء إلى طريق الولاية، بعد أن أقلعوا عن ذميم الأفعال وسيء الأعمال، بفضل إصلاح نفوسهم وتهذيبها، وبالتالي فقد ساهمت الظاهرة الولائية بصفة عامة في تحويل الكثير من أشرار المجتمع إلى صفوة أخياره.

وهذا ما تؤكده سيرة الولي أبي يعقوب تصولي بن وابوسكَطْ المحاسبي، وهو «من كبار المشايخ من أقران أبي بنور وكان لصاً يقطع الطريق. فسمع رفقه يقولون: أسرعوا لئلا يدركنا تصولي. فقال لهم: أنا تصولي، قد تبت إلى الله فسيروا على مهل فإنكم في أمن مني. ولما تاب تصولي أقبل على الجد والاجتهاد فلحق بالأفراد»[5]، وكذلك الولي أبو وكيل ميمون بن تاميمونت الأسود، وكان في ابتداء أمره سارقا، فتاب إلى الله تعالى، و« لزم الطريق إلى أن لحق بالأفراد»[6].

---

1 - التميمي: **المستفاد**، ق، رقم: 108، ص 208.

2 - نفسه، رقم: 104، ص 205-206.

3 - نفسه، رقم: 38، ص 117

4 - نفسه، رقم: 102، ص 204.

5 - ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 23، ص 131.

6 - نفسه، رقم: 88، ص 234.

أما الولي أبو يحي أبو بكر بن فاخر العبدري (ت 559هـ/1163م)، فقد كان من أهل الغصب والظلم، فندم على سوء فعله وعمله، فتاب و« تجرد من ثيابه وستره أبو ربيع بثوب طرحه عليه وخرج من جميع ما كان عنده وأمر أهله بالخروج عما كان بأيديهم وتصدق بكل ما لم يعلم له مالكا وأمر أهله وأولاده وبناته بالتجرد لما نظر إلى سلك بقي في عنق ابنة له صغيرة فقام حتى أخذه من عنقها وتصدق به»[1].

كما كان من الأولياء من يعد من المعوزين والفقراء، ومن هؤلاء أبو الفضل العباس بن أحمد، كان « لا يملك إلا ما على بدنه، وترك بفاس امرأة وأولاد، تركهم لله»[2]، وكذلك الولي أبو الحجاج يوسف الفرار الذي لا يختلف حاله عن سابقه، فكان « ممن انقطع إلى الله، ليس له هوى، ولا يستوطن موضعا، ولا يملك إلا جبه صوف لا غيرها. وإذا بات بمسجد انتقل إلى غيره ليلة أخرى، ولا يدخر شيئاً»[3].

وهكذا لاحظنا كيف توزع أولياء المغرب على كافة طبقات المجتمع سواء العليا أو الوسطى والدنيا، وهذا عكس ما يقره إبراهيم بوتشتيش القادري في قوله: « إن معظم الأولياء يرجعون إلى أصول فقيرة»[4]، بل يذهب إلى أكثر من ذلك في كتاب آخر له حين يقول: « إن أصحاب الكرامات ينتمون كلهم إلى الشريحة السفلى من الهرم الاجتماعي»[5]. وكأن بوتشيش ينفي النماذج الولائية التي قدمناها سابقاً ضمن الطبقة العليا والوسطى، بل ناقض ما أقر به نفسه في قوله السابق.

---

1 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 53، ص 175.

2 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 25، ص 87.

3 – نفسه، رقم: 56، ص 140–141.

4 – بوتشيش: **المغرب والأندلس**، ص 134.

5 – إبراهيم القادري بوتشيش: **الجوانب الخفية في حركة التصوف وكرامات الأولياء بالمغرب (العصر المرابطي الموحدي نموذجًا)**، ضمن كتابه: **الإسلام السري في المغرب العربي**، ط 1، سينا للنشر، القاهرة، 1995م، ص 134.

ويبدوا أن هذا الباحث اعتمد في حكمه السابق على عدّ الحرفيين والمزارعين والرعاة والمدرسين صيادين ضمن الفئة الفقيرة أو الدنيا، وهذا ما أدى إلى اختلاط الأمر عليه، وهنا يجب أن ننوه إلى ملاحظة مهمة أغفلها حتى بعض دارسي الولاية والتصوف، وهي أنه لا يمكن الجزم حول الأولياء أصحاب المهن بأن أصلهم كان دائما وضيعا أو هامشياً من الناحية المادية، لأن طريق الأولياء ومنهجهم يؤثر الفقر والتقشف طواعية، وينبذ السعي وراء الثراء، كما يسعون دائما إلى احتقار أنفسهم بنعت أنفسهم بالفقراء والحقراء وغيرها، وهكذا لا يمكننا الاعتماد عن المهن والوظائف خاصة عند الأولياء في التصنيف الطبقي.

III- جوانب من الحياة اليومية للأولياء:

بالرغم من تنوع أصول الأولياء وتوزعهم على مختلف طبقات مجتمع المغرب الإسلامي، إلا أن اشتركوا في أسلوب حياتهم الذي تميز بطابع الزهد والتقشف مبتعدين عن الرفاهية والبذخ، وهو ما سنحاول الإحاطة ببعض جوانبه.

1. مهن الأولياء:

إذا كان أغلب الأولياء قد زهدوا في الدنيا وأعرضوا عنها، فإنهم ابتعدوا عن التواكل في كسب قوتهم، واشتغلوا في شتى المجالات لضمان ذلك، كما أعطوا أهمية كبرى للعمل، وأي كان هذا العمل فالمهم عندهم كفاية حاجتهم ولو كان هذا العمل قليل الكسب والمردودية.

أ- في الزراعة والرعي:

قام أولياء المغرب الإسلامي بالعمل في الزراعة والرعي، ومن هؤلاء نجد أبو محمد عبد العزيز بن مُسرى الهسكوري[1]، وأبو زيد عبد الرحمن بن هبة الله المزياني[2]، فكانت لهم أراضي زراعية يعملون بها ويقتاتون منها؛ غير أن هناك صنفا آخر من

1 - ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 197، ص 376.

2 - نفسه، رقم: 222، ص 399-400.

الأولياء من كانت لهم بساتين وأراضي زراعية غير أنهم حرصوا على أن يقوموا بأنفسهم بالعمل فيها من حرث وزرع وحصاد ودرس دون الاستعانة بغيرهم، ومن هؤلاء جلداسن بن إسحاق الركوني (ت 570هـ/1184م) الذي « كان يخدم حائطه بنفسه ولا يخدمه له أحد»[1]، وكذلك الولي أبو محمد خميس بن أبي زرح الرجراجي الأسود، معروف عنه أنه « كان لا يأكل إلا الزرع الذي تناول حرثه بيده وحصاده ودرسه»[2]، حتى أن التادلي روى في شأنه « أنه لما استحق فدانه الحصاد تواصى فتيان القرية على حصاده عنوة دون أن يعلموه. فأقبل أبو محمد وقد رآهم قد حصدوا طائفه من فدانه فقال: كفوا بارك الله فيكم فقالوا له: ما حصدنا إلا طائعين متبرعين، فقال لهم يكفيكم ما حصدتم فعسى أن تجمعوه. فجمعوا ما حصدوه وحازه بموضع واحد. فعزله وتصدق به وكره أن يأكل ما عملوه من غير أجرة»[3].

غير أنه كان هناك من الأولياء من لم يملك أرضا لزراعتها، فكانوا أجراء يعملون عند غيرهم في الزراعة، فمنهم أبو خزر يخلف الأوربي « كان يحرث ببلده بزوج»[4]، وكذلك الولي أبو الحسن على الصنهاجي، كان يستأجر على حراسة البساتين وحصادها[5]، أيضا أبو زيد عبد الرحمان الخراز رغم أنه يعد من أصحاب الحرف. إلا أنه « إذا جاء الصيف خرج للحصاد، يحصد بيده عند من يرضى حاله، ولا يأخذ زائداً على إجازته المعلومة»[6]، وكذلك أبو محمد عبد الله بن موسى الجزولي (ت 580هـ/1184م)، الذي استأجره أحد ملاك الأراضي وقال فيه: « استأجرته وأنا حينئذ

1 – العباس بن إبراهيم: **الإعلام**، ج 3، رقم: 373، ص 101–102.
2 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 14، ص 113.
3 – نفسه، رقم: 14، ص 113.
4 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 33، ص 99.
5 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 106، ص 255–257.
6 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم 53، ص 136.

لا أعرفه. فحصد عندي وظهرت لي بركته في زرعي ولم يزل ينمو كل عام ويضاعف حتى أثريت وامتلأت مخازني بالزرع حتى لم أجد أين أجعله»[1].

أما من اشتغل من الأولياء بالرعي، فيأتي على رأسهم القطب أبو مدين شعيب (ت 594هـ/1198م) الذي عمل راعياً في صغره[2]، ومن أشهرهم كذلك القطب أبو يعزى يلنور (ت 582هـ/1176م)، الذي كان في ابتداء أمره راعياً[3]، وكذلك الولي أبو زكريا يحي بن موسر المليجي، الذي كانت له أبقار يرعاها، فلما هم بالسفر إلى المشرق استأجر لها راعيا يرعاها[4].

وهنا نلاحظ أن أكبر أولياء المغرب الإسلامي اشتغلوا بالرعي ربما إقتداءً بالرسول ﷺ، كما أنهم أنفسهم كانوا قدوة يقتدى بهم كذلك، لأنهم كانوا شديدي الورع التقى، حرصين على أن لا ترعى مواشيهم ودوابهم في أرض الغير، ولنا في ذلك المثل الولي أبو محمد مع الله بن يحي بن يجاتن الزناتي، الذي كانت له بقرة إذا أخذها من داره لترعى جعل على فمها كمامة لكي لا ترعى في أرض غيره، ولما يصل إلى أرضه ينزع الكمامة لترعى، فإذا هم بالرجوع إلى بيته أعاد الكمامة[5]، وكذلك الولي أبو عبد الله الله يلاسيف بن يغْدِيون الرجراجي الذي كانت له حمارة يستعين بها في أشغال أرضه، فكان كثير الحرص على أن لا ترعى من أرض غيره[6].

وهكذا اشتغل الكثير من الأولياء بالزراعة والرعي، وكان على رأسهم أرباب الولاية من أبي مدين وأبي يعزى وغيرهم، لأنهم يعتبرون الزراعة والرعي كمصدر رزق

---

1 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 123، ص 277-278.

2 – ابن القاضي: **جذوة الاقتباس**، رقم: 609، ص 530.

3 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم:77، ص 213-214. الصومعي، **المعزى**، ص 68.

4 – نفسه، رقم: 20، ص 125-128.

5 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 25، ص 132-134.

6 – نفسه، رقم: 181، ص 356-357.

مفضل، عكس بعض الوظـــائف الأخرى خاصة الوظـائـف السلطانيـة التي يتحـرجـون منها وأغلبـهــم يـرفضــها[1]، ومقابـل ذلك أقبل على وظائف أخرى كالحـرف والصناعــات.

ب- الحرف والصناعة والتجارة:

أمتهن الكثير من الأولياء الحرف وأتقنوها وفيهم من لقب بحرفته، ومن هؤلاء ولي لم يذكر التميمي اسمه وهو صاحب كرامات ومكاشفات وكان خياطاً[2] وكذلك أحمد بن عبد الله الصنهاجي الجباب (ت بعد 592هـ/1202م)[3]، وكان الحجاج يوسف الفرار حائكاً[4]، ولقب كذلك أبو العباس أحمد بن عبد العزيز السلالجي الخراز بحرفته الخرازة[5]، وكذلك الشأن عند أبو زيد عبد الرحمان الخراز[6] وكذلك أبو عمران موسى الطراز والذي كان طرازاً[7]، وأبو عمران موسى الحلاج الذي « كان يحلج القطن القطن بفاس»[8]، أما عبد الله مالك بن علي المعروف بالقلانسي نسبة لاشتغاله في صنع القلانس وبيعها[9].

1 – ينظر: الانقباض عن السلطان ورفض المناصب والخطط. ينظر: الفصل الرابع، ص 183–188.

2 – التميمي : **المستفاد**، ق 2، رقم: 51، ص 134.

3 – العباس بن إبراهيم: **الإعلام**، ج 2، رقم: 138، ص 89–90.

4 – التميمي : **المستفاد**، ق 2، رقم: 56، ص 140–142.

5 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 199، ص 377.

6 – التميمي : **المستفاد**، ق 2، رقم: 53، ص 136.

7 – نفسه، رقم: 77، ص 174.

8 – ابن قنفذ: **أنس الفقير**، ص 38.

9 – الطاهر الصدفي: **السر المصون فيما أكرم به المخلصون**، تحقيق وتقديم: حليمة فرحات، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص 76.

وهناك من الأولياء من امتهن العطارة، كالولي أبو عبد الله الصوفي[1]، وأما من امتهن الجزارة فمنهم أبو جَبَل يعلى[2]، كما كان من الأولياء من يمتهن النسخ، كأبو عامر الناسخ الذي « كان يتقوت من نسخه»[3]. وفيهم كذلك من عمل على نقل الزبل كالولي أبي عمر بن عباس الصنهاجي الذي « كان يصيح عند أبواب الديار: من أنقل له الزبل ويعطني ما أمكن»[4].

وكان من الأولياء أيضا من يعمل أحجار الأرحاء، كأبو سعيد عثمان اليِرْصِجي[5]، وفيهم من عرف بصناعة الأطباق، كأبو الحسن علي بن زكريا الأسود[6]. الأسود[6]. ومنهم كذلك من تخصص في صناعة القدور، كأبي ويعزان يبريدن بن وبيدن وبيدن الأيلاني القدار الأسود (ت 610هـ/1213م)، الذي « كان يصنع القدور بيده ويطبخها فيبيعها ويقتات بأثمانها»[7]. وكذلك أبو زكريا بن يحي بن ميمون الصنهاجي الأسود (ت 601هـ/1204م)، الذي كان يصنع من التراب قدوراً يبيعها ليقتات من ثمنها[8].

ومن الحرف الأخرى التي عمل بها الأولياء كذلك، الصباغة ومن بين هؤلاء أبو عبد الله محمد الصباغ[9]، ومنهم من احترف الدباغة، كالولي أبي علي حسن بن علي

---

1 – ولقد شك التادلي في حرفة أبو عبد الله الصوفي حين قال: « وأنا أشك هل كان عطاراً أو خياطاً». ينظر: ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 107، ص 257.

2 – التميمي : **المستفاد**، ق 2، رقم: 86، ص 189.

3 – نفسه، رقم: 60، ص 146–147.

4 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 264، ص 436.

5 – نفسه، رقم: 161، ص 319.

6 – نفسه، رقم: 116، ص 268.

7 – العباس بن إبراهيم: **الإعلام**، ج 10، رقم: 1576، ص 197–198.

8 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 238، ص 414.

9 – نفسه، رقم: 122، ص 275.

علي المطغري المؤذن (ت 603هـ/1206م)، فهذا الأخير « إذا أراد أحد أن يستأجره على دبغ الجلود وغير ذلك، يشترط على مستأجره أن يتوضأ متى أنقض وضوءه وأن يصلي الظهر والعصر في الجماعة»[1].

وهكذا شغل الأولياء العديد من الحرف وأتقنوها، وما يلاحظ على هذه المهن أنها قليلة الربح، ولهذا قصدها الأولياء قصد الكفاف لا الغنى، غير أن هناك من الأولياء من اشتغل بالتجارة، ومن الذين عملوا في التجارة وكانت لهم دكاكين الولي أبو إبراهيم إسحاق بن محمد الهزرجي (ت 581هـ/1185م). كان له دكان يبيع فيه الإسفنج والهريسة، « فإذا أخذ ما يقوم به وبأصحابه أطعم المساكين بقية الإسفنج والهريسة»[2]. والهريسة»[2]. وكذلك أبو يعقوب يوسف بن علي المؤذن (ت 557هـ/1162م)، كان له دكان بالسوق يبيع فيه العطور[3].

أما الأولياء الذين اشتغلوا بالتجارة ولم تكن لهم دكاكين، نذكر منهم أبو جبل يعلى (ت 503هـ/1109) « كان جزاراً بفاس فكان يتورع في البيع والشراء، فلا يشتري اللحم إلا من قوم يعرف طيب مكسبهم ولا يبيع إلا من قوم بأعيانهم يقطع لكل واحد منهم قدر ما يكفيه»[4]. وأيضا أبو القاسم عبد الرحمان الملاّح « كان يبيع الملح بالقرب من منزل سكناه بالأرض دون حانوت... رأس ماله فيما يبيع ستة دراهم، يؤدي منها الكراء في الموضع الذي يسكنه مع أهله، وينفق على عياله وعلى ابنة له،

---

1 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 205، ص 384. العباس بن إبراهيم: **الإعلام**، ج 3، رقم: 389، ص 134-135.

2 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 96، ص 141-142. العباس بن إبراهيم: **الإعلام**، ج 3، رقم: 345، ص 59-60.

3 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 50، ص 167-168.

4 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم 86، ص 189. ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 10، ص 101-102.

ويتصدق»[1]. وكذلك الولي أبو محمد عبد الواحد بن تومرت الأسود، يبيع البازلاء في قفة، كان يرفض اتخاذ دكان يبيع فيه بضاعته بقوله: « إذا أدركني وقت الصلاة توضأت ودخلت المسجد ووضعت قفتي عند سارية وتنقلت ما قدر لي إلى أن تقام صلاة الفريضة فأصلي مع الناس وأنصرف وإذا اتخذت دكانا وحانت الصلاة مررت إلى المسجد يوسوس إلي الشيطان، ويقول لي: لعلك سرق لك شيء فلا يصفو لي خاطري في الصلاة ويوشوش علي بالوسوسة»[2].

ومن خلال النماذج التي عرضناها في مهن الأولياء نستنتج أن غرضهم من العمل لم يكن الكسب والغنى، وتجارتهم كذلك كان غرضها التقوت ولم يكن الربح، وما زاد عن حاجتهم تصدقوا به. غير أننا وجدنا حالة وحيدة شذت عن سلوك الأولياء، وكان صاحبها الولي أبو عبد الله محمد بن الأشقر الذي لم ير حرجاً في طلب الغنى، فقد اشتكى إلى الرسول ﷺ فقره لما رآه في المنام، فأشار عليه بالخروج من سبتة إلى المغرب، فخرج من سبتة إلى القصر، ثم انتقل إلى فاس، وبعدها استقر بأغمات، فأقام بها ثلاثة أعوام يقرئ القرآن، فخرج منها بسبعمائة دينار[3].

2. طعام الأولياء:

كما حرص الأولياء على الكسب الحلال، قاوموا شهوات البطن، وبالغوا في قهر النفس وترويضها، وكان أول شروطهم في الطعام أن يكون حلالاً[4]، وقد حفظت لنا مصادر عن تقشف أولياء فترتنا في الطعام وأنوعه.

1 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 12، ص 64.

2 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 183، ص 359، العباس بن إبراهيم: **الإعلام**، ج 8، رقم: 1311، ص 508-509.

3 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 99، ص 201.

4 – السهروردي: **عوارف المعارف**، ص 342.

وقد أخذنا أبا يعزى يلنور (ت 572هـ/1176م)، كنموذج نستخلص منه أنواع طعام الأولياء وطريقة أكلهم وآدابهم، لأننا وجدنا فيه النموذج المثالي للأولياء في الطعام، وخاصة أنه بنفسه أرجع سبب ولايته إلى الطعام، حين سئل: « بما نلت ما نلت؟ فقال: بإطعام الطعام»[1]، ولهذا وجدنا كتب المناقب اعتنت عناية خاصة وحاولت الإحاطة بجميع جوانب الطعام عند أبي يعزى.

عرف عن أبي يعزى، أنه « كان لا يأكل شيئاً مما يأكله الناس، كان أكله أشياء من الحشيش تعود أكلها»[2]، وكان يقول: « ما أصنع بالطعام ونبات الأرض يغنيني عنه»[3]، وحول هذه النباتات التي كان يجمعها من البرية روى أحمد المريدين قائلاً: « رأيت الشيخ أبا يعزى يجمع له الخبازي فيطبخ ويجفف ويرفع فإذا أراد أن يأكل منه جعله في القدر فيأكل منه لقمة أو لقمتين فيأكلها وهو يزأر كالقاهر لنفسه ويقول لها ليس لك عنده إلا هذا»[4]. ونستخلص من هذا النص رغم أن الولي طعامه من نبات الخبازي وهو طعام الجياع في المساغب، إلا أنه يزجر نفسه حتى أثناء أكل القليل منه، وهذا من سلوك الأولياء مع النفس.

وكان من طعام الولي كذلك « أقراص من دقيق البلوط فكان يجعل معها أوراق اللبلاب[5] ويطحنها. فإذا صلىّ المغرب أخذ قدر نصف رطل من ذلك فيقتات به وما كان يأكل إلا من نبات الأرض ولا يشارك الناس في شيء من معائشهم ويطعم

1 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 77، ص 222.

2 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 2، 32-33.

3 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 77، ص 216.

4 – العباس بن إبراهيم: **الإعلام**، ج 1، رقم: 124، ص 408.

5 – **اللبلاب**: من فصيلة القرنيات (leguminosae) وهو المعروف بالفرنسية d'egypte dolique. وهو اسم « يقع على نبات يتعلق بالشجر ويلتوي عليها وينثني. لكن الأخص بهذا الاسم القربولة». ينظر: التهميش (80) عند: التميمي: **المستفاد**، ق 2، ص 34.

الواصلين إليه العسل ولحم الضأن والدجاج»[1]. وهذا النص يكرس ما ذكرناه سابقا حول تقشف الأولياء في الطعام، كما أنه يضيف لنا الأنواع الفاخرة من الطعام التي تقدم للزوار والضيوف، وهذا ما يجسد كرم الأولياء مع غيرهم، ومن أنواع طعام أبي يعزى كذلك أوراق الدفلة ذات المذاق المر[2] وقلوبها أيضا[3]. أما عن القدرة التي كان يطبخ فيها الطعام كانت « قديرة صغيرة مثل التي تصنع للأطفال الصغار»[4]. وهذا ما يؤكد ما ذكرناه سابقا حول الكمية الصغيرة التي يتناولها الولي. كما عرف أبو يعزى باسم "أبو ونلكوط"[5] نسبة إلى نبات اختص الولي بأكله[6].

وهكذا كرس الأولياء الزهد والتقشف في الطعام[7]، والاكتفاء بقليله، وإيثار غيرهم غيرهم بأحسن الأطعمة على حساب أنفسهم، ورغم هذا التقشف إلا أن الأولياء تعودوا على زجر أنفسهم أثناء الأكل القليل.

3. لباس الأولياء:

احتفظت لنا كتب المناقب والتراجم بأنواع الألبسة التي اختص بها الأولياء، وكان لباسهم أهم مظهر يجسد سلوكهم الصوفي الزهدي[8]، فأبو يعزى كان يلبس «برنس أسود خلق مرقع يصل تحت ركبتيه، وعلى رأسه شاشيه من عزف، وجبة من

---

1 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 77، ص 216.

2 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 02، ص 32.

3 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 77، ص 216.

4 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 02، ص 34.

5 – **ونلكوط:** « وهو بْرَمْرَامْ يأكلونه (كذا) الضعفاء في سنة المجاعة وهو نبات معروف» . ينظر: التهميش (490). ابن الزيات: **التشوف**، ص 217.

6 – العباس بن إبراهيم: **الإعلام**، رقم: 124، ص 409.

7 – لمزيد من التفصيل في طعام الأولياء وكراماتهم في الطعام وآداب الأكل. ينظر: الفصل الخامس، ص 232-240.

8 – جمال أحمد طه: **الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الوسيط (عصري المرابطين والموحدين)**، ط 1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004م، ص 252.

تلِّيس مطرق»[1]، واشتهر أبو يعزى بلباس لبسه مدة طويلة وصار يلقب بـ: « أبو وجرنيل ومعناه بالعربية صاحب الحصير»[2]، أما الولي أبو عبد الله محمد بن موسى الأزكاني لبس « جبة صوف وبوسطه مئزر صوف وبيده سبحة»[3]، كما ارتدى كل من من أبي زكريا الزواوي (ت 611هـ/1214م) وأبي الحسن الحرالي (ت 637 أو 638هـ/ 1239-1240م) طليسان وهو لباس من الصوف[4]. أما أبا علي الحباك (ت ت 613هـ/1216م) لبس مرقعة الفقراء[5]، وكذلك الولية عائشة المنوبية كانت ترتدي ملابس رثة[6]. وأمام هذه النماذج الولائية التي أبرزنا فيها أنواع لباسهم، لا يمكن أن نقول غير أن هؤلاء حقاً جسدوا مسلكهم الزهدي التقشفي في ملبسهم.

قد شذ الغوث أبو مدين عن أغلب الأولياء في لباسه، فكان يتزي « بثياب حسنة رفيعة برائحة المسك والطيب وهو على حالة تشبه الملوك»[7]. لأنه كان يرى أن طريق الولاية يتحقق بأربع: الزهد والعلم والتوكل واليقين لا بالمظهر[8]. وكذلك الولي أبو أبو محمد الخالق الدغوغي الذي عرف بحسن اللباس ويغلب عليه البياض، حتى أنه أجاب شخصا أعاب عليه لباسه، قائلاً: « وماذا علي في لباسها إذا كنت مع الله

---

1 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 02، ص 32-33.

2 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 77، ص 217. العباس بن إبراهيم: **الإعلام**، رقم: 124، ص 409.

3 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 191، ص 367.

4 – الغبريني: **الدراية**، ص 137، 149. زينب ملياني: **التصوف بالمغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف الدكتور: محمد الأمين بلغيث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 1427-1428هـ/2006-2007م، ص 128.

5 – يحي بن خلدون، **بغية الرواد**، رقم: 22، ص 107.

6 – روبار برنشفيك، **تاريخ إفريقيه**، ج 2، ص 344.

7 – ابن قنفذ: **أنس الفقير**، ص 94.

8 – الغبريني: **الدراية**، ص 63.

بقلبي؟»[1]. ورغم أن طابع التقشف في الملبس كان سمة الأولياء، إلا أن هذا لم يمنع بعضهم من لبس الفاخر من اللباس والتعطر وهذا لم ينقص من شأنهم لأنهم حاججوا بأن الولاية في القلب لا في المظهر.

أما عن أهم لباس عند الأولياء فهو الخرقة والذي اعتبره بعضهم « لباس التقوى وهو خير لباس»[2]. يُلْبِسه الولي للمريد ويتصل اللباس بإتصال المصافحة[3]، وأشتهر من ألبس الخرقة بالمغرب الإسلامي خلال فترة دراستنا أبو مدين شعيب لبسها عن الولي عبد القادر الجيلالي (ت 560هـ/1164م) بعرفة[4]، أما طريقة إلباس الخرقة حيث يتقدم المريد بين يدي وليه (شيخه) مستقبلا القبلة، فيسمي شيخه اسم الله عليه ويكسوه إياها، مقابل أن يلتزم المريد بتقوى الله وأن يكون واحد من الفقراء[5]، وهكذا كان كان لباس الأولياء متميزاً عن سائر الألبسة، فكانوا متقشفين، رغم شذوذ البعض منهم الذين تزيوا بأفخر اللباس وتطيبوا وتعطروا، إلا أن جميعهم أجمع حول الخرقة فلبسوها بسندها[6]، واعتبروها لباس التقوى.

4. مساكن الأولياء:

كما عهدنا الأولياء متقشفين في المأكل والملبس، كذلك الحال عندهم في المسكن، فلم يسعوا لامتلاك أفخم المنازل بل زهدوا فيها، فهذا أبو ربيع التلمساني كان

---

1 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 78، ص 222.

2 – محي الدين بن عربي: **رسالة نسبة الخرقة**، ضمن كتاب **لبس الخرقة في السلوك الصوفي**، ضبطها وصححها وعلق عليها: عاصم إبراهيم الكيالي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1429هـ/ 2008م، ص 10.

3 – المقري: **نفح الطيب**، ج 5، ص 241–242.

4 – نفسه، ج 7، ص 138. التنبكي: **نيل الابتهاج**، ص 195.

5 – جمال أحمد طه: **الحياة الاجتماعية**، ص 255. زينب ملياني: **التصوف بالمغرب الإسلامي**، ص 130.

6 – حول الخرقة وسندها. ينظر: ص 131–132.

لزوجته بيت في تلمسان واشترى به دويرة[1]، وجدنا في كتب التراجم استعمال كلمة دويرة وهي تصغير لحجم البيت الذي يعيش به الولي. وعن بيوت الأولياء يصف لنا التميمي بيت الولي أبي ربيع سليمان حين قال: « كان يسكن في خيمة صغيرة من قصب ابتناها في رحبة الحوت تحت سقف»[2]، كما يضيف لنا التميمي في موضع آخر أثاث منزل أحد أكابر الأولياء المغرب وهو علي بن حرزهم ، فيقول: « كان في وسط البيت حصر لا غير، وفي ناحية منه سجادة، وعليها حصير حلفاء، وفوق الحصير عباءة خشنة جداً كان ينام عليها»[3]

وآثر الأولياء أن تكون دورهم مجاورة للمساجد، بل فيهم من سكن المساجد، فأبو يوسف الدهماني (ت 621هـ/1224م) سكن إحدى مساجد إفريقيه[4]. كما سكن بعض الأولياء الرابطات فهذا الولي أبو زكريا يحي بن ميمون (ت 601هـ/1204م) قال: « اعتكف عندي أبو العباس التوزري برابطة أَنْبَدور خارج مدينة سجلماسة»[5]. وما وما نستخلصه من هذا القول أن أبا زكريا كان مقر سكناه الدائم هذه الرابطة وكذلك الولي أبو العباس التوزري (ت 610هـ/1213م) سكن عند أبو زكريا في رابطته، أما الربط[6] فقد سكنها كذلك الأولياء كأبي يوسف الدهماني (ت 621هـ/1224م)، وقد ذكر ذلك الدباغ في ترجمته للولي فقال: « سكن أبو يوسف في رباط شقانس

1 – أبو القاسم محمد الحفناوي: **تعريف الخلق برجال السلف**، ج 2، د ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، المكتبة العتيقة، تونس، 1405هـ/1985م، ص 178.

2 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 79، ص 176.

3 – نفسه، رقم: 01، ص 17.

4 – التجاني: **الرحلة**، ص 56.

5 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 235، ص 412.

6 – لمزيد من التفصيل في الربط وجميع ما تعلق بها من تعريف وانتشارها وأدوارها وجميع جوانبها. ينظر: محمد الأمين بلغيث: **الربط بالمغرب الإسلامي**. ناجي جلول: **الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط**، ط 1، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1999م.

بالقيروان»[1]، وهكذا سكن الأولياء دور متواضعة جسدت سلوكهم الزهدي، كما سكنوا كذلك أماكن تعد ضمن المؤسسات الصوفية من مساجد والرابطات والأربطة[2] وغيرها، كما أنهم سكنوا القفار والمغارات والكهوف.

5. حياتهم الأسرية:

رغم منهج الأولياء الزهدي والتقشفي، إلا أن هذا المنهج لم يبعدهم عن الزواج وإنجاب الأبناء، متمسكين بحقهم الشرعي ومبتعدين عن الرهبنة المسيحية التي حاول البعض أن يسقطها دائماً على الأولياء[3]، ومن هؤلاء الأولياء الغوث أبو مدين شعيب الذي بشر من قبل أبي يعزى بأن تهدى إليه جارية حبشية ويرزق منها ولداً، وهو ما حصل إذ رزق منها بولد سماه محمد[4]، بل إن الأولياء تدخلوا بكراماتهم في زيادة البنين وخاصة الذكور، فهذا الولي أبو يوسف الدهماني جاءه مريد يشكوا له عدم إنجاب الذكور رغم أنه له أربع بنات، فبشره الولي بأنه « سيولد لك ولد ثم ثاني وسكت ساعة ثم قال وثالث ! فولد لي حسن ومحمد وبعد ذلك ولد لي ولد عاش أياما ومات»[5].

كما أن الأولياء كانوا يرون أن الزواج مُذْهِبٌ للفقر، حيث أن أبا العباس السبتي أتاه شخص يشكو الفقر فأمره بالزواج ثانية فزاد فقره، ثم أمره بزيجة ثالثة فساء الحال، فأشار عليه بالرابعة فحسن حاله واغتنى رغم أن زوجاته الأربع فقيرات[6]، غير أن هناك هناك القلة من اعتبر « النساء أضر شيء على الرجل فإنهن حبائل الشيطان فالسلامة

---

1 – الدباغ: **معالم الإيمان**، ج 3، ص 224.

2 – حول الفرق بين الرابطة والرباط. ينظر: نللي سلامة العامري: **الولاية والمجتمع**، ص 98.

3 – إن القارئ لكتاب "الولاية والمجتمع" للعامري يلاحظ أن صاحبة الكتاب وكأنها تقر أن تجربة الولاية المغاربية كأنها استنساخ للرهبنة اللمسيحية، كما تعمد في تحليل النصوص والأفكار وغيرها على فيبر (M.WEBER)، وعلى فوشي (A. Vauchez)، . ينظر: نللي سلامة العامري: **الولاية والمجتمع**.

4 – ابن الزيات: **التشوف**، ص 328.

5 – الدباغ: **معالم الإيمان**، ج 3، رقم: 327، ص 213.

6 – العباس بن إبراهيم: **الإعلام**، ج 1، رقم: 87، ص 259.

في الابتعاد عنهن»[1]. ومن الأولياء من لم يتزوج طيلة حياته، كأبي زكريا يحي بن محمد الجراوي[2]، أبو محمد عبد السلام بن أبي عبد الله محمد بن أمغار[3]، وهكذا آثرت قلة من الأولياء حياة العزوبية، وما يجب أن ننوه إليه ربما كانوا مجبرين أمام العوز وعدم الاستطاعة على الزواج والنفقة، أو ربما كانوا يريدون الخلوة والسكينة للعبادة، والمهم هنا أنه لم يمنعهم من الزواج النظرة السلبية للمرأة على أنها منبع الشر بل إن الظروف هي من جعلتهم لا يتزوجون.

وما يدعم رأينا الأخير ويؤكد اهتمام الأولياء بالنفقة على زوجاتهم وأبنائهم، فهذا أحد الأولياء كان ينفق على زوجته وأبناءه من أجرته التي يأخذها مقابل تعليمه للصبيان إضافة إلى عائدات بيعه للقلانس التي كان يصنعها[4]. وكذلك عبد الحق بن عبد الرحمان الاشبيلي (ت 582هـ/1186م) كان يعطي لوصيفة بيته أضعاف ما تحتاجه لقضاء حوائج منزله[5]، بل اهتم الأولياء حتى بالكماليات فالولي ابن حرزهم، كان مهموماً وباله شاردا حول طلب زوجته بأن يشتري لها كسوة لحضور عرس أخيها، إلى أن فرج الله عليه بإحضارها[6]، والأكثر من ذلك أن الأولياء تحملوا مسؤولياتهم اتجاه اتجاه أبنائهم بعد وفاة زوجاتهم، ولنا مثال في أبي عمران الهسكوري الذي تحمل مسؤولية ابنه بعد وفاة زوجته بأن أرضعه من ثديه وهي كرامة من كرامته[7].

1 – عبد الله بن عبد القادر التليدي: **المطرب لمشاهير أولياء المغرب**، ط 4، دار الأمان، الرباط، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1424هـ/2003م، ص 59.

2 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 26، ص 135–136.

3 – نفسه، رقم: 87، ص 233.

4 – الصدفي: **السر المصون**، ص 76.

5 – الغبريني: **الدراية**، ص 74–75.

6 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم : 51، ص 173.

7 – نفسه، رقم: 175، ص 344.

وهكذا تزوج الأولياء وكان لهم بنين، محافظين على حقهم الشرعي الذي كفله لهم الإسلام، مبتعدين عن الرهبنة، كما اهتموا بشؤون بيتهم من نفقة وغيرها، إلا أن بعضهم لم يتزوج وكتب التراجم والمناقب لم توضح لنا أسباب عزوفهم والظروف القاهرة التي حرمتهم من ذلك.

6. وفاتهم وقبورهم:

لقد كان الأولياء دائما واضعين الموت نصب أعينهم وفي قلوبهم، فهذا الولي أبو عبد الله محمد بن أمغار « كانت الآخرة بين عينه، لو قيل له القيامة غداً ما زاد على ما هو فيه من العبادة»[1]. وكذلك أبو الحجاج يوسف الجزولي الذي « حفر قبره في بيته، يجلس بإزائه ليتذكر الموت»[2].

وكان الأولياء دائما يدعون ربهم أن يقبضوا يوم الجمعة، فعلي بن محمد بن علي بن هذيل (ت 564هـ/1169م) « كان لا يسمع منه كلام في أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس إلا أن ينادي الله سائلاً منه قبضه يوم الجمعة، فإذا جاوزه رؤي يوم السبت أسفا سيء الحال نكد البال، فيستمر أمره كذلك إلى انقضاء يوم الاثنين، فإذا كان يوم الثلاثاء ظهر عليه السرور والابتهاج لطعمه في الموت يوم الجمعة»[3]، فكان له ما دعا، والكثير من تراجم الأولياء تؤرخ لوفاتهم بيوم الجمعة، كالولي أبو زكريا يحي بن علي الزواوي، مات « يوم الجمعة منتصف رمضان عام أحد عشر وستمائة»[4]، وإذ كان يوم الجمعة هو المفضل عند الأولياء في الموت، فرمضان كذلك هو شهر

---

1 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 49، ص 133.

2 – نفسه، رقم: 43، ص 122.

3 – ابن عبد المالك: **الذيل والتكملة**، س 5، ق 1، ص 381.

4 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم : 256، ص 428.

مرغوب فيه، ونجد كذلك تراجم الأولياء مليئة بمن ماتوا في رمضان، كالولي أبو علي منصور بن عبد الرحمان السَايُوِيّ الذي توفي في رمضان عام 597هـ/ 1202م[1].

كما تنبأ الكثير من الأولياء بقرب وفاتهم، ولنا مثال في ذلك القطب أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي التجيبي (ت637 أو 638هـ /1239 أو 1240م) الذي قال فيه الغبريني: « توجه إلى الشام ولم يصحب معه ولد ولا أحد من أصحابه إلا زوجته خاصة وذلك والله أعلم لما علم أنه يموت هناك ... فلما كان ليلة الثاني من شعبان دعا خواص أصحابه وأمرهم أن يحضروا عنده وأن يوقدوا الشمع ويؤنسوه بقراءة القرآن ففعلوا ذلك وأمرهم أن يأتوه بكفن على وفق السنة فأتوه به فأمرهم أن يحفروا قبره في موضع اختاره ثم قال لهم إذا أذن العصر أموت... فلما كان عند العصر سأل أصحابه هل حان الوقت فقالوا هذا المؤذن يؤذن العصر فلما كان آخر الأذان توفي وكان قال لهم لا يحملني إلا الفقراء ولا تخبروا بي أحد حتى أجعل على الألواح»[2]. هذا النص يوضح أن الولي علم بأجله، كما أن نص الغبريني نقل لنا صورة عن موت الولي كيف اجتمع أصحابه ومريدوه، كما أنه تطرق إلى نقطة مهمة وهي الوصية فأغلب الأولياء أوصوا قبل موتهم حول مكان الدفن ومن يحملهم، ولم نجد في أي ترجمة لولي أنه أوصى بشيء يتعلق بالدنيا.

والأولياء بعد وفاتهم لا يزالون يتمتعون بمكانتهم ومحبتهم وأهميتهم عند الناس، وقد حملت العديد من الأماكن التي قبر بها الأولياء اسمهم، فضريح عبد السلام التونسي موجود بضواحي تلمسان « بالعباد في الرابطة المعروفة برابطة التونسي»[3]، أما « ضريح سيدي إسحاق» فيعرف باسمه وهو « رابطة أبي إسحاق»[4]، أما الولي

1 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 145، ص 301.

2 – الغبريني: **الدراية**، ص 155.

3 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 13، ص 110.

4 – نفسه، رقم: 149، ص 305؛ الهامش (803).

أبو يعقوب يوسف بن علي المُبْتَلي (ت 593هـ/1197م) « مدفنه معروف خارج سور مراكش في الحي الذي يحصل اسمه»[1]. وكذلك أبو عبد الله الشوذي الحلوي دفن شمال مدينة تلمسان، وصار يعرف الباب الشمالي للمدينة باسم باب سيدي الحلوي[2]، كما دفنت الولية للاّ المنوبية (ت 665هـ/1267م) في أعلى نقطة من الربوة المشرفة على تونس من الناحية الجنوبية الغربية، هذا المكان يعرف بالمنوبية[3].

وهكذا مثّل الموت للولي حدثا جللاً كرسوا حياتهم كلها لأجله واجتهدوا بالأعمال والمجاهدات استعداداً له، وكان يوم الجمعة يومهم المفضل للموت، كما كان شهر رمضان الشهر المفضل لذلك أيضا، ومن الأولياء من تنبأ بمكان وزمان وفاته، كما أن قبورهم تصبح مزاراً بعد وفاتهم، وأخذت أضرحتهم أهمية بالغة حتى صارت تسمى مواقعها باسمهم وهكذا الولي لا يفقد أهميته بموته[4]، لأنه لا يفقد كراماته كذلك بوفاته.

1 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 156، ص 312؛ الهامش (827).

2 – عبد العزيز فيلالي: **تلمسان في العهد الزياني**، ج 1، د ط ، موفم للنشر، الجزائر، 2007م، ص 112.

3 – برنشفيك: **تاريخ إفريقية**، ج 1، ص 344–345.

4 – لمزيد من التفصيل حول جنائز الأولياء والتبرك بهم بعد موتهم. ينظر: الفصل الرابع، ص 229–232.

الفصـــــل الرابـع

الأولياء والسلطة

I- الــولي والسلطان (احتواء وحذر)

1. احتواء السلطان للولي
2. الانقباض عـــن السلطـان
3. رفض المناصب والخطط
4. البعد عن أموال السلطـان

II- الولي والسلطان (صدام وإشخاص وثورة)

1. الاختلاف والصدام الفكري بين الولي والسلطان
2. الولي والسلطان بين التوتر والإشخاص
3. ثورة الولي ضد السلطان

إن الحديث عن العلاقة بين الأولياء والسلاطين، يحيلنا إلى التحدث عن فئتين متناقضتين من المجتمع، فالأولى أصحابها يرون أنفسهم أنهم طلاب آخرة، وينظرون إلى أصحاب الفئة الثانية على أنهم طلاب دنيا، وكان منطلقهم في هذا الحكم من مبادئ التصوف من جهة، وشؤون الحكم ومصالحه من جهة أخرى. هذا التناقض الذي انعكس بطبيعة الحال على طبيعة العلاقة بينهما، وخاصة أننا أمام فئتين من المجتمع، أولياء أصاحب تيار فكري سلوكي يعتبر الحياة الدنيا طريقاً لدار الآخرة، وسلاطين أصحاب ملك يحاولون بشتى الطرق الحفاظ عليه.

إلا أننا وجدنا أن العلاقة بين هاتين الفئتين تنوعت وتعددت، بين الود والبغض، وبين التسامح والصدام، وبين إجزال العطايا والإشخاص، وبين الانفتاح والانقباض، وهذا التنوع في طبيعة العلاقة كان انعكاساً لاختلافهما في المبادئ الحياتية، ونتيجة لظروف ظرفية لكل منهما.

I- الــولي والسلطان (احتواء وحذر):

1. احتواء السلطان للولي :

من خلال قراءة تراجم بعض الأمراء المرابطين والخلفاء الموحدين، وجدنا أن علاقتهم بالأولياء كانت حسنة، بل إن بعضا من المصادر ذهبوا إلى أكثر من ذلك وجعلوا هؤلاء السلاطين قريبين من التيار الصوفي.

فالمراكشي قال عن الأمير علي بن يوسف بن تاشفين « وكان إلى أن يعد من الزهاد والمتبتلين أقرب منه إلى أن يعد في الملوك والمتغلبين»[1]. وكما نسب ابن عذارى صراحة الأمير تاشفين بن علي إلى طريق التصوف، حين قال: « وكان يسلك طريق ناموس الشريعة ويميل إلى طريقة المستقيمين وقراءة كتب المريدين»[2] .

1 – المراكشي: **المعجب**، ص235.

2 – ابن عذارى: **البيان**، ج 4، ص79.

وقد زار علي بن يوسف الشيخين الصالحين عبد الجليل بن ويحلان[1]، وأبا محمد عبد الله المليجي[2]، وبعث لكل واحد منهما بألف دينار رفضها المليجي وردها إليه، أما الآخر أخذ المال وتصدق به على المحتاجين[3].

كما وفد العالم الناسك أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبى الضرير[4] تلميذ الإمام المرادي في العقائد على أمير المسلمين علي فبعث إليه بمال وفير، وخرج من مراكش فلم يصل أغمات حتى فرق هذا المال على المساكين[5].

كما خرج الأمير كذلك لزيارة الزاهد أبي محمد الأمان ابن يلارزج الهسكوري الأسود (ت 540هـ/1145م)، فلم يرد الهسكوري أن يدخل إليه، فخرج إليه في داره، ولقيه في الفحص وقعد معه ساعة ثم افترقا[6].

كذلك تاشفين رغم انشغاله بحرب الموحدين إلا أنه في سنة 539هـ/1144م خرج من مراكش إلى وهران في تعقب عبد المؤمن بن علي وحين وصوله إلى بلاد تادلا عرج على الرجل الصالح أبي زكريا يحي بن محمد الجراوي وقام بزيارته[7]. بل شمل أيضا عمالهم.

---

1 – إمام من أهل العلم والعمل، اشترك في صحبته مع أبي يعزي، توفي بأغمات سنة 541هـ/1146م. ينظر: ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 34، ص 146. الصومعي: **المعزى**، ص 78.

2 – أصله من رجراجة سكن أغمات ووريكة وبها توفي عام 540هـ/1145م، وهو من أكبر الصلاح. ينظر: ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 33، ص 145.

3 – نفسه. العباس بن إبراهيم: **الإعلام**، ج 8، رقم: 1147، ص 191.

4 – أصله من سرقسطة، سكن مراكش وبها توفي عام 520هـ/1125م. ابن بشكوال: **الصلة**، مج 2، رقم: 1439، ص 314. أحمد بن يحي بن أحمد القرطبي بن عميرة الضبي: **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ج 2، ط 1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ/1989م، رقم: 1452، ص 663.

5 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 11، ص 106. العباس بن إبراهيم: **الإعلام**، ج 10، رقم: 1628، ص 309.

6 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 37، ص152.

7 – نفسه، رقم: 26، ص137–138.

ولم تقتصر الزيارات فقط على الحكام، نجد مثلا أن حاكم تلمسان الأمير مزدلي بن تلكان جاء ذات يوم عند الشيخ عبد السلام التونسي نزيل تلمسان ودفينها، وكان يعمل في أرضه « فقال له عبد السلام : ما تطلب عندي وأنا فقير وأنت أمير؟ فقال له: جئت لأتبرك بك وآكل من طعامك».[1]

ولم يحد الموحدون عن هذا السلوك، فنجد عبد المومن بن علي رغم أن فترته عرفت بسياسته القمعية الاحترازية تجاه الأولياء والمريدين[2]. إلا أن المؤرخ الموحدي ابن صاحب الصلاة تحدث عن الوفود التي قصدت الخليفة سنة 555هـ/1160م، وهو بجبل طارق أجزل لهم العطايا والهدايا وكان منهم « الفقهاء والكبراء، والموحدين والأولياء الطهراء»[3].

أما ابنه يوسف بن عبد المومن، فاتصل بالقطب الولي أبي داود مزاحم (ت 578هـ/1182م) من حوز مزمة، لمعالجته من داء البرص الذي عجز الأطباء عنه فشفي الأمير بريق الولي[4]. وكذلك كان للولي أبي العباس السبتي مكانة رفيعة عند الخليفة يوسف، خاصة بعدما ذكرت لنا الرواية أن الخليفة عندما استدعاه وأمر أن يقرأ كتاب الاتهام له بالزندقة وحرر هذا الكتاب الفقهاء، هنا حدثت كرامة للشيخ فقرأ كل قبيح بضده « مثل الزنديق رجع صديق، والطالح صالح، ووجدوا فيه خيرًا ما لا يصفه واصف»[5].

---

1 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 13، ص 110-111.

2 – محمد الشريف: **التصوف والسلطة بالمغرب الموحدي (القرنان 6-7هـ/12-13م)**، ط 1، طوب بريس، الرباط، 2004م، ص 31-40.

3 – ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، ص 110.

4 – البادسي: **المقصد الشريف**، ص 53-54.

5 – العباس بن إبراهيم : **الإعلام**، ج 1، ص 287.

ولم تقتصر العلاقة على الخلفاء بل تعدت إلى الأبناء، فنجد العزفي صاحب كتاب " دعامة اليقين " يضم أبناء الخليفة يوسف بن عبد المؤمن إلى المتصوفة، فقال في أبي محمد عبد الواحد وأخيه أبي عبد الله « السيد الماجد [السري] الفاضل أبو محمد عبد الواحد ابن سيدنا أمير المؤمنين أبي يعقوب عن أخيه السيد السني الماجد الفاضل الزاهد أبي عبد الله»[1]، أما أخوهما أبو إبراهيم فوصفه: « السيد الماجد الفاضل السري الحسن المشاركة في علم الباطن والظاهر»[2].

أما الخليفة المنصور فكان أكثر خلفاء الموحدين تقربا إلى الأولياء قبل جوازه الثاني إلى الأندلس سنة 592هـ/1195م كتب « إلى جميع البلاد بالبحث عن الصالحين والمنتمين إلى الخير وحَمْلهم إليه»[3]. وربما هذا العمل كان ظرفيًا وخاصة أن الخليفة متوجهًا إلى الأندلس بغرض جهاد النصارى، وأراد أن يستغل هذه الفئة في حروبه، وخاصة أنه عند رجوعه أعطى لهم أموالا طائلة كاعتراف ضمني بمساهمة الأولياء والصالحين في موقعة الأرك « فقبل منهم من رأَى القبول ورَدَّ من رأى الردّ»[4]. وهنا يمكننا القول أن علاقة المنصور بالأولياء خاصة والتيار الصوفي عامة ربما كانت نفعية لاستغلالهم في الحروب.

غير أننا وجدنا أن علاقة المنصور ببعض الأولياء، كانت أقوى وأمتن من أن تكون علاقة نفعية ظرفية، فمثلا الولي الصالح أبو العباس السبتي، بعد أن سمع الخليفة بكراماته حين استقر بجبل جليز المحاذي لمراكش سنة 540هـ/1164م.

1 – العزفي: **دعامة اليقين**، ص 48-49.

2 – نفسه، ص 49.

3 – المراكشي: **المعجب**، ص 363.

4 – نفسه.

«أدخله الأمير المدينة وحبس عليه مدرسة للعلم والتدريس ودارًا للسكنى»[1]، ولا تتوقف النصوص المنقبية عند هذا الحد بل تتحدث عن تذلل السلطان للولي، وترفع مكانة الولي عن السلطان، فنجد مثلا قول العباس بن ابراهيم « فسلم يعقوب نفسه له وانزل نفسه منزلة خادم وفتح له على يده وترك الملك وسلمه لإبنه واستعمل مع الشيخ وثبت قدمه في الولاية ببركة الشيخ أبي العباس وإشارة الشيخ أبي مدين»[2].

وبهذا صار ارتباط المنصور وثيقًا بطريق الأولياء، حتى أن الكثير من المصادر ذهبت إلى التحدث عن زهد وسياحة الخليفة في الأرض بإسهاب ومنهم ابن عذارى الذي قال: « وكذب الكافة من العامة بوفاته وصارت تصرخ حيث سارت بحياته، فآونة يجعلونه مرابطًا ببلاد الأندلس على استكتام، وتارة يثبتونه حاجًا إلى بيت الله الحرام، تمسكًا بحبه....»[3]، وكأن القائل هنا يروي لنا الحدث ويُضَمن التشكيك فيه. إلا أنه يتبع قوله بـ: « أخبرني بعض المشارقة في بلادهم أن قبر المنصور ملك المغرب في بلاد الشام»[4]. كما أن المؤرخ المشرقي ابن خلكان يثبت أقوال ابن عذارى ويزيدها تفصيلا في مكان إقبار المنصور حين قال: « حكى لي جمع كثير بدمشق ... أن بالقرب من المجدل، البليدة التي من أعمال البقاع العزيزي، قرية يقال لها حَمّارة، وإلى جانبها مشهد يعرف بقبر الأمير يعقوب ملك المغرب، وكل أهل النواحي متفقون على ذلك وليس عندهم فيه خلاف»[5].

1 – العباس بن إبراهيم: **الإعلام**، ج 1، ص 262. غير أن العباس في كتاب آخر له ذكر قائلا: « أنه حبس عليه زاوية للفقراء، ورباطا ومدرسة». ينظر: العباس بن إبراهيم: **إظهار الكمال في تتميم مناقب سبعة رجال**، تحقيق: أحمد متفكر، ج 1، ط 1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1431هـ/2010م، ص 274.

2 – العباس بن إبراهيم: **الإعلام**، ج 1، ص 277.

3 – ابن عذارى: **البيان الموحدي**، ص 234–235.

4 – نفسه، ص 235.

5 – ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج 7، ص 10.

وسبب تنويه المنصور ندمه على قتل أخيه وعمه حين رأى رؤيا عاتبه فيها أبيه، « وفي ذلك اليوم بعث عجائز كن عنده صالحات مقربات إلى أم أخيه وأم عمه – وقيل إلى زوجة عمه – ..... بالاعتذار ..... – وذكروا والله أعلم – أنه من وقت تلك الرؤيا التي رآها المنصور قام بنفسه أن يختلع عن الملك ويبقي يعبد الله حتى يموت فقدم ابنه الناصر وأوصى وصاياه وغاب وأخبر الناس بموته والله أعلم بحقيقة أمره»[1]. غير أن ابن عذارى المؤرخ المغربي القريب من الأحداث في ختام حديثه عن المنصور فنَّد هذه الرواية من أصلها في قوله: « لا ريب ولا اختلاف أن المنصور رحمه الله، كان رجلاً صالحًا عالمًا فاضلاً وثبت عند قرابته وأهل بيته أن قبره بتينمل»[2]. وبهذا نستطيع القول أن الخليفة المنصور كان سلوكه قريبًا إلى الزهد وربما قلبه محبًا للأولياء خاصة إذا علمنا أن المنصور حين حضرته الموت، عهد أن يتولى غسله العالم الزاهد الصالح أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يلبخت (ت 607هـ/1210م) تبركًا به[3].

من خلال ما سبق لاحظنا أن كل من السلطة المرابطية أو الموحدية، كان سلوكهما اتجاه الأولياء ومكانتهم الاجتماعية هادئًا مرنًا سلميًا، وبهذا حاولتا احتواء هذا الأخير أن صح التعبير، وهذا ما يؤكده لنا استشعار السلطة لمكانة الولي التي تنامت وزادت لدى المجتمع، بل بلغت حد تأثر السلطان نفسه في الكثير من الأحيان بالولي وهذا ما تجلّى في شخص المنصور.

غير أننا نتساءل كيف كان رد الأولياء اتجاه سياسة الاحتواء التي انتهجها الحكام؟ وكيف نظر الولي إلى السلطان؟.

1 – ابن عذارى: **البيان الموحدي**، ص 233.

2 – نفسه، ص 235.

3 – ابن عبد الملك: **الذيل والتكملة**، س 8، ص 251.

كان موقف الأولياء اتجاه من اعتبروهم أهل الدنيا متحفظًا أقرب إلى أهل الدنيا، وكان نسبهم في ذلك فقهيًا بحتًا، وجسدوا سلوكهم الزهدي، وتجلى هذا السلوك في مظاهر عدة، أهمها:

2. الانقباض عـــــن السلطــان :

لقد حفظت لنا كتب التراجم والمناقب الكثير من حالات الانقباض[1] للأولياء اتجاه السلاطين المرابطين والموحدين، فذكر لنا صاحب كتاب التشوف أن ابن العريف كان يريد أن لا يعرفه السلطان حين قال: « كنت أريد أن لا يعرفني السلطان وقد عرفني الآن فلا بد من رؤيته»[2]. أما أبو محمد عبد الجليل بن ويحْلاَنْ طلبه السلطان للقائه فرفض بحجة المرض[3].

وكما رغب المنصور أن يكون من طلبة مجلس العالم الزاهد محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي (ت 596هـ/1199م) المعروف بابن الكتاني صاحب كتاب "المستفاد " غير أنه رفض[4]، ومع ذلك شهد الخليفة جنازته[5]. وكذلك الزاهد يحي بن عبد الرحمان بن عبد المنعم بن عبد الله القيسي (ت 608هـ/1211م) لم يرفض مقابلة الوالي الأمير أبي إبراهيم إسحاق بن أبي يعقوب بن عبد المؤمن، غير أنه اشترط أن لا يكون لقاءهما إلا « بموضع خارج البلد خامل لا يؤبه له ولا يفطن

1 – يتكرر كثيرا عند كتاب التراجم مصطلح " منقبض أو " من أهل الانقباض " للدلالة على توصيف الشخص بالزهد أو التقوى، كما يضيفون من حين لآخر بعض التوضيح مثل انقبض عن الناس، أو " لزم البيت والمسجد "، وفي جميع هذه الحالات يدل هذا الوصف أو ما شابهه مثل: رفض الدنيا، على موقف العزلة والتقوى، بالإضافة إلى الأوصاف الحميدة الأخرى التصدق والإيثار وغيرهم.... ينظر: منويلا مرين: **الزهاد والصوفية والسلطة في الأندلس،** تعريب: مصطفى بنسباع، ط 1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2010م، ص 127.

2– ابن الزيات: **التشوف،** رقم: 18، ص 120.

3– نفسه، رقم: 34، ص 149.

4 – ابن عبد الملك: **الذيل والتكملة،** س 8، رقم: 125، ص 332.

5 – ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب،** ص 270. محمد الفاسي: **ابن الكتاني الفندلاوي،** ص 3.

لتلاقينا فيه»[1]. وهناك أيضا الصالح الزاهد أبو الحسن نجا بن عبد الأموي (ت 590هـ/1193م)، كان يكره أن يكثر قاضي مدينة سلا أبو الحسن علي بن الحسين الصديني زيارته، فأرسل إليه من يقول: « أريد أن لا تأتيني ولا نأتيك وادع لي وأنت في موضعك وأدعو لك وأنا في موضعي. فإن مثلنا كرجل حصل في المرحاض فإن جاء من يريد أن يخرجه تلوث معه وان تركه وحده كان أحسن له» [2]. وهنا لاحظنا أن رجال التصوف تحاشوا إلى جانب الأمراء والخلفاء عمالهم سواءً كانوا ولاة أو قضاة أو فقهاء ودافعهم ذلك حسب ابن عبد الملك « بعدًا من التظاهر ومرارًا من ملابسة أبناء الدنيا»[3].

وبلغ تشدد البعض في محاشات السلطان[4] إلى الفرار، فهذا الصالح أبو عبد بن محمد ابن شعيب الجذامي (ت 604هـ/1207م)، رغم أنه رأى في نومه لا في يقظته أنه يتصل بالملك، « فخاف من هذه الرؤيا وكان الملك متوجها من افريقية إلى مراكش. فعبر من فاس إلى الجزيرة الخضراء»[5]. كما أن أبا أحمد بن يلاَرْزْج

---

1 – ابن عبد الملك : **الذيل والتكملة**، س 8، رقم: 195، ص 411.

2 – ابن الزيات : **التشوف**، رقم: 182، ص 358.

3 – ابن عبد الملك: **الذيل والتكملة**، س 8، ص 410–411.

4– لم تقتصر محاشات بعض الأولياء للحكام فقط، فقد عمد بعض منهم إلى اعتزال الناس والانعزال عنهم إما في منازلهم أو في زوايا المساجد أو في الجبال والكهوف والمغارات، وعرفهم البعض بأصحاب الخلوة والإقطاع، ومن هؤلاء ذكر الطاهر الصدفي أبو عبد الله محمد بن يحي المصالي (عاش خلال القرن 6هـ/12م) الذي انقطع عن الناس ولم يمك يُرى إلا أيام الجمعة والأعياد، كما أنه كان في بعض الأحيان يتردد على القطب أبي يعزى. الصدفي: **السر المصون**، ص 64–65. زينب ملياني: **التصوف بالغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف الدكتور: محمد الأمين بلغيث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 1427–1428هـ/2006–2007م، ص 81–83.

5 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 221، ص 398.

الهسكوري الأسود، قال بعظمة لسانه عن لقاءه بالأمير علي بن يوسف بن تاشفين: «كانت لي أحوال افتقدتها يوم اجتماعي بالسلطان وحديثي معه»[1].

غير أنه عرف بعض الصلاح والأولياء بعلاقتهم بالسلطان، فمثلا كان أبو موسى عيسى بن عبد العزيز يلبخت (ت 607هـ/1210م) حظيًا عند المنصور وابنه الناصر ملتزمًا بمجالسهم ومصاحبًا لهم في أسفارهم إلاّ أن ابن عبد الملك علّل ذلك بقوله: « أبو موسى رحمه الله لم يتلبس من الدنيا إلاّ بما يتظاهر به بين أبناءها تقية منه على نفسه، فأما في باطن أمره وخفي حاله فإنه كان على أرفع درجات الزهد والتقلل من الدنيا نفعه الله»[2]. وبهذا يبدوا صاحب كتاب الذيل والتكملة وكأنه يحاول أن يفسر هذا الاتصال أنه تقية لا عن قناعة، وحذا حذوه خاصة أصحاب المناقب في تفسير مثل هذه العلاقات التي جمعت الأولياء بالسلاطين، وكأن العلاقة الحسنة بين أبناء الآخرة وطلاب الدنيا من المحظور حسبهم.

ومقابل ذلك، تشدد الصوفية مع العلماء والفقهاء من عرفوا بعلاقتهم مع السلاطين، فقد انقطع إمام الطريق بالمغرب أبو عبد الله بن المجاهد (ت 547هـ/1178م)[3]، عن مجلس أبي بكر بن العربي بعد أن لازمه ثلاثة أشهر، وكان دافعه كثرة زيارته للسلطان، فقال متهكمًا وكارهًا لذلك: « كان يدرّس وبغلته عند الباب ينتظر الركوب إلى السلطان»[4]. وهذا يعبر بوضوح عن بغض وكره ابن مجاهد لكل من يكثر التردد عن السلطان، فأما هو فمرة استدعاه السلطان لمجلسه رفقة العلماء، فقدم رجله اليسرى عند الدخول أمام مرأى السلطان وضيوفه، فعلم حينها السلطان أن

1- ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 37، ص 152.

2- ابن عبد الملك: **الذيل والتكملة**، س 8، رقم : 43، ص 252-253.

3- محي الدين ابن عربي الحاتمي: **روح القدس في محاسبة النفس**، تحقيق: عزة حصرية، د ط، مطبعة العلم، دمشق، 1970م، ص 85.

4- ابن عبد الملك: **الذيل والتكملة**، س 5، ق 2، رقم: 1261، ص 666.

ابن مجاهد لا يرغب في لقاءه[1]، كما استدعاه مرة الخليفة أبو يعقوب المنصور، فأجابه غير أنه طلب منه إعفاءه من الرجوع إليه مرة أخرى فوافق الخليفة إرضاء له[2].

وبعد عرضنا لهذه العينات تبين لنا نفور الأولياء وأصحاب الكرامات والعلامات من الحكم وجهازه، وهكذا تحاشوا الحكام وعمالهم انتصارًا لطريقتهم وسلوكهم الزهدي، فأعرضوا عن الدنيا التي يمثلها الحكام لحساب الآخرة التي هي هدفهم ورجاءهم، وهذا ما عبر عنه الشاعر أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن موسى حين أنشد:

رأيتُ الإنقباضَ أجلَّ شيءٍ وأَدعى في الأمورِ السلامهْ

فهذا الخلّقُ سالمهمْ ودعهُمْ فخلطتُهُمْ تعودُ إلى الندامه

ولا تُعْنَى بشْيءٍ غير شيء يقودُ إلى خلاصك في القيامه[3]

3. رفض المناصب والخطط:

أما بالنسبة لشغل المناصب والخطط فسوف نخصص فئة معينة من أصحاب الكراماتِ والعلامات، يشترط فيهم مقدار معين من العلم يؤهلهم للقيام بالقضاء والحسبة والشورى، ولا شك أن الزهاد كانوا أحرص الناس على التمييز بين الحلال والحرام، وخاصة أن من يقوم بخطة من الخطط أكيد سوف ينال أجرًا وهبات من السلطان، وأمام هذا الواقع اختلف موقف الصُلاح بين مؤيد ومعارض بشدة لقبول خطة لدى السلطان.

غير أن أصحاب الكرامات لم يختلفوا في بغض وكره الخطط، فهذا أبو يعقوب يوسف بن علي المؤذن (ت 557هـ/1162م) « أُكرِهَ على ولاية الحسبة ببلد الداي، فدخل على أهله وهو يبكي ويقول: لو أراد الله بي خيرًا ما عرفني أحد، فامتنع من أكل

1 – أحمد بابا التنبكتي: **نيل الإبتهاج**، ص 376-377.

2 – ابن عبد الملك: **الذيل والتمكلة**، س 5، ق 2، رقم: 1261، ص 227.

3 – ابن الزيات: **التشوف**، ص 152. ابن عبد الملك : **الذيل والتكملة**، س 6، رقم: 666، ص 228.

اللحم من السوق إلى أن أعفى من تلك الولاية»[1]. وكذلك أرسل القاضي أبو يوسف حجاج بن يوسف في طلب أبو عبد الملك مروان بن عبد الملك اللّمتوني العابد (ت 571 أو 572هـ/1176 أو 1177م) ليقدمه على خطة الحسبة بمراكش، فقدم إليه غير أنه رفض الخطة وانقطع للعبادة بكهف حفره لنفسه، وبقي على ذلك إلى وفاته[2].

كما طلب أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتي المعروف بابن الفاسي (ت 513هـ/1119م)، لقضاء سبته وولاية خطابتها فامتنع ورفض[3]. ونفس الموقف اتخذه الشيخ أبو عبد الله بن مجاهد فامتنع عن القضاء بشريش[4]. وكذلك الخطيب الصالح عبد الله بن أحمد بن عبد الله ابن وشون الهذلي (ت 529هـ/1134م)[5] رفض قضاء فاس، « فأمر بسجنه وتكبيله وأن يكون سجنه في داره»[6]. وهكذا تعرض بعض ذوى الكرامات والمكاشفات إلى الامتحان بمجرد رفضهم الخطط والمناصب.

وأجبر الصالح الزاهد أبو محمد عبد العزيز بن محمد الباغاني على قضاء أغمات من طرف قاضي القضاة أبو يوسف حجاج بن يوسف التجيبي، « فقدم مراكش واستعفاه. فلم يعفه وقال له: لا بد لك من ولاية القضاء. فقال له عبد العزيز: والله لو نشرت بالمنشار من قرني إلى قدمي ما قبلت هذه الولاية ! فلما رآه قد صمم على ذلك، قال له: قد أعفيتك يا يوسف»[7].

---

1 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم : 50، ص 168.

2– نفسه، رقم : 93، ص 238. ابن القاضي: **جذوة الاقتباس**، رقم : 351، ص 334–335. العباس ابن إبراهيم : **الإعلام**، ج 7، رقم : 971، ص 248–249.

3– القاضي عياض : **الغنية**، رقم : 44، ص 119.

4 – ابن عبد الملك : **الذيل والتكملة**،، س 5، ق 2، رقم، 1261، ص 667.

5 – توفي عام 519هـ/1125م. ينظر: ابن الأحمر: **بيوتات فاس**، ص 41.

6 – ابن القاضي : **جذوة الاقتباس**، رقم: 436، ص 419.

7 – ابن الزيات : **التشوف**، رقم : 72، ص 205.

وكما تخلى الشيخ أبو محمد عبد الله بن عبد الملك البَيَّاتي عن العمل لدى السلطان مقابل سلوك طريق الأولياء، وفي هذا قال صاحب كتاب التشوف: « كان من العمال ثم تاب إلى الله تعالى»[1]. وهنا ابن الزيات أقرن التوبة بالتخلي عن الخطط، وهذا رأي أغلب الأولياء.

بل إن الأولياء كانوا يهنئون غيرهم على عزلهم من خطط، فقاضي فاس أبي محمد بن محمد بن عيسى التادلي لم يكن من أهل التصوف، إلا أن أحد الأولياء كتب له مهنأً على صرفه عن القضاء، ومن بين ما جاء في المكتوب: « فالنازل عنها – يقصد الخطة – هو العالي، والعاطل منها هو الحالي، والمتلو فيها هو التالي، والمعزول عنها هو الوالي»[2].

4. البعد عن أموال السلطـــان :

كان موقف الأولياء متشددًا جدًا في طلب الدنيا ولو كانت من حلال، فقد قال القطب أبو مدين شعيب: « من اشتغل بطلب الدنيا ابتلي فيها بالذل»[3]، فما بالهم بالأموال السلطان وعطاياه التي اعتبروها مال خبيث[4]. ولعدم تجاوز الصوفية سلوكهم الزهدي دفعهم في أغلب الأحيان إلى رفض هدايا وعطايا وأجور السلطان.

ولنا مثال في عبد الجليل بن ويحلان وأبي محمد عبد الله المليجي، « بعث – السلطان– إلى كل واحد منهما بألف دينار. فأما عبد الجليل فأخذه وتصدق به على المساكين وأما عبد الله فرده عليه. فقال له عبد الجليل : هلا تصدقت به ولم ترده عليه؟ فقال : أنت أخذت ذلك لأنك عندك من العلم ما تقبل به وتعطي وأما أنا فما

---

1 – ابن الزيات : **التشوف**، رقم: 91، ص 236–237.
2 – ابن عبد الملك : **الذيل والتكملة**، س 8، ص 229–230.
3 – ابن قنفذ : **أنس الفقير**، ص 18.
4 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 13، ص 111.

عندي من العلم ما آخذ به وما أعطي»[1]. تفيدنا هذه الرواية في اختلاف الأولياء في قبول هدايا السلطان فمنهم من قبل والأغلبية رفضت، لكل هذه الرواية تؤكد لنا أن قبول المال من السلطان لا يعني رضا الولي عن هذا المال والتصرف فيه لنفسه، بل تحفظ لنا كتب المناقب أن كل ولي قبل مالا من سلطانه إلا وتصدق به على من يحتاجه، وبهذا نستطيع القول أن الأولياء لم ينظروا بعين الرضا لأموال الحكام سواء رفضوها أو قبلوها فسرعان ما يتصدقون بها.

ومن بين أولئك أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير (ت 520هـ/1126م)، الذي « وفد مرة على السلطان فبعث إليه بجملة من المال فلم يخرج إلى أغمات من مراكش حتى فرقه على المساكين فقيل له: لو أمسكت منه لنفسك ! فقال : لا حاجة لي به، فإن فلانًا من إخواني في الله تعالى، يحرث لي قوتي ويبعث إلي أضحية في كل عام فتصنع امرأتي من صوفها عباءة لي ألبسها»[2]. وهذا تعفف الأولياء عن أموال السلاطين ورضاءهم بقليل العيش .

ونفس الموقف اتخذه كذلك أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد اللخمي التلمساني المعروف بابن الحجام[3] (ت 614هـ/1217م)، كانت له مكانة خاصة عند الخليفة المنصور وابنه الناصر وكذلك المستنصر، وتوالت عطاياهم عليه، لكنه « لم يكن يدخر من عطاياهم قليلاً ولا كثيرًا إنما كان يصرف ما يصل إليه من بني عبد المومن

1 – ابن الزيات : **التشوف**، رقم: 33، ص 145–146.

2 – نفسه، رقم: 11، ص 106.

3 – وردت في بعض المصادر شهرة ابن الحجَام بابن اللحام وابن اللجام، ينظر : يحي بن خلدون: **بغية الرواد**، ص 102. ابن أبي زرع الفاسي: **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، نشر: عبد الوهاب بنمنصور، ط 1، دار المنصور، الرباط، 1392هـ/1972م، ص 51.

وغيرهم في الفقراء والمساكين والمحتاجين وتجهيز الضعيفات إلى أزواجهن، هذا كان دأبه إلى غاية عمره نفعه الله»[1].

بل بلغ ببعض الأولياء حد التطرف في هذا الأمر، فنجد الولي أبا عبد الله بن المجاهد، « لم يكن يسمح لأحد في التعرض إليه بهدية أو تحفة قلت أو كثرة لا من ملوك ولا من غيرهم، على اختلاف طبقات الناس إلا من آحاد من بعض خلصانه ممن قد تحقق طيب مكسبهم، وذلك في النزر اليسير والنادر من الأوقات»[2]. فما باله إن كان مالا من الخليفة أبي يعقوب المنصور، فمرة « عرض عليه مالا فأبى من قبوله، فتركه لرأيه موافقة عليه ووقوفًا عند مرضاته»[3]. بل بلغ به الحد إلى « أن بعض أمراء الموحدين تشفع إليه في قبول صلة بعثها إليه، فبعد وفاة ابن مجاهد وجدت في تركته مكتوب عليها لفلان بن فلان»[4].

وهناك من لم يكتف برد مال السلطان فقط، فهذا الزاهد موسى بن عمران المارُتلّى أرسل له المنصور الموحدي مالاً، وكان هذا في عام الأرك سنة 591هـ/1195م لما عبر المنصور إلى الأندلس بغرض جهاد النصارى، فرد الصالح موسى ماله وقال لرسول الخليفة : « هو أحوج في ماله ! قل له: هذه مائِة دينار من حلال خُذها لنفقتك في هذه الغزوة، إنّي أرجوا إنْ لم تطعم إلاَّ الحلالَ أَنْ تنصَر!»[5]. وهنا نلاحظ أن أصحاب الكرامات لم يكتفوا برد هدية السلطان، بل أعلنوها صراحة للسلطان نفسه أن ماله حرام وخبيث.

---

1 – ابن عبد الملك: **الذيل والتكملة**، س 8، رقم: 65، ص 266.

2 – نفسه، س 5، ق 2، رقم : 1261، ص 667.

3 – ابن عبد الملك: **الذيل والتكملة**، س 5، ق 2، رقم 1261، ص 667.

4 – التنبكتي: **نيل الابتهاج**، رقم: 489، ص 376.

5 – أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميرى: **صفة جزيرة الأندلس – من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار–**، نشر وتصحيح وتعليق: لافي بروفنصال، ط 2، دار الجيل، بيروت، 1408هـ/1988م، ص 175.

ورغم رد الأولياء أموال السلاطين وتجاوز في بعض الأحيان الآداب السلطانية، إلا أن السلطتين سواء المرابطية أو الموحدية لم تكن لهما أي ردة فعل سلبية اتجاه هؤلاء، وتعرض عبد الواحد المراكشي لموقف أبي يوسف المنصور حين أمر للأولياء والزهاد بأموال عظيمة، فقال: « فقبل منهم من رأَى القبول وردَّ من رأى الردّ، فتساوى عنده – رضي الله عنه – الفريقان وقال: لكل مذهب، ولم يزد هؤلاء ردهم ولا نقص أولئك قبولُهم »[1]. وربما أن الخلفاء وحتى العامة ألفوا هذا السلوك عن الأولياء والصلاح.

وفعلاً هذا السلوك مألوف عند الأولياء فلم يكتفوا فقط بمقاطعة الأموال، فمثلاً نجد أن الشيخ الزاهد أبو سليمان داود بن يزيد الغرناطي السعدي الذي قاطع أكل اللحم بعد الفتنة الأولى بالأندلس عام 539هـ/1145م، حيث قال فيه السيوطي: « كان يأكل الشعير ولم يأكل لحمًا من الفتنة الأولى لأجل المغانم والمكاسب»[2]. وقد أعطانا جلال الدين السيوطي هنا سبب المقاطعة، وهو اختلاط الحلال بالحرام بسبب السلب والنهب والغصب في هذه الفتنة، وهكذا تنوعت أساليب مقاطعة الأولياء من أموال السلطان وهباته وحتى أموال العامة كذلك، وإلى أصناف رفيعة من الطعام، وهكذا ألف الناس هذا السلوك من الأولياء.

1 – عبد الواحد المراكشي: **المعجب**، ص 363.

2 – جلال الدين عبد الرحمان السيوطي: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 1، ط 2، دار الفكر، بيروت، 1399هـ/1989م، رقم: 1180، ص 563.

II- الولي والسلطان (صدام وإشخاص وثورة):

1. الاختلاف والصدام الفكري بين الولي والسلطان:

لقد كان الاختلاف الفكري أهم سمات العلاقة بين الأولياء و رجال الحكم خلال فترة المرابطين والموحدين، ويعد أكبر حدث في هذا الشأن إحراق كتاب "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي، وتُرجع أغلب الروايات هذا الإحراق إلى عام 503هـ/1103م[1]، وفي هذا يقول صاحب كتاب نظم الجمان: « في أول عام ثلاثة وخمسمائة عزم علي بن يوسف – عن إجماع قاضي قرطبة أبي عبد الله محمد بن علي بن حمدين وفقهائها – على كتاب أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى المسمى بـ "الإحياء" فأحرق ....» [2].

ونحن هنا لسنا بصدد سرد تفاصيل الإحراق، إنما معرفة ما مدى تأثير هذه الحادثة في العلاقة بين الأولياء والحكام؟ وما هو السبب الحقيقي وراء هذا الإحراق؟.

وفي هذا الصدد فابن القطان يسرد الحادثة بالتفصيل دون التطرق إلى أسبابها[3]، وكذلك ابن عذارى الذي عدَّها سببًا من أسباب زوال ملك المرابطين دون التطرق لدوافع ذلك[4]، وكذلك صاحب كتاب الحلل الموشية لم يذكر أسباب المحرقة إلا أنه أشار إليها دون تحديد طبيعة الدوافع حيث قال: « أن فقهاء قرطبة تكلموا فيه، وأنكروا فيه أشياء»[5].

---

1 – ابن القطان: **نظم الجمان**، ص 70. كما أن الدكتور عمر بن حمادي رجح هذا التاريخ، وذكر أنه لا مجال للشك فيه. ينظر: عمر بن حمادي: **الفقهاء المرابطين**، ص 587.

2 – ابن القطان: **نظم الجمان**، ص 70.

3 – نفسه، ص 70–72.

4 – ابن عذارى: **البيان**، ج 4، ص 59–60.

5 – مجهول: **الحلل**، ص 104.

غير أننا وجدنا في كتاب " بيوتات فاس" سبب إحراق الإحياء وذلك نظرا « لما فيه من أحاديث موضوعة التي لا أصل لها»[1]، والأكيد ليس هذا بدافع قوي إلى حرق الإحياء وخاصة أن استعمال الأحاديث الموضوعة كانت دائمًا مثيرة للجدل والنقاش بين متصوفة وأهل الحديث، وخاصة أن ابن تيمية قال عن الإحياء: « إن كتاب الإحياء للغزالي يغني عنه كتاب الرعاية للحارث المحاسبي وقوت القلوب لأبي طالب المكي»[2]. فلو كان سبب الإحراق للأحاديث الضعيفة، كان الأولى أن يحرق كِتابا الرعاية وقوت القلوب.

وهذا شأن من علل كذلك إحراق الإحياء بسبب توقع خلل من جهة النحو، وكثرة الألفاظ الفارسية فيه، حتى قيل: « وما نقم عليه ما ذكر من ألفاظ المستبشعة بالفارسية»[3]. وهذه كلها أسباب ضعيفة وواهية في تعليل هذه المحرقة، فالأكيد أن الدوافع كانت أكبر مما سبق، وخاصة أن الإحراق من خلال بحثنا في المصادر لم يمس أي كتاب آخر في فترة المرابطين سواء كتاب الأحياء، وسبقه إحراق كتاب ابن مسرة بالأندلس في القرن الرابع الهجري، غير أنه لم تحدث ضجة واستنكار مثل الذي أحدثه إحراق الإحياء[4].

1 – ابن الأحمر: **بيوتات فاس**، ص 33.

2 – نقلا عن: مصطفى بنسباغ : **إحراق كتاب " الإحياء " للغزالي وعلاقته بالصراع بين المرابطين والمتصوفة**، ضمن ملتقى الدراسات المغربية الأندلسية تيارات الفكر في المغرب والأندلس روافد ومعطيات، 26–27–28 ابريل 1993، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1993م، ص 365.

3 – عبد الرحمان بدوي : **مؤلفات الغزالي**، ط 2، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977م، ص 530.

4 – فاطمة الزهراء جدو: **السلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين (479–635هـ/1086–1238م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: إبراهيم بكير بحاز، جامعة منتوري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، قسنطينة، السنة الجامعية: 1428–1429هـ/2007–2008م، ص 87.

كما نجد المراكشي في سابق حديثه عن موقف الحكام المرابطين المعادي لعلم الكلام عامة أدى إلى ملاحقة هذا الكتاب، وكأنه يؤكد أن السبب يعود إلى خوض هذا الكتاب في علم الكلام، حين قال: « وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيحَ علم الكلام وكرَاهةَ السَلف وهجْرِهم عليه شيئٌ منه، وأنه بدعة في الدين وربما أدَّى أكثره إلى اختلال في العقائد، في أشباهٍ لهذه الأقوال، حتى استحكم في نفسه بُغْض علم الكلام وأَهله، فكان يُكتب عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في بند الخوض في شيء منه، وتوعُّد من وُجد عنده شيءٍ من كتُبه، ولما دخلت كتب أبي حامد الغزالي – رحمه الله – المغرب، أمر أمير المسلمين بإحراقها، وتقدم بالوعيد الشديد، من سفْك الدماء واستئصال المال، إلى من وجد عنده شيءٍ منها، واشتد الأمر في ذلك»[1]. في هذا النص يتحدث المراكشي عن إحراق الكتب بصيغة الجمع غير أننا نعلم أن الإحراق لم يمس كتاباً غير الإحياء، كما أن المراكشي يؤكد أن الإحراق جاء ضمن محاربة علم الكلام، وبهذا حصره السبب الحقيقي للمحرقة في ميولات الغزالي الكلامية، إلا أن هذا الموقف المتخذ من الإحياء دون سواه من كتب المتكلمين يؤكد لنا أن السبب أكبر وأعمق من ذلك.

كما نجد رسالة مهمة لأبي الحجاج يوسف بن طملوس (559-620هـ/1164-1223م) قال فيها: « ولما امتدت الأيام وصل إلى هذه الجزيرة كتب أبي حامد الغزالي المتفننة، فقرعت أسماعهم بأشياء لم يألفوها ولا عرفوها، كلام خرج به عن معتادهم من مسائل الصوفية وغيرهم من سائر الطوائف الذين لم يعتدْ أهلُ الأندلس مناظرتهم ولا محاورتهم، فبعدت عن قبوله أذهانهم ونفرت عنه نفوسهم،وقالوا إن كان في الدنيا كفر وزندقة فهذا الذي في كتب الغزالي هو الكفر والزندقة، وأجمعوا على ذلك واجمعوا للأمير إذ ذاك وحملوه على أن يأمر بحرق هذا الكتب المنسوبة إلى

1 – المراكشي: **المعجب**، ص 236-237.

الظلال بزعمهم ...»[1]. فهذه الرواية تفيدنا بأن إجاز الفقهاء للحاكم بإحراق الإحياء مرده إلى جهلهم بمحتوى الكتاب.

وهذا ما ذهب إليه المستشرق كولدزيهر (Goldziher)، وبرر موقف السلطة المرابطية المعادي للإحياء وعدم نضج المناخ الفكري بالمغرب الإسلامي، وأمام هذا التخلف الفكري لم يستطع المرابطون تقبل محتوى هذا الكتاب[2]. بغض النظر عن رأي هذا المستشرق في المناخ الفكري بالمغرب وثقافة المغاربة لما فيه من تجريح واستنقاص إلا أن رد رأيه يكون بالحجة، فالردود التي كانت حول الإحياء ومناهضته شملت أغلب مناطق العالم الإسلامي ولم تقتصر على المغرب، فمثلا ببغداد قاد الحملة الحنابلة لا المالكية، وشملت كذلك مصر وخرسان والشام وغيرهم من الأقاليم[3]. كما أن الردود ضد الكتاب شملت حتى علماء المشرق، فالشيخ أبو الفرج بن الجوزي قال فيه: « قد جمعت أغلاط الكتاب وسميته " إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء "»[4]. وبهذا يمكننا القول أن الحملة ضد كتاب الإحياء شملت أغلب أقاليم العالم الإسلامي ولم تقتصر على المغرب فقط، وكما كان لفقهاء المغرب دور بارز في مهاجمة كتاب الإحياء إلى جانب فقهاء المشرق الإسلامي.

كما أنه في اعتمادنا على روايات كل من ابن قطان والمراكشي وابن طلموس نخلص إلى أن كل فقهاء المغرب كان موقفهم موحد من الإحياء وهو العداء، غير أننا لما نرجع لهؤلاء نجدهم يعدون من مؤرخي العهد الموحدي، وبهذا لا يمكن أن تخلو

---

1 – آنخل جنثالث بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص 365.

2 - I . Goldziher**: Mohammed ibn Toumert et la théologie de l'Islam dans le nord de l'Afrique au XI[e] siècle**, imprimerie oriental Pierre Fontana, Alger, 1903, p 38.

3 – لمزيد من التفاصيل ينظر: عمر بن حمادي: **الفقهاء المرابطين**، ص 571–574.

4 – صلاح الدين خليل بن أيبك الصّفدي: **كتاب الوافي بالوفيات**، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، طالعه: يحي بن حجي الشافعي بن أيبك الصفدي وأحمد بن مسعود، ج 1، ط 1، دار إحياء التراثي العربي، بيروت، 1420هـ/2000م، ص 211.

رواياتهم من التعصب للموحدين وخاصة أنهم عرفوا بعلاقتهم الوطيدة بالسلطة الموحدية خاصة ابن القطان، فالأكيد أنهم حاولوا توريط السلطة المرابطية وفقهاءها على حد سواء في المحرقة، محاولين إبراز صورة قاتمة عن عهد المرابطين.

ومن خلال تتبعنا للمواقف الشخصية لفقهاء المرابطين حول الأحياء، وجدنا منهم من تعصب ضده وفيهم من أبدى موقفا اتجاهه وفيهم من تعصب له، فهذا القاضي ابن حمدين (439-508هـ/1047-1114م) رأس التيار المناهض للإحياء كفر صاحب الكتاب وجميع من قرأه وعمل به[1]. وذكرت المصادر التي ترجمت له إن له ردود على الغزالي في شكل رسائل ولم يصلنا منها شيئً[2]. ونجد كذلك أبو عبد الله محمد بن خلف ابن الألبيري (457-537هـ/1064-1142م) له مصنف للرد على الغزالي سماه: " النكت والامالي في الرَّد على الغزالي " [3].

وبهذا يمكن أن نعتبر أن هذين الفقيهين أنموذجان لتيار كبير من الفقهاء الرافضين والمحاربين للإحياء، إلا أنه كان هنالك تيار آخر وسطي في موقفه اتجاه الغزالي وكتابه، نقد ما وجب نقده وثمَّن ما حَسُنَ فيه حسب رأي أصحابه، ومن أشهر رواد هذا التيار القاضي عياض الذي حسب رواية ابنه أبي عبد الله محمد، في أحد مناقشاته مع شيخه عبد الله بن منصور، قال في الإحياء: « لو أختصر هذا الكتاب وأقتصر على ما فيه من خالص العلم، لكان كتابًا مفيدًا»[4]. بل ذهب محمد أكثر من ذلك فذكر أن القاضي ابن منصور رشح أبيه عياض لاختصار الإحياء[5].

1- مجهول: **الحلل**، ص 104.

2- قاضي عياض: **الغنية**، رقم: 2، ص 46. ابن عطية: **فهرس ابن عطية**، رقم: 12، ص 111-112.

3- ابن عبد الملك المراكشي : **الذيل والتكملة**، س 6، رقم: 546، ص 193-194.

4 - أبو عبد الله محمد بن عياض: **كتاب التعريف بالقاضي عياض**، تحقيق: محمد بن شريفة، د ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، الرباط، 1982م، ص 106-107.

5 - محمد بن عياض : **التعريف**، ص 107.

كما أننا نجد أنموذجًا آخرًا للموقف الوسطي المعتدل عند أبي عبد الله محمد بن الوليد الطرطوشي، ففي رسالة بعث بها إلى عبد الله بن المظفر، قال في بدايتها: «أما ما ذكرت من أمر الغزالي فرأيت الرجل وكلمته فوجدته رجلاً جليلاً من أهل العلم، قد نهضت به فضائله، واجتمع فيه العقل والفهم وممارسة العلوم وطول عمره. وكان على ذلك معظم زمانه»[1]. وهكذا بدأ رسالته بذكر فضائل أبي حامد إلا أنه سرعان ما بدأ في قدح الشخص حين قال: « ودخل في علوم الخواطر وأرباب القلوب ووسواس الشيطان، ثم شابها برأي الفلاسفة ورموز الحلاج، وجعل ينحو على الفقهاء المتكلمين ولقد كاد ينسلخ من الدين»[2]. أما عن تزكيته لإحراق الكتاب، فقال فيها: « وأما ما ذكرت من إحراق الكتاب بالنار، فإن ترك انتشر بين ظهور الخلق ومن لا معرفة له بسمومه القاتلة، وخيف عليهم أن يعتقدوا صحة ما سُطر فيه مما هو ضلال ...»[3]. ومن خلال هذه المقتطفات من الرسالة نستطيع أن نلاحظ أن الطرطوشي ذكر محاسن الغزالي ومثالبه على حد سواء، كما كان موقفه ضد الكتاب خوفًا من انتشاره عند العامة التي لا تميز بين الحسن والسيئ، وهذا فيه إقرار ضمني أن الإحياء كما فيه مساوئ وأخطاء، فيه أيضا علوم مفيدة.

هذا عن الجانب المعتدل الوسطي، أما من انتصروا للغزالي وناهضوا عملية الإحراق، فكانوا مجموعة من الفقهاء والزهاد، ومن أشهرهم الفقيه أبو الفضل بن النحوي (ت 513هـ/1119م) الذي انتصر للإحياء[4]، وأفتى بعدم لزوم الأيمان عن عدم حيازة الكتاب[5]، ولم يكتف بذلك كاتب السلطان علي بن يوسف نفسه، قائلا له:

---

1 – الونشريسي : **المعيار**، ج 12، ص 186.

2 – نفسه.

3 – نفسه، ص 187.

4 – ابن مريم : **البستان**، ص 301.

5 – ابن الزيات : **التشوف**، رقم : 9، ص 96.

«يا أمير المؤمنين بدِّل نيتك فيما سوَّل لك هؤلاء الحسدة يصلح الله حالك، وإن لم تفعل وداومت على موافقة فقهاء حضرتك فإني أخاف عليك في الدنيا وفي الآخرة»[1]. وبهذه اللّهجة الشديدة اتجاه السلطان وفقهاءه، لم يدار ابن النحوي عن رأيه ولم يهادن، بل اختار المواجهة.

وإلى جانب هذا الموقف هناك آخرون لم يتجرؤوا على فعل ما قام به ابن النحوي، وكانت مواقفهم أقل جرأة، فهذا الفقيه الولي أبو محمد عبد الله المليجي سأل عن الفقهاء الذين أفتوا بإحراق الإحياء، « فكل ما سمي له واحد منهم دعا عليه. ثم قال : والله، لأفلح هؤلاء الأشقياء ! فما انقضى شهر حتى مات جميع أولئك الفقهاء»[2]. وهنا يتدخل عنصر الكرامة في المواجهة.

كما تدخلت الكرامة بصور أخرى في المواجهة، حيث أن الولي أبا الحسن بن حرزهم (ت 559هـ/1163م) قال: « اعتكفت على قراءة إحياء علوم الدين للغزالي في بيت مدة من عام. فجردت المسائل التي تنتقد عليه وعزمت على حرق الكتاب. فلما نمت رأيت قائلا يقول: جردوه واضربوه حد الفرية ! فضربت ثمانين سوطًا. فلما استيقظت، جعلت أقلب ظهري فوجدت له ألمًا شديدًا من ذلك الضرب. فتبت إلى الله مما اعتقدت، ثم بعد ذلك تأملت تلك المسائل فوجدتها موافقة للكتاب والسنة»[3]. وهنا ساهمت الكرامة في الانتصار لأبي حامد وتصحيح موقف ابن حرزهم في الإحياء وتغيير رأيه، وبغض النظر حول صحة هّذه الرواية الكرامية من عدمها، إلا أنها تعطينا دليلًا عن وجود تيار كبير مناوئ انتصر للإحياء وصاحبه وأنكر إحراقه.

1 – محمد بن أحمد بن أبي الفضل ابن صعد: **النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب**، تحققه وقدم له: محمد أحمد الديباجي، ط 1، دار صادر، بيروت، 1432هـ/2011م، الرقم: 44، ص 242.

2 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 33، ص 145.

3 – نفسه، رقم: 5، ص 169.

وأمام اختلاف الفقهاء حول الإحياء وصاحبه وضعف أسباب إحراقه، توجهنا إلى محتوى الإحياء نفسه لعلنا نجد فيه ضالتنا، فالكتاب في محتواه العام موجه إلى جميع المسلمين كافه لا لفئة معينة، وهو عبارة عن رؤية جديدة مختلفة تماما عن رؤية الفقهاء للدين وعلومه، وهي عبارة عن رسالة موجهة إلى كل مسلم ليراجع سلوكه ودينه وتفكيره، وبهذا فهو محاوله لإحياء العلوم الدينية التي ماتت عند الناس. وهذه الدعوة الجديدة تخوف منها الفقهاء التقليديين، فرموه بتأثره بمذاهب الفلاسفة وخاصة " إخوان الصفا "[1]. ومن العبارات الشهيرة التي أثارت حفيظة الناس والفقهاء، عبارة: « ليس في الإمكان أبدع مما كان»[2]. ويفهم من هذه العبارة العجز من الجانب الإلهي عن الإتيان بالأحسن، واعتبره البعض كفرًا صريحًا[3]. ورغم قول البعض أن هذه العبارة دست في كتبه وسندهم في ذلك أنها تتعارض مع روح كتبه وما جاء فيها، سواء كان الإحياء أو المنقذ من الضّلال، وحتى المستصفى وغيرها[4]. غير أن هذا لم يشفع له عند المرابطين وخاصة أنهم اعتبروه أخطأ في العقيدة والمغاربة معروفون بعدم التسامح خاصة في الجانب العقدي.

كما يتناول الكتاب أمورًا لا تقل خطورة عن سابقتها، منها قضية " القانون " الذي بنا عليه الغزالي كتابه، فالإحياء يعطي أولوية مجابهة النفس للتغلب عليها إلى حد الإلقاء جانبًا بالكثير من قوانين الفقه[5]. ومن هذه الأمور مثلا أن رجلًا « عرف بالزهد وأقبل الناس عليه، فدخل حماما ولبس ثياب غيره وخرج فوقف في الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا : انه طرّار وهجروه»[6]. وكان رد

1 – الونشريسي: **المعيار**، ج 12، ص 186.

2 – بدوي: **مؤلفات الغزالي**، ص 337–388.

3 – الطاهر المعموري: **الغزالي وعلماء المغرب**، ط 1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1990م، ص 19.

4 – نفسه، ص20.

5 – عمر بن حمادي: **الفقهاء المرابطين**، ص 585.

6 – أبو حامد الغزالي: **الإحياء**،ج 3، ص 288.

ابن الجوزي على ذلك: « وذِكْر مثل هذا عن سبيل التعليم للمريدين قبيح لأن الفقه يحكم بقبح هذا»[1]، كما أوجب قطع يد السارق وأضاف أنه: « لا يحل للمسلم أن يتعرض بأمر يأثم الناس به في حقه»[2].

وتكمن خطورة هذا الأمر في ضرب أسس القوانين التي عمل بها المجتمع المسلم طيلة خمسة قرون سابقة، مع العلم أن هذه القوانين جاء بها الشرع وعمل الفقهاء على استنباطها وتطويرها. فكيف يأتي أبو حامد اليوم بقانونه الجديد مغلبًا رأيه على من سبقه من السلف وعلى ما قام عليه المجتمع الإسلامي منذ عهد الرسول ﷺ ، فكان الصدام بينه وبين الفقهاء الذين يرفضون مناقشة هذه الأمور.

ولم يكتف الغزالي بضرب أسس تفكير الفقهاء بل توجه إليهم مباشرة ولقبهم بفقهاء الدنيا "[3]، وسبهم بـ " علماء السوء "[4]، كما شكك في نواياهم بتفصيل الفقه من باقي العلوم، وأرجعه لرغبتهم في « تولي الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الأقران والتسلط به على الأعداء»[5]. وهذا ما أدى بالكثير من الفقهاء الصوفية إلى ترك التدريس في الفقه لما رأى طلبته نالوا به الخطط والعمالات، مثل الولي أبو محمد التونسي الذي قال في ذلك: « صرنا بتعاليمنا لهم كبائع السلاح من اللصوص»[6]. والتزم أغلب الأولياء والمريدين بتعاليم الغزالي هذه، وهنا الأكيد الخطر الأكبر لكتاب الإحياء.

1 – عبد الرحمان بن علي بن الجوزي: **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ج 6، ط 1، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الهند، 1357هـ/1938م، ص 169.

2 – نفسه.

3 – الغزالي: **الإحياء**، ج 1، ص 21.

4 – نفسه.

5 – نفسه.

6 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 6، ص 92.

كما سبق وأن ذكرنا وأبرزنا نماذج من رفضوا هدايا وهبات السلاطين وهذا راجع كذلك لالتزامهم بتعاليم الإحياء، فقد قال الغزالي في أموال السلاطين صراحة لا تلميحًا: « أن أموال السلاطين في عصرنا حرام كلها أو أكثرها»[1]. بل قسم الغزالي مصادر دخل السلطان إلى قسمين: « مأخوذ من الكفار – وهو الغنيمة المأخوذة بالقهر– والفيء، وهو الذي حصل من مالهم في يده من غير قتال، والجزية وأموال المصالحة، وهي التي تؤخذ بشروط المعاقدة. والقسم الثاني: المأخوذ من المسلمين – فلا يحل منه القسمان المواريث وسائر الأمور الضائعة التي يتعين لها مالك، والأوقاف التي لا متولى لها. أما الصدقات فليست توجد في هذا الزمان. وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات وأنواع الرشوة كلها حرام»[2].

وبهذا نعتقد أن اجتماع هذه الأسباب كان كافيا لإقناع الأمير علي بن يوسف بالأمر بإحراق الإحياء عام 503هـ/1109م من طرف الفقيه ابن حمدين وجماعته، خاصة إذا علمنا أن الأمير تقلد الخلافة قبل هذا الحدث بثلاث سنين أي سنه 500هـ/1106م. فلا زالت الأمور لم تستتب له بعد، حتى قام عليه ابن أخيه بفاس وتمرد صهره بغرناطة، وثار ابن عمه أبو عبد الله ابن الحاج بقرطبة وكان لابن حمدين الدور البارز في إفشالها[3]. وهكذا يمكن القول انه بالأسباب السابقة التي عددناها، والظروف الصعبة والمضطربة التي مرت بها الإمارة، ودور ابن حمدين في إخماد ثورة ابن الحاج التي قوي بها موقفه، وباجتماع كل هذه العوامل أمر بإحراق الإحياء.

1 – الغزالي: **الإحياء**، ج 2، ص 139

2 – نفسه، ص 135

3 – ابن عذارى: **البيان**، ج 4، ص 48–49. ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، ص157 –158. ابن خاقان: **قلائد العقيان**، ق 3، ص 610–611. عمر بن حمادي: **الفقهاء المرابطين**، ص 587.

أما في العهد الموحدي فتتحدث الرواية الموحدية عن لقاء بين الغزالي والإمام محمد بن تومرت، كما ترجع سبب زوال ملك المرابطين إلى دعاء حجه الإسلام أبي حامد عليهم بسبب إحراقهم لكتابه الإحياء، كما ترجع أيضا الرواية الموحدية قيام دولتهم على يد ابن تومرت بفضل دعاء أبي حامد له بذلك[1]. وبغض النظر عن صحة لقاء ابن تومرت بحجة الإسلام الغزالي من عدمه، إلا أن المصادر سكتت عن موقف السلطة الموحدية من كتابه الإحياء، وربما يرجع هذا إلى تغلغل الفكر الولائي الصوفي لمختلف الفئات الاجتماعية الموحدية. أما مضمون الإحياء فلا شك انه حسم موقفه من أبناء الدنيا سواء السلطة المرابطية أو الموحدية، وخاصة أننا تطرقنا سابقا إلى التوافق السياسي لدى المرابطين والموحدين، كتفرد الأسر الحاكمة بالملك، وفرض المغارم والمكوس على العامة وغيرها.

وبهذا فلا شك أن الخطاب الإحيائي تصادم مع الطموح السياسي للموحدين، ودليلنا في ذلك موقف سلطتهم من الأولياء، وكذلك أن فكر الغزالي لا يوافق هوى أي سلطان بما في ذلك الخلفاء الموحدون، وفي هذا الشأن قسم عبد المجيد الصغير العلم إلى نوعين في قوله: « العلم لا يمكن أن يكون محايدا، فهو إما مع السلطة، يبررها ويدين بالولاء والطاعة لها، وإلا فإنه بالضرورة ضدها ورافض لها»[2]، ومما لاشك فيه أن علم وفكر الغزالي من الصنف الثاني، المعارض والرافض لأي سلطة.

وهكذا نستطيع أن نقول إن طبيعة العلاقة بين الحكام والأولياء تميزت بالتناقض والتصادم، وبهذا فإن الاختلاف الفكري الذي كان محوره الإحياء، لم يكن سوى بداية للتصادم في الكثير من الميادين الأخرى، وكان من أهم نقاط

---

1 – ابن القطان: **نظم الجمان**، ص 73.

2 – عبد المجيد الصغير: **الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام – قراءة في نشأة علم الأصول ومقاصد الشريعة –**، ط 1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1415هـ/1994م، ص 126.

التصادم الأخرى: إشخاص الأولياء وثرواتهم ضد السلطة الحاكمة سواء المرابطية أو الموحدية.

2.الولي والسلطان بين التوتر والإشخاص:

وصل التوتر بين السلطة والأولياء قمته في مناسبات قليلة، وكان من أهم مظاهره النقل الإجباري للولي من مكان إلى آخر وهو ما أسمته المصادر بالإشخاص. فهذا ابن العريف مثلا، حيث أمر الأمير علي بن يوسف بإشخاصه إلى مراكش خوفا من شهرته في الزهد والعبادة وكثرة أتباعه[1]، ولما أقبل عليه السلطان أمره أن يعرض عليه حوائجه، فقال ابن العريف: « ليس لي حاجه إلا أن أخلى أذهب حيث شئت»[2]، ليضيف ابن زيات قائلا: « فأذن له السلطان بذلك»[3]. غير أننا نرى العكس وخاصة أن ابن العريف يتحصّر على تخلفه عن السفر لأداء فريضة الحج لعذر قاهر، فأنشد في ذلك قائلا :

يَـا وَاصِلِيـن إلى المُخْتَارِ من مُضَـرِ   زُرِتُـم جُـسُـومًـا وزُرْنَا نَحْـنُ أَرْوَاحَـا
إنَّـا أَقَـمْـنَـا عَـلَى عُـذرٍ وَعَنْ قَـــدْرٍ   وَمَـنْ أَقَـامَ عَلَى عُـذْرٍ كَمَـنْ رَاحَـا [4]

وكذلك القطب ابن برجان أشخص من قرطبة إلى مراكش، وسئل في مسائل غيبية عيبت عليه، فأجاب عنها مبتعدًا عن التأويل الذي عرف به[5]، وكانت وفاته هناك بمراكش سنة 536هـ/1141م[6].

واستمر كذلك تاشفين بن علي في إشخاص الأولياء فهذان الوليان أبو عبد الله الدقاق شيخ أبي مدين وأبو عبد الله الأصم أعرضا عن السلطان، فأمر بإشخاصهما

---

1 – ابن الأبار: **المعجم**، رقم 14، ص 27.
2 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 18، ص 120.
3 – نفسه.
4 – نفسه، ص 121.
5 – ابن الأبار: **المعجم**، ص 27.
6 – ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، مج: 4، ص 273.

من سجلماسة إلى مدينة فاس فسجنا بها[1]. وهناك من طلب للإشخاص وفر من المرابطين فمنهم على سبيل المثال أبو الفضل بن عبد الله (ت 542هـ/1147م) من أهل سجلماسة « طلب فخاف على نفسه فاختفي في جنة له وبقي بها إلى أن أشرف على الموت من شدة الجوع»[2].

هذا عن المرابطين، أما الموحدين فهم كذلك نهجوا طريق الإشخاص مع بعض الأولياء، وبادروا به باكرا، حتى أن عبد المؤمن بن على قبل استيلائه على مراكش عاصمة المرابطين وخلال حصاره لها سنة 540هـ/1145م، استدعى عبد الجليل بن ويحلان (ت 541هـ/1146م) لأسباب غامضة، لكن الولي رفض الالتحاق بجبل إيجليز، وأصر الموحدون على اللّحاق به عندما تذرع بالمرض، قالوا له: « ولو حملناك على نعش»[3]. وذهب بعض الباحثين في تعليل سبب إشخاصه إلى رغبة الموحدين في وضعه تحت مراقبهم المباشرة ومنعه من تأليب الناس عليهم[4].

وما إن سقطت مراكش في يد عبد المؤمن حتى أمر بإشخاص رمزين من رموز التصوف بالمغرب وهما: الولي أبو شعيب الأزموري (ت 561هـ/1165م) وتلميذه القطب أبو يعزي (ت 572هـ/1176م)، أما الأول أبو شعيب فأشخص لأسباب مجهولة [5]. غير أننا نرى أن سبب الإشخاص كسابقيه وهو توجس السلطة وخوفها من نشاط الولي ومريديه، وخاصة إذا علمنا أن عبد المؤمن بعد أن أطلق سراحه بقيت السلطة الموحدية تتبع مريديه ونكلت ببعضهم، وفي هذا يتحدث صاحب

---

1 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 40، ص 155. عبد السلام الغرميني: **الصوفي والآخر**، ط 1، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 1421هـ/2000م، ص 177.

2 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 39، ص 153–154.

3 – نفسه، رقم: 34، ص 35.

4 – مصطفى بنسباغ: **السلطة بين التسنن والشيع والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين**، تقديم: محمد بنعبود، ط 1، مطابع الشويخ، تطوان، 1999م، ص 130. محمد الشريف: **التصوف والسلطة**، ص 74.

5 – الصومعي: **المعزى**، ص 35.

كتاب التشوف عن تنكيل والي أزمور بأتباع الولي، فقال: « وأمر الوالي بإحضار جماعه للقتل. ففزع الناس إلى شعيب. فأخذ في البكاء فقال لهم: والله ما ابتليتم به إلا من أجلي ولومت لاسترحتم مما نزل بكم»[1].

أما القطب أبو يعزي يلنور استقدم إلى مراكش عام 541هـ/1146م، وحبس بصومعة المسجد الجامع أياما ثم أطلق سراحه[2]. ولا ندرى مدة حبسه حيث لم تفصل كتب المناقب في هذه الحادثة كثيرا، كما أنها لم تذكر كذلك أسباب الإشخاص، غير أننا استقرأنا الأسباب من بعض النتف التي جاءت عرضًا في كتب المناقب، حيث أن صاحب كتاب درر الحجال تحدث عن بعض الفقهاء الذين خافوا من الجموع التي تلتف حول يلنور[3]. أما العزفي فقال فيها « وكان وُشيَ إليه [الخليفة عبد المؤمن] به للجموع التي تقصده»[4]، وكذلك صاحب كتاب النجم الثاقب، قال في ذلك: « لما أشتهر حال سيدي أبي يعزا وقصده الناس من الآفاق، وأخبر بالمُغَيَّبَات، وطَبَّقَ ذِكْرُه أقطار المغرب خُوِّف منه الخليفة عبد المؤمن ..... هذه الجموع التي هي ترد على هذا الرجل يُخاف على الدولة منها»[5]. وبهذا يمكن أن نخلص إلى سبب إشخاصه والمتمثل في كثرة أتباعه ومكاشفاته، ورغم إطلاق سراحه. إلا أنه بقي تحت الرقابة شأنه شأن شيخه أبي شعيب، فهذا العزفي في إطار ذكره لكرامات القطب أبي يعزي يتحدث عن زيارة مفاجئة لأحد أشهر قواد الموحدين وهو القائد أبو عبد الله بن صناديد

1 – ابن الزيات:**التشوف**، رقم: 62، ص 188.

2 – نفسه، رقم: 77، ص 215.

3 – محمد الصغير الافراني: **درر الحجال في المناقب سبعة رجال**، تحقيق: حسن جلاب، ط 1، المطبعة الوطنية، مراكش، 2000م، ص 148.

4 – العزفي: **دعامة اليقين**، ص 47.

5 – ابن صعد: **النجم الثاقب**، ص 412.

رفقه أربعين فارسًا[1]، والأكيد أن هذه الزيادة المفاجئة لا تدخل إلا ضمن مراقبة الولي ومريديه.

ولم يكتف في عهد عبد المؤمن بالإشخاص فقط بل سجن الولي أبا الحسن علي ابن حرزهم (ت 1164/559م) في فاس، بأمر من مشرف المدينة عبد الله بن خيار الجياني[2]. أما عن السبب فلم يذكر في أي من المصادر لكن من خلال إشارة في التشوف استطعنا أن نحدد السبب المتمثل في مكاشفات هذا الولي، حين قال صاحب الكتاب: « وكنا قد أحدقنا بأبي الحسن وهو يقول: قد انطلقت من السجن ! فكنا نسكته ونقول: لا تتكلم بما يتحدث به عنك، فلهذا وشبهه سجنت»[3].

أما أشهر من أشخص إلى مراكش كان رمز التصوف السني المغربي وأكبر أولياءه على الإطلاق وهو القطب الغوث أبو مدين شعيب، ويذكر ابن قنفذ في ذلك يقول: « ولما أشتهر أمره وشاع في الآفاق ذكره سعي به عند خلفاء بني عبد المؤمن بمراكش فأمر السلطان بطلوعه من بجاية إلى حضرته وكتب إلى بجاية بالوصية عليه أن يحمل غير محمل»[4]. فهنا يذكر ابن قنفذ دوافع إشخاصه التي حصرها في شهرة القطب وكثرة أتباعه.

كما أورد لنا صاحب كتاب البستان تفاصيل أكثر وأدق، حين قال: « ولم يزل بما يزداد حاله رفعة على مر اللّيالي وترد عليه الوفود وذوو الحاجات من الآفاق ويخبر بالغيوب إلى أن وشى به بعض علماء الظاهر عند يعقوب المنصور وقال إنه يخاف منه على دولتكم فإن له شبها بالأمام المهدي وأتباعه كثيرون في كل بلد فوقع في قلبه وأهمه شأنه فبعث إليه في القدوم عليه ليختبره وكتب لصاحب بجاية بالوصية

---

1 – العزفي: **دعامة اليقين**، ص 54.

2 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 51، ص 171.

3 – نفسه، رقم: 51، ص 171.

4 – ابن قنفذ: **أنس الفقير**،ص 102.

والاعتناء به أن يحمله خير محمل»[1]. وفي هذه الرواية الثانية أضاف لنا ابن مريم خبر وشاية علماء الظاهر بالقطب الولي عند السلطان، كما أنها تتفق مع الرواية الأولى حول دوافع الإشخاص وهي شهرة أبي مدين وكثرة أتباعه، وتضيف كذلك سببًا آخر وهو المكاشفات، وعلى العموم هذه الدوافع تقريبا كانت سببًا مشتركًا في أغلب الإشخاصات.

غير أن هناك رواية أخرى تختلف تمامًا عن سابقاتها، فترد سبب إشخاص أبي مدين الغوث إلى رغبة المنصور في التوبة على يده، بعد ندم المنصور على قتل أخيه، فعرض الأمر على مريدة كانت تتردد على قصره فدلته على « سيد هذه الطائفة في هذا الزمان»[2]، وهو القطب أبو مدين شعيب.

إذا نظرنا إلى هذه الرواية الأخيرة، نجد من الروايات ما يدعمها خاصة حين أوصى المنصور والي بجاية على الولي « أن يحمل غير محمل»[3]. وهذا دليل على أن السلطان لم يكن يرد به شرًا، غير إنه بالمقابل هناك الكثير من الإشارات تنفي رواية ابن أبي منصور وتؤكد أن سبب الإشخاص كان لتخوف الدولة من الولي لا للتبرك به، وفي هذا الشأن قال ابن قنفذ: « أخذ الشيخ أبو مدين، رضي الله عنه، في السفر وشق ذلك على كثير من أصحاب خافوا أن يكون وراء ذلك ما يغير النفوس»[4]، كما قال الغبريني في ذلك أيضا: « فلما وصل إليه الأمر اجتمع عليه أكابر أصحابه، وعز عليهم فراقه، وتألموا من حاله وأنفوا عليه»[5]. وما خوف أصحاب الولي وتألمهم إلا توجسهم من أن يلحق به مكروه من السلطان، غير أن ابن مريم لم يدع مجالا

---

1 – ابن مريم : **البستان**، ص 113.

2 – ابن أبي منصور: **الرسالة**، ص 57-58.

3 – ابن القنفذ: **أنس الفقير**، ص 102. الغبريني: **الدراية**، ص 60. وذكر ابن مريم كذلك « أن يحمله خير محمل». ابن مريم: **البستان**، ص 133.

4– ابن القنفذ: **أنس الفقير**، ص 102.

5– الغبريني: **الدارية**، ص 60.

للشك في أن الإشخاص للعقاب لا للتبرك حين قال: « وعاقب الله السلطان فمات بعده [أبو مدين] بسنة»[1].

كما يمكننا إضافة أسباب أخرى للإشخاص، وهي مواعظ كان يذكرها أبو مدين في دروسه، والتي كان ينظر لها على أنها تحريض فمنها مثلًا قوله: « بفساد العامة تظهر ولاة الحبور وبفساد الخاصة تظهر دجاجلة الدين الفتانون»[2]. حتى أن أحد الباحثين رجح أن الولي قصد بـ " دجاجلة " الدين المهدي بن تومرت، بل ذهب أكثر من ذلك فاستهزأ بألقابهم في إحدى قصائده فهم يسمون الأمراء بالسادات[3]، فقال أبو مدين في رائيته:

ما لذة العيش إلا صحبة الفقراء   هم السلاطين والسادات والأمرا [4]

رغم أهمية إشخاص القطب أبي مدين شعيب ووفاته وهو في طريقه إلى مراكش بتلمسان بمكان يسمى " العبَّاد " أواخر شهر رمضان من عام 594هـ/1197م، إلا أن صاحب كتاب التشوف لم يتحدث عنها[5]، وهذا أمر محير وخاصة أن صاحب الكتاب معاصر للحدث، وكما أن الكتاب يعد من أهم المصنفات في مناقب أولياء المغرب الإسلامي، وهذا إضافة إلى أننا وجدنا جميع من تحدث عن هذا الحدث الجلل نقله عن ابن قنفذ القسنطيني الذي فرغ من كتابه " أنس الفقير وعز الحقير" سنة 887هـ/1385م[6]. وهنا نتساءل لماذا هذا السكوت كل هذه المدة ؟ ربما

1- ابن مريم: **البستان**، ص 114.

2- نفسه.

3- محمد المغراوي: **العلماء والصلحاء**، ص 429.

4- أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي: **ديوان أبي مدين شعيب الغوث**، إعداد وجمع وترتيب: عبد القادر سعود وسليمان القرشي، ط 1، كتاب ناشرون، بيروت، 1432هـ/2011م، ص 23.

5 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 162، ص 319 وما يليها.

6 – ابن قنفذ : **أنس الفقير**، ص02.

نسلم بما ذهبت إليه الباحثة حليمة فرحات، وهو أن الروايات التي حولت الولي إلى ضحية أو شهيد لتسلط الحكام الموحدين هي التي فرضت نفسها[1].

وباكتفائنا بهذه النماذج حول الإشخاص يمكننا القول بغض النظر على الروايات المنقبية التي حاولت أن تصور لنا الولي كضحية لجور السلطان، إلا أن الحقيقة أن السلطان كان دائما ينظر إلى الولي كمصدر خطر يجب تطويقه ومراقبته عن قرب، وكان شعارهم « لا يغرنك ما ترى فيه من سَمْتِ الوقار، ولزوم الدار، ومداومة التسبيح والاستغفار، فتحت الرغوة مَذْق»[2]. وفعلا رغم احتراس السلطان إلا أن هذه الفئة استطاعت أن تخرج عن السلطان في العديد من الثورات.

3.الثورة ضد السلطان :

من خلال ما سبق حول توتر العلاقة بين السلطتين المرابطية والموحدية من جهة والأولياء من جهة أخرى، وتعدد مظاهرها من إشخاص وسجن واغتيال، فلا شك أن هذا سيؤدي بالمجتمع الولائي إلى حمل السلاح ويعد هذا قمة التوتر، إما انتصارًا لوليه أو شعور منه بضعف السلطة، ويقدم نفسه كبديل لها.

أول ثورات الصوفية الكبرى اندلعت سنة 539هـ/1144م بزعامة أبي القاسم أحمد بن الحسين بن قسي (ت 546هـ/1151م)، الذي أطلق على أتباعه اسم "المريدين" وسميت هذه بـ " الحركة المريدين " وكان لهذه الحركة الدور البارز في سقوط ملك المرابطين، وكان مجالها بالمغرب الأندلسي، ونحن في إطار دارستنا هذه لا يهمنا بالدرجة الأولى سوى المجال المغاربي، ولسنا هنا بصدد الخوض في تفاصيل أحداث هذه الثورة من مراحل وأسباب وغيرها فالمصادر والمراجع كفتنا الخوض في

---

1 -Halima Ferhat: **Le Maghreb aux XIIème et XIIIème siècles : les siècles de la foi**, édition Wallâda, Casablanca, 1993, p 74.

2 – أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق: إحسان عباس، ق 3، مج 1، د ط، دار الثقافة، بيروت، 1417هـ/1997م، ص 68.

ثورة ابن قسي[1]. إلا أن أهمية هذه الثورة تفيدنا في اتخاذ موقف سياسي أو بالأحرى طموح سياسي لدى رجال الحركة الصوفية الزهدية، كما أن حركة ابن قسي كانت نموذجا للكثير من ثورات الصوفية بالمغرب خاصة في ناحية الدعاية باعتمادها على فكرة الهداية كثورة ابن هود الماسي[2].

كما أن ثورة ابن قسي انطلقت من رباط كان ملجأ للصوفية، كذلك الشأن في ثورة عمر بن الخياط الملقب بـ " بويكندي "، والذي تسمى بمحمد بن عبد الله بن هود الماسي[3] نسبة إلى رباط ماسة الذي انطلقت منه ثورته سنة 541هـ/1147م، وادعى الهداية وسمَّى نفسه بـ " الهادي " واستقر برباط ماسة[4]، واختياره لماسة ورباطها لإعلان ثورته لم يكن صدفة، بل اختارها بحكم القداسة التاريخية التي يتمتع بها هذا

1 – حول ثورة ابن قسي ينظر: لسان الدين بن الخطيب السلماني: **كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام – تاريخ إسبانية الإسلامية –**، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط 2، دار المكشوف، بيروت، 1965م، ص 248–252. حميدي خميسي: **نشأة التصوف في المغرب الإسلامي الوسيط إتجاهته– مدارسه – أعلامه**، ط 1، عالم الكتب الحديث، إربد، 1432هـ/2011م، ص 138–144. جمال علال البختي: **الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن السابع الهجري**، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1426هـ/2005م، ص 34–36. مصطفي بنسباغ: **السلطة بين التسنن والتشيع**، ص 113–129. عبد القادر زمامة: **حركة خطيرة على عهد المرابطين حركة ابن قسي**، مجلة البينة، العدد: 2، السنة الأولى، وزارة الأوقاف، الرباط، 1962م، ص 70–76.

2 – ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ق 3، ص 248. كما أن ابن قسي تأثر كغيره من متصوفة الأندلس بابن مسرة، الذي يعتبره الباحث عبد المجيد الصغير محدد ملامح التصوف الأندلسي فلم تحد المواقف الفكرية لأشهر صوفية الأندلسيين الاتجاه الذي رسمه ابن مسرة، وهو إتجاه تميز بالجمع بين الزهد والآراء والنظريات الفلسفية ذات الأصول الغنوصية الإشراقية والأفلاطونية المحدثة، وطعَّمها ببعض الآراء الشيعية في الإمامة. عبد المجيد الصغير: **خصوصية التجربة الصوفية في المغرب مفاهيم وتجليات**، ط 1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م، ص 80–82.

3 – حول ثورة ابن هود الماسي ينظر: البيذق: **أخبار المهدي**، ص ص 67 ؛ 83. ابن الخطيب: **الحلل**، ص 110. ابن عذارى: **البيان الموحدي**، ص30–31. ابن خلدون : **العبر**، ج 6، ص 310–311. ابن أبي زرع:**الأنيس المطرب**، ص 190. محمد البهلي النيال: **الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي**، ط 2، دار آفاق للنشر، تونس، 2013م، ص 280–282. مصطفي بنسباغ: **السلطة بين التسنن والتشيع**، ص 129–141. نفس المؤلف: **ثورة ابن هود على الموحدين**، مجلة كلية الآداب بتطوان، العدد: 6، 1993م، ص 160.

4 – ابن عذارى: **البيان الموحدي**، ص 30.

المكان في نفوس الصوفية خاصة والمغاربة عامة الذين يصدقون الغيبيات التي ارتكز عليها ابن هود في دعوته[1]، ورغم محاولة البعض التشكيك في انتماءه الصوفي[2]، إلا أن ما جاء في رسالة الفتح التي كتبها القائد الموحدي أبو حفص إلى عبد المؤمن، يقول فيها: « ممّن ارتسم [ابن هود] برسم الانقطاع عن الناس فيما سلف من الأعوام، واشتغل على زَعْمه بالقيام والصيام، آناء الليالي والأيام، لبسوا الناموس أثوابًا، وتَدَرَّعوا الرياء جلبابًا»[3]. وهذه الرسالة لا تدع لنا مجالا للشك في صلة الماسي بالتصوف، وفي هذه الرسالة كذلك إشارة إلى ممارسة ابن هود للشعوذة، وأكيد هذا ما رماه به الأعداء الذي يقابله عند المتصوفة الكرامة والعلم اللّدني خاصة الباطنية منهم معتمدين على الإشراق والذوق والكشف وما وراء الحس، وهذا يندرج ضمن نظام معرفي خاص بهم لهذا علل الباحث مصطفي بنسباغ ادعاء ابن هود « بأنه بشر بأن المنية في هذه الأعوام لا تصيبه والنوائب لا تنوبه»[4].

وكانت دولة الموحدين تحت وطأة هذه الثورة قاب قوسين أو أدنى من السقوط، ولم يبق تحت طاعة عبد المؤمن إلا مراكش[5]، فانضم إلى الثورة أهل سجلماسة ودرعه وقبائل دكالة وركراكة وقبائل تاسمنا وهوارة وحاحة وهزميرة وهسكورة وبني ورياغل، وانضم له كذلك أهل سبتة وطنجة وحتى ألميرية بالأندلس[6]. غير أنه رغم هذه الجموع وانتصارات ابن هود المتتالية على الموحدين حتى حصر ملكهم في مراكش، إلا أن

---

1 – أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري: **كتاب الجعرافية**، تحقيق: محمد حاج صادق، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر، د ت، ص 117. الحسن بن محمد الوزان الفاسي ليون الإفريقي: **وصف إفريقيا**، ترجمه من الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج 1، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص87–88. أحمد الوارث: **التيار الصوفي في دكالة زمن الرباطات**، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1432هـ/2011م، ص 399.

2 – محمد المغراوي : **العلماء والصلحاء**، ص 405.

3 – المقري: **نفح الطيب**، ج 5، ص 187. السلام : **الاستقصاء**، ج 2، ص 100.

4 – مصطفي بنسباغ : **السلطة بين التسنن والتشيع**، ص 133.

5 – السلاوي: **الاستقصاء**، ج 2، ص 99.

6 – ابن خلدون: **العبر**، ج 6، ص 310. البيذق: **أخبار المهدي**، ص 67.

الحرب اشتدت ضده إلى أن لقي حتفه مع الكثير من أتباعه على يد أبي حفص في ذي الحجة من سنة 542هـ/1148م[1]، وعلى الرغم من قتل زعيم الثورة إلا أن أتباعه بقوا على طاعة زعيمهم مواصلين لثورته، فخرج إليهم القائد أبو حفص فاستبسلوا في مقاومته إلى أن فض جموعهم[2].

وتكمن خطورة ثورة ابن هود الماسي في توقيتها، فقد اندلعت والسلطة الموحدية ما تزال تبحث عن توازنها، وعبد المؤمن لازال لم يثبت دعائمه بعد، والأكيد أن هذا الأمر كان له تأثير مباشر على موقف الحكم من الصوفي عامة والولي بصفة خاصة، فأصبحت الحيطة والحذر سمة العلاقة السائدة بينهم، وهذا دلالة على عدم ثقة أي طرف بالآخر، وكان رد السلطة دائما على أي خطأ من جانب المجتمع الولائي بالعقاب، فانتقل الخوف من عقاب السلطة إلى الطرف الآخر وازداد حذره وحسابه لخطواته.

وهذا ما وقفنا عليه حتى عند كتاب المناقب كان الخوف من العقاب ظاهرًا في كتابهم لسير الأولياء والصوفية، فهذا مثلا ابن الزيات صاحب أشهر كتب المناقب في المغرب الإسلامي وهو الكتاب " التشوف إلى رجال التصوف" فقد توفي عام627هـ/1229م أو628هـ/1230م[3]. وما لاحظناه أن صاحب التشوف ضرب صفحًا عن الخوض في الثورة وصاحب الثورة (ابن هود ماسي)، وهنا نتساءل لما هذا السكوت عن الثورة وصاحبها؟ وخاصة أننا أثبتنا سابقا أن ابن هود كان صوفيًا، غير أنه برجوعنا إلى مسألة إشخاص القطب أبي مدين شعيب التي تناولناها سابقا وذكرنا سكوت ابن الزيات عنها، هنا يساورنا شك أن صاحب الكتاب تعمد هذا، وبذكره لثورة عتاب التي سوف نأتي على ذكرها، والتي أشار إليها عرضا من خلال ترجمته

1 – ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب**، 190 السلاوي: **الاستقصاء**، ج 2 ص 100.

2 – ابن عذارى: **البيان الموحدي**، ص 32.

3 – مقدمة أحمد التوفيق لكتاب التشوف. ينظر: ابن الزيات: **التشوف**، ص 24.

لشخصيتين شاركتا فيها، ولم يكلف نفسه الترجمة لصاحب الثورة، هنا نتأكد أن ابن الزيات تحاشى كل ما يغضب الموحدين وخاصة انه معاصر لهم، وبهذا لا يمكن أن يكون سببا آخر لسكوت كتاب المناقب هؤلاء غير الخوف من عقاب السلطان.

أما ثورة عتاب التي لم يذكرها أي مصدر سوى التشوف الذي ذكرها عرضا في إطار ترجمته لمتصوفين عانيا من مضايقات الموحدين بسبب مشاركتهما فيها، الأول هو أبو وزاغار تيفاوت بن علي المشنزائي (ت 603هـ/1208م) الذي فر من المغرب إلى المشرق « حين طلب أصحابه»[1]، وهذا النص يفيدنا أن صاحب الثورة كان له طموح سياسي شأنه شأن سابقيه من أصحاب الثورات الصوفية، أما الثاني وهو أبو محمد تيليجي بن موسى الدغوغي (ت 650هـ/1208م) كان واعظا في رباط شاكر، وقال الدغوغي على نفسه: « طلبت في أيام عتاب طلبًا شديدًا، ولو وجدت لقتلت»[2]، وهذا النص يفيدنا في معرفة القمع الذي تعرض له من شاركوا في هذه الثورة ومصيرهم وهو سفك دمائهم، وهذا سلوك مألوف عند الموحدين اتجاه معارضيهم ومغالاتهم في سفك دمائهم.

أما عن صاحب الثورة فلم نعرف من هذين النصين سوى اسمه وانخراط الصوفيين في هذه الثورة اللذين ارتبط ذكرهما برباط شاكر، بل إن احدهما كان واعظًا به « في وقت لا يصعد منبر شاكر إلا الآحاد»[3]، وهنا نذهب ما ذهب إليه الباحثان حليمه فرحات وحامد التركي أن هذه الثورة ما كانت لتكون جد خطيرة لولا دعم الأولياء

---

1 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 217، ص 394.

2 – نفسه، رقم: 224، ص 402.

3 – نفسه.

والأشياخ والمريدين الذين كانوا يقصدون رباط شاكر طيلة السنة وفي مواسم معينة لها[1].

وفي الأخير لا يمكننا أن نحسم في شيء من هذه الثورة، ما دامت معلوماتنا بشأنها وشأن صاحبها سوى الجملتين السابقتين، أما خوض بعض الباحثين في استنباط طبيعتها فهو مجرد تخمينات وملأ لفراغ تركته المصادر بسبب الخوف من الوقوع في المحظور عند السلطة خشية العقاب كما سبق وأن ذكرنا.

---

1 – حليمة فرحات وحامد التركي: **كتب المناقب كمادة تاريخية، ضمن كتابه التاريخ وأدب المناقب**، الملتقى الدراسي 8 و9 أفريل 1988م، مطبعة عكاظ، الرباط، 1989م، ص 57.

الفصـــــل الخامس

الأولياء والعامة

I- الدور الديني والأخلاقي

1. ترسيخ الإسلام والتربية الدينية
2. تدعيم الأخلاق الكريمة ومحاربة الفساد
3. الولي بين القدوة والمقدس

II- التكافل الاجتماعي

1. إطعام الطعام
2. السقايا
3. التمريض والتطبيب
4. قضاء الحوائج وإصلاح ذات البين

إذا كانت علاقة الأولياء والسلاطين تنوعت بين الاحتواء والحذر والتوتر والصدام وهذا راجع لاختلافهم في المنطلقات والأهداف، فإن علاقة الولي مع مجتمعه كان لها اتجاه مغاير تماما، فاندمجوا في المجتمع واثروا فيه، كما أن المجتمع احتفظ لهم بمكانة خاصة لديه لم تبلغها أي فئة غيرهم.

وهنا نتساءل ما سر تلك الخطوة؟ وكيف انعكست على الواقع؟ وما هي أهم مظاهرها ومعالمها؟. ومن خلال إبرازنا لبعض أدوار الولي في المجتمع، ربما يأتي جوابنا على جملة هذه التساؤلات.

I- الدور الديني والأخلاقي:

1. ترسيخ الإسلام والتربية الدينية:

لقد تكرر في كتب المناقب ذكر الروايات التي قدم فيها الولي نفسه كقدوة ومثل حسن للمجتمع، فكانت التربية الدينية حاضرة في جميع أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، بل اعتبروا وظيفتهم الأساسية هي ترسيخ الإسلام وتفقيه الناس في أموره. وقد اهتموا بكل جزئيات التربية الدينية وخاصة بالفرائض كالصلاة والصوم والزكاة والحج.

أما عن الصلاة فقبل الاهتمام بها، اهتمت كتب المناقب بطهارة المكان للصلاة، فصاحب التشوف يخبرنا عن إحدى كرامات شيخ أبي يعزى وهو الولي أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي (ت 561هـ/1165م)، فقال: « دخل أبو شعيب على أبي وأنا حاضر وكانت عادته إذا دخل بمكان لا يقعد حتى يصلي ركعتين وكانت عندنا حصر كثيرة فلم يسألنا على الحصير الطاهر منها ومدى يده إلى حصير فبسطه وصلى عليه. فقال أبي: أنظر إلى فراسة أبي شعيب كيف اهتدى إلى الحصير

الطاهر منها ولم يحتاج إلى السؤال»[1]. كما ارتبطت بعض مكاشفات أبي يعزى (ت 572هـ/1176م) نفسه بتجديد الوضوء قبل الصلاة[2].

كما حرص الأولياء على أداء الصلاة جماعة في المسجد، بل منهم من اعتكف بالمسجد مدة طويلة، وهكذا استطاع الأولياء، أن يقدموا أنفسهم كقدوة في الالتزام بصلاة الجماعة، ولنا في ذلك مثال حين ذكر صاحب كتاب المستفاد محاسن الشيخ الفقيه أبي عبد الله محمد بن إبراهيم المَهْدَوِيّ (ت 595 هـ/1199 م)[3]، قائلا: «كان منقبضاً معتكفاً بالمسجد الجامع، لا يخرج منه إلا لحاجة الإنسان. وكان لا يجلس إلا مستقبل القبلة ... انه له مدَّة من أربعين عاماً وأزيد من ذلك، أنا أشك في الزيادة، ما فاتته صلاة جماعة بالمسجد الجامع، إلا يوماً واحد»[4].

كما حث الأولياء على الصوم، وفي هذا الشأن روى الشيخ أبو سعيد خليفة بن سليمان الهزرجي، قائلا: « كنت ساكنا بموضع في أعلى جبل دمنات، ونحن على بساط الفقر، ففتح لي يوما بشيء من الذرة من وادي درعة، فصنعت العجوز لنا منه عصيدا، فلما قدمته بين يدي قلت: اشتهي لو حضر الفقيه أبو موسى من دمنات، حتى يأكل منه شيئا، لما اعلم ما فيه من الفاقة، قال: فما أتممت كلامي إلا وأبو موسى واقف علي مسلما. فقلت: الحمد لله الذي أتى بك حتى تأكل من هذا الطعام، وكان صائما فأفطرته. فلما أكلنا، اشتد جوعنا أكثر مما كان، فقلت له: قم بنا إلى زيارة الشيخ [أبي محمد الصالح] في أسفي .... حتى وقفنا على باب الرباط .... فلما رآنا الشيخ قال: مرحبا برجال لي، تسابقا في الدخول إلي، كما تسابقا في الرجوع إلى الله تعالى. ثم قال لي بعدما سأل عن جملة من أحوالنا: يا أبا علي، لو وجدت كافرا

1 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم :62، ص 191 .

2 – العزفي: **دعامة اليقين**، ص 61 .

3 – ابن صعد: **النجم الثاقب**، رقم: 49، ص 270–271 .

4 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، ص 87 .

ومسلما يقتتلان، من كنت تعين فيهما؟ فقلت: المسلم. فقال: ولم أعنت الكافر على المسلم أبي موسى حتى أفطرته ! أراد بذلك ما جرى بيننا حين عزمت عليه حتى أفطرته في منزلي»[1]، وفي هذه الرواية إشارة ضمنية إلى أفضلية الصوم ولها دلالة واضحة في الحث على الصوم وتصوير أبي سعيد الهزرجي كأنه مذنب في نسبه في إفطار أبي موسى الهسكوري حتى ولو كان صيام نافلة.

أما عن الزكاة، فلم نجد أفضل مما شهد به التادلي في كتابه " أخبار أبي العباس السبتي"، حين قال في باب أصول مذهبه: « حضرت مجلسه مرات فرأيت مذهبه يدور على الصدقة، وكان يرد سائر أصول الشرع إليها»[2]، وهنا إقرار من التادلي أن الشرع كله عند أبي العباس يدور حول المفهوم الواسع للزكاة .

كما كان من أدوار الأولياء كذلك تسهيل انتقال المغاربة لأداء فريضة الحج، وكان أبرزهم في هذا الولي الصالح أبو محمد صالح الماجري[3] (ت 631هـ/1233م)، فقد « أجمع فضلاء المغرب خصوصا وعموما، على أن الشيخ – رحمه الله تعالى – هو الذي فتح الله تعالى طريق الحج من المغرب على يديه، حتى حجه كل عاجز وقادر عليه»[4]، وكان من « عادته المشهورة المألوفة من لزوم الحج لجملة المريدين والتحريض عليه، وعلى زيارة قبر النبي ﷺ للزائرين والمترددين»[5].

وتعود أهمية مبادرة الولي الماجري إلى تزايد النوازل الفقهية المتعلقة بمختلف أنواع اللّصوصية، والدور التخريبي لعرب بني هلال بالطرق البرية من جهة، والضغط

1 – الماجري: **المنهاج الواضح**، ص 348-349.

2 – ابن الزيات: **أخبار أبي العباس السبتي**، ص 453.

3 – حول الولي أبو محمد صالح الماجري والماجريون وأدوارهم في تنظيم فريضة الحج. ينظر: محمد بنشريفة: **الماجريون والحافظ الماجري الكفيف الأسفي (ق: 6-7هـ)**، ط 1، Safi graphe، أسفي، 2009م، ص 11-47.

4 – الماجري: **المنهاج الواضح**، ص 374.

5 – نفسه.

المسيحي على بحر الروم من جهة ثانية، ما أدى إلى إسقاط الحج على المغاربة من قبل بعض الفقهاء[1]، ومن بين الفقهاء الذين استفتاهم الأمير المرابطي على بن يوسف سنة 515هـ/1121م، ابن رشد الجد (ت 520هـ/1126م) حين سأله « أي العملين أفضل في هذا الزمان؟ هل الحج أو الجهاد لأهل الأندلس والعدوة»[2]. فكان جواب ابن رشد: « فرض الحج ساقط عن أهل الأندلس في وقتنا لعدم الاستطاعة التي عملها الله شرطا للوجوب ... وإذا سقط فرض الحج لهذه العلة صار نفلاً مكروها لتقحم الغرر فيه .... أهل العدوة سبيلهم سبيل أهل الأندلس إذا كانوا لا يصلون إلا بخوف على أنفسهم وأموالهم ... وأما من يقوم بفريضة الجهاد من حماة المسلمين وأجنادهم فالجهاد هو الواجب عليهم»[3].

بل هناك من الفقهاء من ذهب أكثر من ذلك، فأبو بكر الطرطوشي (ت 520هـ/1126م) أجاب على سؤال الأمير بقوله: « بأنه حرام على أهل المغرب، فمن خاطر وحج فقد فرضه، ولكنه آثم بما ارتكب من الغرر»[4]، ووافق كذلك ابن حمدين والمازري رأى ابن رشد والطرطوشي وكانت لهم فتاوى مشابهة[5].

وقد اغتاظ الولي الصالح أبو محمد صالح الماجري على ما أفتى به هؤلاء الفقهاء الذين عاصروه، من إسقاطهم لفريضة الحج على المغاربة، وعبر عن ذلك صاحب كتاب المنهاج الواضح في قوله: « قد أفتى جل فقهائهم بأنه على أهل المغرب

1 – سعيد بن حمادة وآخرون: **التصوف السني في تاريخ المغرب – نسق نموذجي للوسطية والاعتدال–**، تقديم وإشراف: إبراهيم القادري بوتشيش، منشورات الزمن، الدار البيضاء، 2010م، ص 183 .

2 – ابن رشد: **فتاوى ابن رشد**، ج 2، ص 1021– 1027. الونشريسي:**المعيار**، ج 1، ص 432– 435 . أبو القاسم بن احمد البلوى البرزلي: **فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام**، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب الهيلة، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م، ص 584 .

3 – ابن رشد: **فتاوى ابن رشد**، س 1، ص 1022–1025.

4 – الونشريسى: **المعيار**، ج 1، ص 433.

5 – نفسه، ص 433–434.

مسقوطاً، والقائل بوجوبه عليهم مغلوطاً، والناهض عليه عاصيا مأزوراً، والناكب عنه مأجوراً، والقول من قائله بالوجوب هدراً مهدوراً، وكتاب الحج في مدارسهم قد اتخذوه مهجوراً»[1].

وأخذ الولي الماجري (ت 631هـ/1233م) على عاتقه تنظيم عملية الحج إلى الحجاز، فأسس ركب الحاج المغربي الذي عرف بـ " الركب الصالحي "، وهي شبكة من الزوايا تقوم على خدمة الحجاج المغاربة على طول الطريق الرابط بين دكالة والحجاز، وبلغ عددها حوالي 64 زاوية[2]، وعين أبو محمد صالح على كل زاوية عددا من مريديه لخدمة الحجاج، وعن هذا الدور يحدثنا أبو العباس الماجرى عن زوايا مصر والشام، حين قال: « ولم تزل جملة من تلاميذه [أبو محمد صالح]- رحمه الله ونفع به – مقيمين ببلاد مصر والشام، فمتى ورد من المغاربة أحد، وأراد الإقامة بهما قبل أن يحج، فإن كان ذلك لعدم، أعانوه وتسببوا له، وإن كان لغير ذلك، هجروه وزجروه وقطعوه، حتى يحج. ولم يزل ذلك دأب كل من قعد بعده للتربية، حتى شُرِع هذا الطريق ببلاد المغرب»[3]. ولم يقتصر دور الركب الصالحي على خدمة الحجاج فقط، بل حمايتهم وحماية بلاد الإسلام[4] كذلك ودعوة المسيحيين إلى الإسلام، فمرة وقع في أسر الولي الماجري مجموعة من القطاع النصارى « فأسلموا حينئذ على يده، وكانوا اثنا عشر رجلا، فقدم بهم الرباط، وحلق رؤوسهم، وكساهم مرقعات، ثم

1 – الماجري: **المنهاج الواضح**، ص 374.

2 – نفسه.

3 – نفسه، ص 377.

4 – كان للأولياء دورا بارزا في حماية أرض الإسلام بأنفسهم وحتى بدعائهم المجاب، من هؤلاء أبو عبد الله محمد بن مطر الأركشي الذي استجد به أهل أحد الحصون الإسلامية لما اشتد عليهم حصار النصارى لحصنهم، فصعد إلى أحد أبراجه فدعى الله أن يفرقهم فتقبل دعاءه وانفض شملهم. الصدفي: **السر المصون**، ص 93.

صرفهم إلى الحجاز»[1]. وهكذا يمكننا القول بما أقره غيرنا، أن الولي القطب أبا محمد صالح الماجرى « هو الذي فتح الله تعالى طريق الحج من المغرب على يديه، حتى حجّه كل عاجز وقادر عليه»[2].

وهكذا شكل تشجيع الرحلة إلى الحج وخدمة الحجيج المغاربة إحدى أهم وظائف الأولياء، إلى جانب تثبيت أركان الإسلام وتفقيه الناس في دينهم من الصلاة إلى الصوم ثم الزكاة وغيرها كثير، غير أن دور الولي في مجتمعه لم يقتصر على الفرائض والتربية الدينية بل امتد إلى تثبيت جملة من الأخلاق الدينية ذات بعد اجتماعي.

2. تدعيم الأخلاق الكريمة ومحاربة الفساد:

أولى الأولياء أهمية كبيرة لغرس مكارم الأخلاق في المجتمع المرابطي والموحدي على حد سواء، فدعوا الناس إلى تجنب الحرام وإيتاء الحلال، وعمل المعروف والابتعاد عن المنكر، وفعل الخير ونبد الشر، وكان سبيلهم في ذلك الوعظ واعتمادهم على الكرامات كذلك .

وفي هذا الأمر لم نجد أفضل مما جاء به محمد بن عبد العظيم الأزموري عن أبي عبد الخالق أمغار في قوله: « حدثونا عن الشيخ الفقيه الصالح عبد العظيم بن أبي عبد الله أمغار أنه تكلم يوما في المعنى الحلال، وذكر ما يؤثر بغدائه من البركة، واستجابة دعاء متغذيه وتكلم في ذلك ما شاء الله أن يقول، ثم قال بلسانه العربي في معنى الحلال: نفد الحلال و قلّ وجوده، يعني في زمانه. قيل له وكيف ذلك يرحمك الله؟ قال: اخبرني رجل تقي ممن ترجى بركته، وكان من أهل الفضل والدين، قال كنت أقرأ القرآن بإعرابه على الشيخ أبي عبد الله مع الموطأ والمدونة، وكنت ذات يوم أقرأ،

---

1 – الماجري: **المنهاج الواضح**، ص 373.

2 – نفسه، ص 374.

فخرج أبو عبد الله من المسجد، فدعاني فتبعته إلى داره، فأعطاني طبقا من القمح، فقال لي: هذا استعن به على قراءة العلم. فأخذته ودفعته إلى عجوز هناك من قرابته تسمى تلولوت، وكانت صالحة ورعة، فقلت لها: تخبري لي منه كل عشية عند الإفطار قرصة صغيرة، فقالت نعم. فجعلت تفعل لي ذلك، وكنت أصوم وأفطر على قرصة منه كل ليلة، فلا آكل شيئا غيرها، وكنت ذات يوم خرجت إلى البحر، فتوضأت منه فتلذذته فإذا ماؤه حلو فشربت منه، لم أزل كذلك أشرب ماءه حلوا بعد أن أصوم كل يوم، وأفطر على تلك القرصة من ذلك القمح مدة شهرين، فنفد ذلك القمح، فأكلت غيره، فأتيت البحر لأشرب منه على عادتي فوجدته ملحا أجاجا على أصله، فلم أشرب منه بعد ذلك. فعلمت أن سبب ذلك أكل الحلال الخالص مع بركة ذلك الشيخ، فلازمته حتى فتح الله علي في فنون العلم»[1]. وبالتالي هنا كان للكرامة دور في تبيان فضل الحلال.

كما شغلت ظاهرة اللّصوصية بال الأولياء فتجندوا لمحاربتها، وكتب المناقب مليئة بالأخبار التي تتحدث عن توبة اللّصوص على يد الأولياء[2]، كما ساهم الأولياء في حماية العامة من اللّصوص، فهذا أبو صالح عبد الحليم بن هارون بن سعيد الهسكوري (ت 593 هـ/1196م)، كان « إذا سمع اللُّصوص بأنه تقدم رفقة فروا ولم يتعرضوا لها»[3]، وكان الأولياء كذلك يدعون للتجار بسلامة بضائعهم من اللّصوص في الطريق[4]، بل صار الأولياء ملجأ العامة الذين تعرضوا للّصوصية لاسترداد ما

1 – محمد بن عبد الله بن عبد العظيم الأزموري: **بهجة الناظرين وأنس الحاضرين ووسيلة رب العالمين في مناقب رجال آل أمغار الصالحين**، ص 129. نقلا عن: أحمد الوارث: **التيار الصوفي**، ص 306.

2 – ابن الزيات: **التشوف**، ص 234،309. الماجري: **المنهاج الواضح**، ص 373. الأزموري: **بهجة الناظرين**، ص 100. نقلا عن: أحمد الوارث: **التيار الصوفي**، ص 307.

3 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 172، ص 339.

4 – نفسه، رقم: 200، ص 379.

سرق منهم، فهذا أبوعلي حسين بن عبد الله الأندلسي المعروف بابن يابو (ت 604هـ/ 1207م)، لجأ إليه شخص سرق منه فرسه وثيابه طالبا دعائه، فأجاب الولي لذلك، فاسترد بعدها الرجل ما سرق منه كاملا دون نقصان[1].

أما عن أم الخبائث وكل مفسدة، وهي عادة شرب الخمر فقد تجند الأولياء لمحاربة هذه الظاهرة، وخاصة كما سبق وأن فصلنا فيها وعرفنا كيف تفشت وانتشرت انتشارا رهيبا في كلا المجتمعين المرابطي والموحدي على حد سواء[2]، فعمل الأولياء على منع أسباب شيوع المسكرات بأشكالها، من تكسير الأواني التي تحفظ بها وقطع أشجار العنب[3]، أما الولي الصالح أبو محمد صالح الماجري (ت 631هـ/1233م) كان يوصي مريديه ويقول لهم: « أتركوا شراب الرب مخافة أن يجركم إلى شرب الخمر»[4]. وهكذا حرص الأولياء على قطع كل مسبب لشيوع ظاهرة شرب الخمر.

كما كان للأولياء مكاشفات ففصحوا من علموا بمعاقرته الخمر، فهذا الولي أبو الحسن الحرالي (ت 638هـ/1240م)، كشف أمر رجل كان يحضر مجلس الولي، فاختفى لسقوطه على زجاجة خمر فشجت وجهه، ثم عاد بعد أن برئ، فلما رآه الحرالي أنشد قائلا:

أجـريحَ كـاسـاتٍ أرقْتَ نجيعَـهـا   طـلـبُ الـتُّـراثِ يـعـزُّ مـن خـلاصُ

لا تسفكـنَّ دَمَ الزجاجـةِ بعـدهـا   إنَّ الجـروحَ كـمـا عـلـمتَ قصـاصُ [5]

ففهمها الشاب فتاب إلى الله[6].

---

1 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 216، ص 392.

2 – ينظر سابقا، ص ص 57-59؛ 79-81.

3 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 25، ص 134.

4 – الماجري: **المنهاج الواضح**، ص 274.

5. – المقري: **نفح الطيب**، ج 5، ص 263.

6. – نفسه.

كما أننا وجدنا ما هو غريب في معالجة الخمر بالإكثار من شربه، فالغبريني ضمن ذكره لكرامات أبي الحسن الحرالي قال: « كانت امرأة من معارف الشيخ رحمه الله، وكان لها ولد يشرب الخمر، ويجني على نفسه فكانت تشكو للشيخ رحمة الله، فكان يقول لها قولي له: يشرب بالكؤوس الكبار، لماذا يشرب بالكؤوس الصغار، فكانت تجد من ذلك في نفسها، وتقول أسأله ليدعو لي ليخفف أمره فيأمره بالإكثار، قال فسألناه عن ذلك فقال قد جرى القدر، فإذا شربها بالكؤوس الصغار طالت المدة، وإذا شربها بالكؤوس الكبار قصرت مدتها ...... ولم يمض من المدة إلا مقدار يسير، ثم أن الشاب قد تاب وحسن حاله ببركه الشيخ رحمه الله»[1]. ورغم ورود هذا النص الكراسي ضمن محاربة ظاهرة الخمر إلا أننا رأينا فيه ثقة المجتمع في الولي، بل وصلت علاقة الفرد بالولي إلى حد التسليم، فهذه المرأة رغم عدم اقتناعها بطريقة الحرالي في معالجة ابنها إلا أنها استسلمت لإرادته وعملت بما أمرها به دون تردد.

وإلى جانب محاربة ظاهرة الخمر، كان الأولياء منكرين للبدع وكان حرصهم على كسر المزامير ومحاربة مجالس الطرب و المجون، ونضرب مثلا لذلك ما رواه ابن الزيات في ترجمة أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الصنهاجي (ت 596هـ/1199م)، حول « سبب توبته أنه كان في حداثته محبا في اللهو يغني في الأعراس ويضرب الدف. فخرج يوما مع جماعة من الشباب يغني لهم ويضرب دفه لهم. فأبصروا أبا شعيب السارية وهو مقبل إلى جهتهم. ففروا حياء منه وبقي وحده. فوصل إليه شعيب ودعا له فنفعه الله بدعوته، فأقبل على العبادة ثم انقطع عن الناس واعتزلهم حتى لحق بالله تعالى»[2].

1 – الغبريني: **الدراية**، ص 152.

2 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 155، ص 311.

أما عن الدعارة، فكتب المناقب مليئة بأخبار الأولياء ومحاربتهم لهذه الآفة الأخلاقية، فأهل تلمسان مثلا أقبلوا على عبد السلام التونسي، واشتكوا له رجل من أهل الدعارة « فلقيه عبد السلام فأخذ بأثوابه و ضرب به الحائط وقال له: يا هذا آذيت المسلمين حتى أكثروا بك الشكوى! فأنكب الرجل على رجليه يقبلها وهو يقول: أتوب إلى الله عز وجل ..... فتاب الرجل إلى الله تعالى وأقبل على العبادة إلى أن لحق بالأولياء»[1]. وكان من الأولياء من يفضح الزاني أمام الملأ، وعرف بهذا السلوك الولي القطب أبو يعزى (ت 572هـ/1176م)، ففي إحدى مرات أتى إليه رجل في مجلسه « وسلم عليه فقال له أبو يعزى: لم تخون أخاك وتأتي زوجه وهو غائب؟ فقال له الرجل: أتوب إلى الله تعالى من ذلك»[2].

كما حرص الأولياء على الابتعاد عن مسببات الدعارة، فنجد الولي الصالح أبا محمد صالح الماجري (ت 631هـ/1233م) موصيا مريديه، ويقول: « إياكم ومجالسة العجائز، فإنها تستدعيكم إلى مجالسة الصغار منهن»[3]، ومن الأولياء من عمل على الابتعاد عن الأماكن التي ترتكب بها الفاحشة، كالولي أبي زكريا يحي بن موسى المليجي الذي رمى بنفسه في البحر من سفينة ركبها قاصدا لأداء فريضة الحج، غير أنه « رأى خدمة السفينة يعملون عمل لوط، فلم يطق الإقامة بها»[4].

ومن أخلاق الأولياء تعففهم والتزامهم بالشرع فحاربوا خلوة الرجل بالمرأة كما حاربها الشرع، لعلمهم بأن هذا من باب المفاسد، ومن بين هؤلاء الولي ريحان الأسود الذي استدعته امرأة إلي بيتها لتشكو له ضيق حالها وخاصة أن زوجها أسر ولها منه

1 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 13، ص 11. 112.

2 – نفسه، رقم: 77، ص 214.

3 – المجاري: **المنهاج الواضح**، ص 274.

4 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 20، ص 126.

عدة أولاد، فلبّى طلبها دون أن يعلم بوجودها في بيتها دون محرم، ولما علم « قام في وجهها قياما منكرا كادت تصرع منه»[1].

غير أن ما شد انتباهنا في محاربة الأولياء للدعارة، قيام بعض الأولياء بمبادرات تجهيز البنات الفقيرات لتحصينهن وإبعادهن على الوقوع في الفاحشة[2]. وتعد هذه المبادرات الخيرية أهم عمل حسب رأينا في مكافحة الزنا والدعارة حيث أن الولي أظهر وعيا كبيرا، فذهب مباشرة إلى تجفيف منابع و مسببات الفساد.

وهكذا لعب الولي دورا حاسما في توجيه مجتمعه إلى مكارم الأخلاق، من تحسب للحرام وإيتاء الحلال، وفعل الخير ونبذ الشر، كما لم ينسوا دورهم في محاربة الفساد في المجتمع خاصة الأخلاقي من معاقرة الخمر، إلى الزنا والدعارة وكذلك اللّصوصية، وبهذا قدم الولي نفسه على أنه جزء من مجتمعه يعيش مشاكله، كما أن الولي قدم نفسه لمجتمعه كقدوة يحتذى بها في التدين والأخلاق وقد أثَّر في مجتمعه فبوأه مكانة خاصة.

3. الولي بين القدوة والمقدس:

عمل الأولياء على ترسيخ الدين كعقيدة وأخلاق اجتماعية وممارسة، انطلاقا من ممارساتهم السلوكية التي كانت تهدف إلى تقويم الأفراد والمجتمع دينيا وأخلاقيا.

أما عن ممارساتهم السلوكية وسيرتهم داخل المجتمع، فقدم الولي نفسه كنموذج للفرد الصالح المتدين المتورع المتخلق، وكتب المناقب وغيرها على حد سواء مليئة بذكر هذه الخصال الحميدة وزادت عنها، ولعل وصف التميمي لأخلاق صاحب القطب أبي مدين شعيب (ت 594هـ/1198م) الشيخ الصالح أبو عمران موسى إبراهيم يلخص جيدا هذه الخصال، حيث قال: « كان الشيخ أبو عمران، رحمة الله

---

1 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 43، ص 159.

2 – يحي بن خلدون: **بغية الرواد**، ص 102.

تعالى، يستعمل [زاده] من تقوى الله عز وجل، في السر والعلانية، والورع في مطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه، حافظا للسانه، مميزا لكلامه. إن تكلم تكلم بعلم إذا رأى الكلام صوابا. وان سكت سكت بعلم إذا رأى السكوت صوابا، قليل الخوض فيما لا يعنيه، يخاف من لسانه أشد مما يخاف من عدوه، يحبس لسانه كحبسه لعدوه لِيأمن من شره وسوء عاقبته، قليل الضحك فيما يضحك فيه الناس. وإن أمر بشيء مما يوافق الحق تبسم. لا يغتاب أحدا، ولا يحقر أحدا، ولا يسيء الظن بأحد. قد جعل القرآن والسنة دليله إلى كل خلق حسن، حافظا لجميع جوارحه، إن جهل عليه حلم، ولا يظلم، وإن ظلم عفا، ولا يبغي، وإن بغي عليه. متواضع في نفسه؛ إذا قيل الحق قبله من صغير أو من كبير. يطلب الرفعة من الله عز وجل من المخلوقين. فهذه كانت أخلاقه»[1].

وأمام هذه الصفات الحميدة للأولياء، صار المجتمع وخاصة المريدون يحاولون الاقتداء بهم وأخذ كل شيء عنهم، فلقن الأولياء المريدين العديد من التعاليم كالذكر[2]، وهذا يقودونا إلى ذكر الولي أبي محمد صالح جعل لمريديه العديد من الأذكار يجهروا بها في الأسفار، وقبل صلاة الصبح وبعدها، وبعد صلاة العصر لقراءة الوظيفة، وبعد صلاة المغرب والعشاء، ومن هذه الأذكار الشهادتان كان يكررهما الماجري ألف مرة مستعملا سبحة مكونة من ألف حبة، ومنها كذلك قوله: « يا الله، يارحمان، يارحيم»[3]، وغيرها كثير[4].

1 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 81، ص 178.

2 – حول الأذكار. ينظر: الحسن الشاهدي: **الأذكار الصوفية – الوظائف والأوراد، الأحزاب، الأدعية، التصليات**، ط 1، دار القلم للنشر والطباعة والتوزيع، الرباط، 2007م.

3 – الماجري: **المنهاج الواضح** ، ص 218.

4 – فصل وذكر الماجري مختلف الأذكار، كما وضح طريقة أدائها حيث ينقسم القراء إلى جمعين، فيذكر الجمع الأول ويرد عليه الجمع الثاني. ينظر: نفسه، ص ص 205؛ 239.

وللأخلاق الرفيعة التي ظهر بها الأولياء، والأدوار الدينية التي قاموا بها اتجاه المجتمع بالمغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين، تتبادر إلى ذهننا مجموعة من التساؤلات، كيف كان ينظر المجتمع إلى الولي؟ وبقيام الولي بأدوار بارزة اتجاه مجتمعه هل أيضا المجتمع قام بدوره اتجاهه؟ هل سعى المجتمع إلى التقرب من الولي كما سعى هذا الأخير إلى ذلك؟ هل انتهى دور الولي بوفاته أم كان له دور حتى بعد ذلك؟.

لقد أحيط الأولياء بالاحترام والتقدير والتعظيم، حتى إن الناس أمروا أبناءهم بزيارتهم وتقبيل أيديهم لينالوا دعائهم وبركاتهم[1]، وكتب المناقب مليئة بهذه الأخبار، ومنها ما ذكره أبو الحسن علي بن حرزهم، قائلا: « أوصاني أبي أن أقبل يد أبي الفضل بن النحوي متى لقيته ولو لقيته في اليوم مئة مرة. فبعثني يوما إليه ليدعو لي»[2]، وهذا دليل على علو مكانة الأولياء عند الناس، حتى إن البعض بات يعتبرهم من المعصومين عن الخطأ، وكل ما يصدر عنهم من أقوال وأفعال غير قابل للمناقشة، وهذا ما حصل بين ابن حرزهم مع والده أيضا، حيث أخبر أبو الحسن الوالد قائلا: « رأيته صلى عند غروب الشمس قبل الوقت الذي يصلي فيه أهل البلد. فأهوَى إلى بيده ولطمني وقال لي: أتتكلم في ولي من أولياء الله تعالى وهل وقت المغرب إلا ذلك الوقت الذي صلى فيه أبو الفضل وإنما الناس ابتعدوا في التأخير عن ذلك الوقت»[3].

ولم يبلغ الأولياء هذا الشأن العظيم حتى اعتقد فيهم جمهور من المجتمع، أنهم معصومين عن الخطأ، لولا دورهم الرئيسي فيه وكذلك إلى دور الولي في تهيئة

---

1 – أحمد الوارث: **سيدي حرازم والطريقة السهروردية**، ضمن كتاب **متنوعات حليمة فرحات**، ط 1، مطبعة كوثر برانت، الرباط، 2005م، ص 21.

2 – ابن الزيات: **التشوف** ، رقم: 9، ص 98.

3 – نفسه.

ذهنيات المجتمع لقبول مبدأ احترام الأولياء والسعي إلى خدمتهم لينالوا الأجر والثواب، حيث نقل عن القطب الغوث أبي مدين شعيب قوله: « من حرم احترام الأولياء ابتلاه الله بالمقَت من خلقه»[1]. وقوله كذلك: « من خدم الصالحين ارتفع بخدمته»[2]، وقوله أيضا: « أبناء الدنيا يخدمهم العبيد والإماء، وأبناء الآخرة يخدمهم الأحرار والكرماء»[3].

ومن مظاهر الاعتقاد في الأولياء تقديسهم والتمسح بهم وطلب الدعاء لهم، لأن دعائهم مستجاب، فمنهم الولي أبو محمد بن وحلان (ت 541هـ/1146م) الذي «كانت دار سكناه قريبه من الجامع. فإذا صلَّى الجمعة انصرف إلى منزله فلم يكن يصله إلا في أول وقت العصر من كثرة ما يحسبه الناس للدعاء والتمسح به»[4].

ولعلى من جنائز الأولياء نستطيع أن نقف أكثر على مكانة الولي لدى مجتمعه، وقد عبر أبو علي عمر الحباك التلمساني عن جنازة أبي مدين شعيب (ت 594هـ/1197م) قائلا: « حضرت جنازة الشيخ أبي مدين، رضي الله عنه، بالعباد، خارج تلمسان. فما رأيت أعز من الفقراء في ذلك اليوم ولا أذل من الأغنياء في ذلك اليوم»[5]، كما حضر جنائز الأولياء الرجال والنساء على حد سواء، ومن هذه الجنائز جنازة أبي العباس أحمد بن عبد الرحمان ابن صقر الأنصاري (ت 559هـ/1163م) بمراكش، « كانت جنازته عظيمة المحفل، كثيرة الجمع، برز إليها الرجال والنساء ورفعوا نعشه على الأيدي»[6]، وحضر كذلك جنائز الأولياء الأمراء والكبراء والعامة معا، وفي هذا لدينا نص في غاية الأهمية يصف جنازة أبو اسحق البلفيقي (ت

---

1 – الغبريني: **الدارية**، ص 63.

2 – نفسه.

3 – نفسه.

4 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 34، ص 147.

5 – ابن القنفد: **أنس الفقير**، ص 104.

6 – ابن الخطيب: **الإحاطة**، مج 1، ص 186.

616هـ/1219م) أورده صاحب كتاب الاستقصاء، حيث قال: « احتفل الناس لجنازته [أبو اسحق] وحضرها الأمراء والكبراء، كسر العامة نعشه واقتسموا أعواده تبركا به»[1]. وهنا النص يتحدث عن الأصناف التي حضرت الجنازة، ليضيف إليها ظاهرة التبرك بنعش الأولياء.

ولم تقتصر ظاهرة التبرك بالولي نفسه أو بنعشه بل شمل كل ما تعلق به، فحتى تراب القبر يؤخذ منه للتبرك به والاستشفاء وهذا ما جرى مع قبر أبي يعزى[2] (ت 572هـ/1176م)، بل إن قبره صار مزارًا لطالبي البركة[3]، كما يعد قبر أبي مدين شعيب (ت 594هـ/1198م) من أهم مزارات المغرب الإسلامي ويزوره الناس من كل حدب و صوب[4]، أما قبر أبي العباس السبتي فكان مزارًا معروفا، وكان ملجأ أصحاب الحوائج يخلعون نعالهم عند باب الروضة، إجلالا لقداسة المكان وصاحبه، ويجلسون قرب القبر ويطلبون حاجتهم بالدعاء، يضعون فتوحهم (صدقاتهم) في أواني مخصصة لذلك، كما كانت الصدقات تأتي من المحسنين من كل مكان، وتجمع هذه الأموال وتوزع على الضعفاء[5]. وبهذا صارت المزارات[6] مؤسسة قائمة بذاتها لها

---

1 – السلاوي: **الاستقصاء**، ج 2، ص 236 .

2 – جمال أحمد طه: **الحياة الاجتماعية**، ص 333.

3 – أبو عبد الله محمد بن محمد القلعي الصّباغ: **بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخبار ومعدن الأنوار، سيدي أحمد يوسف الراشدي النسب والدار أبو يعزي سيدي موسى**، مخطوط المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم: 1707، ورقة 52 ظهر.

4 – يحي ابن خلدون: **بغية الرواد**، ص 126.

5– عبد الأحد السبتي وحليمة فرحات: **المدينة في العصر الوسيط ووثائق من تاريخ الغرب الإسلامي**، ط 1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994م، ص 117.

6– لمزيد من التفصيل حول المزارات وتنظيمها ووظائفها وأدوارها ومصادر أموالها. ينظر: عبد الرحيم العطري: **بركة الأولياء بحث في المقدس الضرائحي**، ط 1، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 2014، ص 107-145.

مداخيلها وأموالها الخاصة، تخصص جزء مهم منها لقضاء حوائج الفقراء والضعفاء والمساكين.

وهكذا صار للولي أدوار في مجتمعه من خلال محياه وحتى بعد مماته فينفع الناس في حياته ويقضي حوائجهم حتى وهو في قبره. بل هناك من الروايات المنقبية تتحدث عن ما هو أكثر من ذلك بكثير، وقد أورد لنا ابن الزيات في ترجمة أبي علي حسون بن عبد الباري الماصوصي، قال فيها: « حدثوا عنه [ابن عبد الباري] أنه لما مات ودفن قام أصحابه على قبره. فقال له: يا حسون فأجابه من قبره. فقال له: أتعرف أين أنت؟ فقال له: نعم»[1]. يتبعها صاحب التشوف ببيتين لأبي محمد بن السيد البطليموسي جاء فيها:

أخو العلم حي خالد بعد موته وأوصاله تحت التراث رميم
وذو جهل ميت وهو ماش على الثرى يظن من الأحياء وهو عديم [2]

وأما هذه الرواية فتوضح لنا مدى المكانة الراقية التي بلغها الأولياء عند الناس، فتجاوزت الاعتقاد بصلاحهم إلى الاعتقاد في عصمتهم، بل فاقت ذلك إلى تكليمهم ومخاطبة الأحياء وهم أموات، وهكذا رسم المجتمع للولي صورة أسطورية.

وهكذا فإن الدور الديني للأولياء يعزز انتماءهم لمجتمع مسلم، من خلال مواقفهم المهمة في مجالات وميادين مهمة حملوها على عاتقهم، والتي حاولنا بدورنا توضيح بعض جوانبها التي دارت حول ترسيخ الإسلام والتربية الدينية، وتدعيم الأخلاق الكريمة ومحاربة الفساد خاصة الأخلاقي، وكذلك صورة الأولياء القدوة التي رسموها لأنفسهم بفضل ممارستهم السلوكية وسيرتهم داخل المجتمع، فكان رد فعل المجتمع اتجاههم، بأن جعلهم ضمن المقدس.

1 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم : 212، ص 389.

2 – نفسه. القاضي عياض : **الغنية**، رقم : 61، ص 158.

ولا شك أن الدور الديني للولي المقدس سيكون مفتاحا لدور آخر داخل مجتمعه، ويزيده مكانة أعلى وأرفع لدى الناس، ويصبح الولي جزءا فعالا في المجتمع، أو ربما القائد الفعلي له.

II- التكافل الاجتماعي:

لاشك أن الدور الاجتماعي للأولياء يعزز مكانتهم في المجتمع ويزيده رفعة على رفعة، حيث أن دور الولي الاجتماعي سيجعل منه ضرورة من ضروريات الحياة، لا يمكن الاستغناء عنه أو حتى تهميشه، وهكذا ارتبط الولي بمجتمعه ارتباطا وثيقا، فانخرط في هموم مجتمعه، وأخذ في معالجة قضاياه التي كان بعضها من مسؤوليات الحكام أصلا.

وقد كان للكرامة والبركة الدور الأساسي في الأدوار الاجتماعية التي يقوم بها الأولياء، فاعتمد الولي على طاقته الدينية وعلاقاته بربه التي أهم صورها الكرامة، تتدخل الكرامة كلما عجز السلطان أو العامة عن إيجاد الحلول، ورغم تنوع وتعدد أدوار الولي الاجتماعية. إلا أنها لم يكن يرجى منها أي أهداف دنيوية إنما الغرض منها نيل الجزاء في الآخرة، أما عن أدوار ووظائف الأولياء فكان من أهمها:

1. إطعام الطعام:

يأتي التصدق بالطعام على قمة الأدوار الاجتماعية للأولياء، حتى صار صفة ملازمة لهم، وأعطوها أهمية بالغة فأصبحت عند بعضهم أصلا من أصول السلوك الصوفي، ونجد منهم مثلا أبا محمد عبد الخالق بن ياسين الذي قال: « طلبنا التوفيق زمانا فأخطأناه، فإذا هو في إطعام الطعام»[1].

1- ابن الزيات: **التشوف**، الرقم: 78، ص 223.

وكذلك الولي أبو يعزى يلنور الذي أرجع سبب ولايته إلى إطعام الطعام، حين سئل: « بما نلت ما نلت؟ فقال: بإطعام الطعام»[1]. وكان يعمل راعيا في ابتداء أمره مقابلة رغيفين يقبضهما من أرباب المواشي، فيتصدق بواحد على رجل منقطع بالمسجد ويكتفي بالآخر، وبعد أن لحق بذلك رجل آخر انقطع مثله فآثره على نفسه بالرغيف الثاني وجعل يأكل من نبات الأرض، ويقول: « ما اصنع بالطعام ونبات الأرض يغنيني عنه؟»[2].

وهكذا كما ذكرت كتب المناقب انه لا يأكل إلا من نبات الأرض وخاصة أوراق الدفلة[3]، في حين كان « يطعم الواصلين إليه العسل ولحم الضأن والدجاج»[4]. وكان يوفر أيضا « العلف لدوابهم وأن الفتوح كانت تأتيه من إخوانه إليه في الله فينفقها على زائريه. أهل القرى القريبة منه كانوا يضيفون الواصلين لزيارته ويتبركون بهم»[5]، ووصف لنا التميمي ذلك في رحلته إلى أبي يعزى: قائلا « سافرت إليه إلى موضعه مع جماعة من المريدين. وموضع سكناه على مسافة ثلاثة أيام من مدينة فاس، حرسها الله، فما مررنا على موضع في الطريق فيه دار أو منزل، إلا تلقونا وقالوا: أضياف الشيخ. فإن كان في آخر النهار، أنزلونا وبتنا في ضيافة، وإن كان في أول النهار، اسقونا اللّبن، فما زلنا كذلك حتى وصلنا إليه»[6].

كما استغل الأولياء المناسبات والأعياد في إعطاء الطعام الطيب، فهدا أبو مروان عبد الملك لما استقر بسبتة « صار يصنع ليلة المولد طعاما للفقراء يأكلونه،

1- ابن الزيات: **التشوف**، الرقم: 77، ص 222.

2 – نفسه، ص 216

3 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 2، ص 32.

4 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم : 77، ص 215

5 – نفسه، ص 222.

6 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم : 2،ص 29.

وكان طعامه الكعك والعسل»[1]. وتعود أبو عبد الله البَيْغِي على صنع الطعام الكثير يوم عاشوراء ويجمع عليه المريدين، وكان لا يترك هذه العادة ولو احتاج فيها إلى الدين[2]. أما الولي أبو يلبخت (ت 602هـ/1205م)، فقد « أعد ثورًا يطعمه جيرانه إذا ختن ولده فجاءه رجل فقير فقال له: نفست زوجتي وليس عندي ما أطعمها لولادتها وقد ولد لي مولود ذكر. فقال له أبو يلبخت: أحمل هذا الثور فأطعمه أهلك. فقيل له: أنت أحوج إليه منه. قال: سيفتح الله لي فيما أطعمه الناس. فما طلع الفجر حتى سيقت إليه جملة من الثيران فأطعمها الناس»[3].

وجعل البعض من عادته تقديم الطعام في المناسبات والأعياد، غير أن هناك من الأولياء من جعلها عادة يومية، كأبي إبراهيم إسحاق بن محمد الهزرجي (ت 580هـ/1183م) الذي كان بائعا للإسفنج بمراكش، فقد كان كل يوم يطعم الفقراء والمساكين الإسفنج والهريسة[4]، وهناك أيضا من الأولياء من لم ينقطع عن الصدقة يوما حتى في المسغبة، وقد ذكر لنا التميمي في ذلك قول أبي محمد عبد الحق عن أبيه الولي أبا عبد الله محمد بن مليح: « أنه كان بفاس مسغبة وارتفع السعر. وكان عند عبد الحق عشر صحاف من القمح. فقال والدي لوالدتي: وإذا جاء من يسأل، لا تردِّه [كذا] وادفع له من ذلك الطعام، وتصدق منه كل يوم بما تيسر، حتى خرجت الشتوة[5]، وأقامت والدتي على الأكل من ذلك الطعام والصدقة منه أشهراً. ثم قال والدي لوالدتي: كل [كذا] ذلك الطعام، حتى تعرف [كذا] ما بقي منه. فاكتلناه، فإذا هو على مكيله

1 – الباديسي: **المقصد الشريف**، ص 100.

2 – ابن الزيات : **التشوف**، رقم: 119، ص 271.

3 – نفسه، رقم: 203، ص 381.

4 – نفسه، رقم: 96، ص 244.. محمد بن محمد بن عبد الله المؤقت المراكشي: **السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية**، طبعة حجرية، 1335هـ/1917م، ص 120.

5– الشتوة: لعلها الشدَّة كما ذهب إلى ذلك المحقق. ينظر: الهامش (324)؛ التميمي: **المستفاد**، ق 2، ص 121.

الأول، ولم ينقص منه شيء بفضل الله»[1]. وفي سلوكيات الأولياء هذه تشجيع المجتمع على قيم التضامن والتكافل ومحاربة البخل وتدعيم العطاء.

وهكذا أعطى الأولياء أنموذجاً للإحسان والعطاء حتى في أوقات الشدة كالقحط والجوع والغلاء، بل كانوا يعتبرون هذه المساغب فرصتهم لنيل الثواب، وفي هذا الصدد جاء في التشوف أن أبا حفص عمر بن معاذ الصنهاجي (ت 561هـ/1165م) « كان يصطاد أَجباح النحل والحوت من سواحل البحر فيقتات بذلك. ولما أتت على الناس المجاعة عام خمسة وثلاثين وخمسمائة جمع خلقا كثيرًا من المساكين فكان يقوم بمؤنتهم وينفق عليهم ما يصطاده من الحوت وغيره إلى أن أخصب الناس»[2].

وفي مجاعة أخرى ألمت بأهل فاس عام 571هـ/1175م، بلغ فيها التكافل الاجتماعي عند الأولياء قمته من الجانب الإنساني، فقد حرص أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المهدوي على حفاظ كرامة الجياع المحتاجين حتى يقبلوا طعامه فاحتال عليهم، حيث تذكر الرواية المنقبية، أنه كان عنده «في ذلك الوقت، ألف صحفة من قمح. فباع جميع القمح المذكور من أناس أهل ستر إلى أجل، وكتب على كل واحد منهم عقداً بعدَّة ما أخذه والأجل. فلما جاء الأجل، جمع القوم الذين اشتروا منه ذلك الطعام في داره، وأخرج العهود المكتوبة عليهم بذلك وجعلها في الماء وحلّها، وقال لهم: إنما بعته من الله تعالى. ولو قلت لكم: خذوه بلا ثمن، ما اشتريتموه، فاحتلت عليكم بحيلة البيع والتأخير، شكرا لكم»[3]. وبهذا اختار الأولياء تجارتهم مع الله، وحسبهم هي أربح تجارة لأن الحسنة بعشر أمثالها.

1- التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 41، ص 120-121.

2 - ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 59، ص 183.

3 - التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 26، ص 89.

بل سعى الأولياء إلى توسيع دائرة الإطعام والصدقة أو بالأحرى التكافل الاجتماعي إلى الأعيان وميسوري الحال لمواجهة المساغب، وفي هذا الإطار يذكر أبو زكريا يحي بن على الزواوي (ت 611هـ/1214م)، أنه لما أصيبت بجاية بمجاعة قصد أعيانها وجمع منهم الأموال، وجمع المساكين في فندق رفض صاحبه أن يأخذ أجره، و« اشترى لهم من اللباس ما يدفع عنهم البرد واشترى لهم ما يقوم بهم من الطعام وجعل عليهم قيما بهم وأغناهم عن السؤال إلى أن أخصب الناس»[1].

بل من الأولياء من تصدق بكل ما عنده فانتقل من الغنى والكفاف، إلى الفقر والعوز، ففي المجاعة التي ضربت فاس عام 571 هـ/1175م طلب الشيخ أبو زكريا يحي بن محمد بن عبد الرحمن التادلي (ت 576 هـ / 1180 م) من أحد مريديه أن يتصدق بغرفتين له من القمح على الجياع، فلم يبق له سوى قدر من السمن، فجعل يخرج السمن ويجعله على ورق الكرنب يعطه للمساكين، ولم يبق شيئا لابنه الضرير، حتى قال في ذلك ابن الزيات: «انصرم ذلك العام ولم يبق من ماله شيء»[2].

وقد أعطى الولي أبو العباس السبتي لمفهوم الصدقة والإحسان مدلولا واسعا لما ربطها بكل مناحي السلوك الديني، لذلك أقر ابن رشد الحفيد في حق مذهبه بأنه يقوم على اعتبار« أن الوجود ينفعل بالجود»[3]، كما أن ابن الزيات الذي حضر مجلس السبتي مرات عديدة فرأى أن « مذهبه يدور على الصدقة، وكان يرد سائر أصول الشرع إليها [الصدقة]»[4]. وطور من جهته نظرية الصدقة وأصبح يسميها « الاتجار

1 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم : 256، ص 428.

2 – نفسه، رقم: 99، ص 246.

3 – ابن الزيات: **أخبار أبي العباس السبتي**، ص 454.

4 – نفسه، ص 453.

مع الله »[1]، بل كان يأمر من يأتيه لحاجة بالصدقة حتى يتحقق له ما يريد[2]. واعتبر أن « الزكاة إنما فرضت في كل عام للتدرب على البذل والإعطاء»[3].

وقد انتهى أبو العباس السبتي إلى فكرة التصدق بتسعة أعشار المال والاحتفاظ بعشر واحد، وفسر ذلك في قوله « بإعطاء الشطر تكون الوقاية، اتقوا النار ولو بشق تمرة كما قال عليه السلام، وبإعطاء الثلثين يحكم في المخلوقات كالاستسقاء والولاية والعزل ودخول الجنة وأمثال ذلك، وبإعطاء خمسة أسباع يستجاب الدعاء وتكون الكائنات»[4]، إلى أن « انتهى أبو العباس إلى إعطاء تسعة أعشار والتمسك بالعشر وهي النهاية»[5]. كما أن أبا العباس يرى أن الصدقة تشمل إلى جانب المسلمين النصارى واليهود[6].

وهكذا يحق للباديسي أن يذكر من مميزات الأولياء، أنهم « يرحمون صغارهم ويشفقون على يتامى المسلمين، ويطعمون المساكين، ويفرجون كروب المعسرين»[7]، ويحق كذلك لابن الخطيب أن يعتبر الإحسان هو أساس التصوف بما أن أقطابه يسارعون إلى « بذل المعروف وكف الأذى»[8]، بل هناك من اعتبر أن الأعمال

---

1 – محمد المغراوي: **العلماء والصلحاء**، ص 377.

2 – أبو القاسم علي الهواري: **مناقب أبي العباس السبتي**، مخطوط المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم: 1713، ورقة 6.

3 – ابن الزيات: **أخبار أبي العباس السبتي**، ص 453.

4 – نفسه، ص 473.

5 – نفسه.

6 – نفسه، ص 456.

7 – الباديسي: **المقصد الشريف**، ص 21.

8 – لسان الدين بن الخطيب: **روضة التعريف بالحب الشريف**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ج 2، ط 1، مكتبة الخانجي، بيروت، 1970م، ص 474.

التضامنية بالنسبة إليهم في أوقات المحن عبارة عن مراقي في سلم الولاية، صنف على أساسها المنفقون بسخاء من الأولياء ضمن أقطاب الطبقة الأولى[1].

أما عن ادخار الأولياء للطعام، فهناك من أقر أن الأولياء « لا يدخرون ما زاد عن سد الجوعة»[2]، في حين ذكر البعض الآخر أن الولي « لا يدخر قليلًا ولا كثيرًا»[3]، ولا غرابة من هذا وخاصة أن الزهد كان نهج الأولياء، حتى أن المراكشي قال قال في الصالح أحمد بن الصقر الأنصاري (ت 569 هـ/1173م): « لم تختلف له حال ولا تبدلت له سيرة ولا اكتسبت قط شيئا من عرض الدنيا ولا وضع مدرة على أخرى، مقتنعًا بالسير راضيًا بالدون من العيش مع الهمة العلية والنفس الأبية»[4]. حتى حتى أن أبا مدين شعيب قال في ذلك: « المريد إذا أتاه شيء من الدنيا، أخذ بالعلم والرضا ودفعه بالزهد والسخاء، وكان بينهما بخطر»[5]. هذا عن المريد فما بالنا بالولي. بالولي.

وهنا نتساءل كيف بمن لا يدخر قوت يومه يطعم الناس؟ وكيف بمن يدخر القليل يطعم الناس في زمن يعز فيه الطعام خاصة في المجاعات؟. وهل كل ما قيل عن الإطعام وصدقات الأولياء زمن الكوارث مجرد صنع خيال كتب المناقب؟ أم تدخلت عوامل أخرى؟ وإن كان هناك عوامل فما طبيعتها؟.

الأكيد أن مفتاح الإجابة عن هذه التساؤلات هو حصول البركة في الطعام، مثل: تقديم الطعام القليل لعدد كبير من الناس فيكفيهم، وإحضار الطعام المجهز من

1 – عبد الهادي البياض: **الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان (ق 6-7هـ/13-14م)**، ط 1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2008م، ص 266.

2 – أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحضرمي: **السلسل العذب والمنهل الأحلى**، تحقيق محمد الفاسي، مجله معهد المخطوطات العربية، مج 10، ج 1، محرم 1384هـ/مايو 1964م، ص 67.

3 – العباس بن إبراهيم: **الإعلام**، ج 2، رقم: 131، ص 76.

4 – نفسه، ص 77.

5 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 3، ص 43.

غير مجهز، وحصول الزيادة في طعام يؤكل منه فلا ينقص، وحصول الفاكهة في غير أوانها، وحمل الطعام من غير حامل. وهذا ما عرف به من كرامات عند الأولياء[1].

أما عن حصول البركة في الطعام القليل، فقد أتى الولي أبو محمد مع الله بن يحي بن يجاتْنْ الزناتي (ت 536هـ/1141م) بأربعة أرغفة و قربة لبن لأربعين رجلا، فأكلوا وشبعوا عن آخرهم وبقي من ذلك الطعام، وصنع في العشاء زبد في صحفة صغيرة أكل منه هو وزوجته و« الأربعون شابًا ومن معهم من أهل القرية وبقي الطعام عن حاله»[2]. وهكذا وضح لنا هذا النص أن طعام الأولياء بركته لا تنفذ مهما بدا قليلًا، وهذا ما حصل أيضا مع الصالح أبي محمد يسكر (ت 598هـ/1202م)، قال فيها: « كنا نأكل منه ونطعم من يزورنا من إخواننا في الله تعالى ... فلما عزم أبو محمد يسكر على الرحلة إلى فاس اكتلنا ذلك الشعير لنقسمه فوجدنا الكيل كما كان فأخذ كل منا خمسة أمداد ولم ينقص منه شيء»[3]. ولم تقتصر البركة على الإنسان بل الحيوان كذلك فقد روى الزاهد إبراهيم البطال عن نفسه قائلا: « جذبت سدرة عظيمة طرف ملحفتي فقلت لها، أظنك تريدين أن أبيت عندك الليلة والله لا فارقتك فنزلت تحتها ولما كان العشي وجدت مخلاة دابتي مملوءة شعيرًا فعلقتها عليها وقريبًا من الغروب وجدت كوزًا مملوءًا ماءً فتوضأت منه ولما صليت المغرب وجدت قصعة فيها طعام فأكلت وشربت وبت ثمة»[4]. وهذه الرواية المنقبية تقدم لنا نموذجا آخر عن كرامة حصول

---

1 - عبد اللطيف الشاذلي: **التصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر الهجري**، ط 1، مطابع سلا، سلا، 1989م، ص 113

2 - ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 25، ص 134-135.

3 - الصومعي: **المعزى**، ص 172.

4 - البادیسي: **المقصد**، رقم: 42، ص 141.

البركة في الطعام، وقد امتلأت كتب المناقب بمثل هذه الكرامات[1]، فلا تكاد تخلو ترجمة ولي إلا وذكر فيها نوع من هذه الكرامات.

وهكذا اعتمد الأولياء على منح البركة لمريديهم والناس كذلك، للتغلب على المحن والمساغب، وبفضلها أخذ الولي دوره في مجتمعه[2]. وفي شتى المجالات وخاصة الإطعام والصدقة التي نالت الجزء الأكبر من اهتمام كتب المناقب بها، كما عززت مكانة الولي في مجتمعه وخاصة، زمن المجاعات التي يعز فيها الطعام ويغلى، بسبب قلة الماء واحتباس الغيث، وبدوره سعى الولي كذلك إلى حل مشكلة الماء التي كانت من مسببات المجاعات التي مست المغرب الإسلامي، وبها يعزز مكانته عند الناس أكثر؟.

2. السقايا:

تعد مشكلة قلة المياه من أهم المشاكل التي واجهت الإنسان خلال العصر الوسيط بالمغرب الإسلامي، فتحكمت في استقرار القبائل وتنقلها، مما دفع بالناس للاستنجاد بالأولياء وبكراماتهم، فأهل تلمسان لما قحطوا استسقوا بأبي زكريا بن يوغان الصنهاجي (ت537هـ/1142م) فسقوا[3]. وكذلك الحال لدى أهل تادلة لما حل بهم الجفاف، طلبوا من أبي زكريا يحي بن محمد الجراوي أن يستسقي بهم بعد أن « دعوا وتضرعوا والسماء صاحية لا غيم فيها. فقالوا: يا أبا زكريا استسق لنا ! فقام أبو زكريا ورمى بقلنسوته عن رأسه إلى الأرض وكان أقرع وقال: يا رب هذا الأقرع يسألك الغيث. فوالله ما نزل الناس عن ذلك المكان حتَّى مطروا مطرا غزيرا»[4]. ما نلاحظه

---

1 – لمزيد من النماذج في كرامات الإطعام والبركة ينظر: ابن الزيات: **التشوف**، ص 46؛ 56؛ 60؛ 61؛ 66؛ 75؛ 79؛ 81؛ 102؛ 107؛ 133؛ 134؛ 149؛ 162؛ 176؛ 192؛ 219؛ 268.

2 - Joseph Chelhod : **le sacrifice chez les arabes recherches sur l'évolution**, la nature et les fonctions des rites sacrificiels en arabie occidentale, Paris, PUF, 1955, p 67.

3 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم :19، ص 124.

4 – نفسه، رقم: 26، ص 138–139.

في هذا النص أن طريقة استسقاء أبا زكريا الجراوي فيها احتقار وإذلال لنفسه، ليتبعها بتذرع ودعاء.

وعن سرعة الإجابة كذلك تروى لنا الروايات عن الولي أبي الحسن علي بن أحمد الحرالي (ت 637هـ/1242م)، طلب منه أهل بجايه في سنة جدب أن يستسقي لهم فقال: « والله لأشربن من ماء المطر الساعة، فرمق السماء بطرفه ودعا الله سبحانه وتعالى، ورفع يده به، وشرع المؤذن في الأذان، ولم يختم المؤذن أذانه حتى كان المطر كأفواه القرب»[1]، وسرعة الاستجابة في الاستسقاء دليل على صدق الكرامات، وهذا ما زاد من تعلق الناس وارتباطهم بالأولياء. ومن أشهر من عرف بسرعة الاستسقاء الولي الصالح أبو العباس السبتي إلى درجة أنه ما أن يفرغ من دعاء الاستسقاء يقول للناس: « بادروا المطر وخذوا نعالكم بأيديكم»[2]، حتى أن أحد مريديه وهو أبو الحسن على بن أحمد الصنهاجي يقول فيما شهده عليه: « فأخذت نعالي بيدي، فوالله ما وصلنا باب الدباغين حتى غيمت السماء وأنهلت بالأمطار»[3].

بل من الأولياء من كان ينبئ الناس بنهاية القحط قبل الاستسقاء ويدعوهم إلى الاستعداد لسقي أراضيهم، وفي هذا يروى لنا أحد الصلاح عن أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الله قال: « مر بي مولاي أبو العباس، والوادي لا ماء فيه فقال لي: إذا جاء السيل في الوادي فأخرج منه ما تسقي به أرضنا. فقلت: ماذا يقول؟ لعله خرف وأختل عقله، ليس هذا وقت السيل. فلما صعد المنزل يوم الجمعة خطيبًا، استسقى على المنبر، فلم ينزل عنه حتى سقي الناس وجاء السيل في الوادي يوم السبت. ويذكر أن أهل البلد جاؤوا إلى داره ليشكروه على ذلك. فأبى أن يخرج إليهم وقال:

1 – المقري: **نفح الطيب**، مج 2، رقم: 115، ص 189. النبهاني: **جامع كرمات الأولياء**، ج 2، ص 339.

2 – الصومعي: **المعزى**، ص 246. العباس بن إبراهيم: **الإعلام**، ج 1، رقم: 87، ص 250.

3 – الصومعي: **المعزى**، ص 246. العباس بن إبراهيم: **الإعلام**، ج 1، رقم: 87، ص 250.

قولوا لهم: فعل الله عز وجل في ملكه ما يشاء وجئتم تشكروني على فعل الله تعالى؟ انصرفوا عني !»[1].

أما عن تفاصيل الاستسقاء وجدنا التميمي خير من نعتمد عليه في هذا، فهو حضر طقوس استسقاء أهل فاس، كان شاهد عيان على توسل سكان فاس بالولي القطب أبي يعزى خلال عام جدب، فقال: « مشيت معه [أبو يعزى] يومًا لحضور صلاة الجمعة ... فلما وصل الجامع، قام إليه من كان في المسجد الجامع، وشكوا إليه القحط واحتباس المطر، وأن الزرع يحتاج إلى الماء، وكان ذلك وقت الربيع. فسكت الشيخ . فلما صلى الناس وانصرفوا من الجمعة، قام القوم إليه بأجمعهم وكلموه»[2]. ليتبعها التميمي بتفاصيل طريقة استسقاء الولي في قوله: « نزع البرنس عن رأسه والشاشية، شعر رأسه أبيض، ورفع يديه والناس خلفه، وكان لا يحسن العربية، ففهمت من كلامه أنه قال: يا سيدي ! هؤلاء الموالي يسألون هذا العبد أن يسألك الغيث. ومثلي يسألك في ذلك وأجرى دموعه من عينيه، ويتضرع ويبكي. فما رجعنا إلى موضعه، ولا برحنا من ذلك الموضع حتى نزل الغيث، ونزعنا ما كان بأرجلنا من نعال والأقراق بجري الماء، وعمت الرحمة ببركة دعاء الشيخ»[3].

ورواية التميمي هذه تعطينا مجموعة من الملاحظات، أولاها وهي مكانة الولي عند الناس، فما إن وصل أبو يعزى حتى جاءه جميع من في الجامع شاكين، كما تفيدنا الرواية بتعود الناس التوسل بولي صالح مقبول الدعاء في فك كربتهم، وهكذا لعب الولي دور الوسيط بين العبد وربه، وكما لا حطنا سابقا وفي هذا النص أيضا أن

1 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 29، ص 140–141.

2 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 2، ص 32.

3 – نفسه، ص 33. أضاف صاحب كتاب المعزى أن دعاء واستسقاء الولي أبو يعزي كان بلسان بربري، في قوله: « وبقي يتضرع باللسان الزناتي : أَيْمَزِغن؟ أَيْمَزِغن أَدْ رَانْ أَنْزَار؟ أَنْزَار؟ معناه يا ضيفي ويا سيدي ومولاي هؤلاء سادتي طلبوا مني أن استسقي لهم وما قدري؟». الصومعي: **المعزى**، ص 128.

الولي الوسيط يكثر من إذلال نفسه ومعاتبتها بالبكاء ويلح في التذرع إلى الله كثيرًا، كأنه يقر أن سبب الكارثة أو القحط ما هي إلا عقاب إلهي لما اقترفه هو نفسه وعامة الناس من ذنوب.

وحول هذه الملاحظة الأخيرة لنا نص للصومعي يؤكد ما ذهبنا إليه، وهو عبارة عن حوار بين مريد والولي أبو العباس السبتي فقال فيه: « احتبس المطر في بعض الأوقات فقال أبو الحسن الجنان لأبي العباس: أما ترى ما فيه الناس من احتباس المطر؟ فقال له: إنما احتبس بشبح الناس ولو تصدقوا لمطروا، فقل لأصحابك من الفلاحين تصدقوا بمثل ما أنفقتم تمطروا»[1]. وفي هذا النص إقرار من أحد أبرز أقطاب الصوفية بالمغرب الإسلامي أن سبب القحط هو شح الناس وإحجامهم عن الصدقة، وبالتالي حسبه أن القحط عقاب إلهي سببه بشري.

وعلى هذا الأساس بنا أبو العباس السبتي منهجه في الاستسقاء، أي أنه طبق نظريته في الواقع، وفي ذلك مرة « أتاه أهل ضيعته يشكون له قلة المطر وقد يئسوا من زرعهم ومواشيهم فرغبوه في دعاء، فقال لهم: هاتوا الفتوح ، فخرجوا من عندهم وأتى كل واحد منهم بما أطلق الله على يده ... فقال لهم الشيخ تمطرون إن شاء الله فمضوا ونزل المطر عليهم ولم ينزل بمكان الرجل الخوان قطرة واحدة، فرجع إلى الشيخ وقال له يا سيدي ما نزل بمكاني شيء، قال خنت الله تعالى في الشكر وأخذت ثمن الماء الذي يكفيك ويرويك»[2]. وهكذا في هذا النص نلاحظ أن الولي السبتي طبق منهجه في الواقع ومارسه، كما لاحظنا أن الكرامة استثنت في الغيث شخصا خوانا، وهذه إشارة إلى أن الشخص بقدر بذله وإنفاقه يكون نصيبه من المطر، أما المتردد أو من أنقص من قيمة الفتوح [الصدقة] لا نصيب له من الغيث وهو ضمن خونة

---

1 – الصومعي: **المعزى**، ص 238.

2 – العباس بن إبراهيم: **الإعلام**، رقم: 87، ص 272-273.

الشكر، أما نزول المطر بما كان دون غيره فلا عجل في ذلك فقد اشتهر السبتي بـ « إجابة الدعاء بنزول المطر واختصاصه بمكان دون آخر»[1].

أما القطب الغوث أبو مدين شعيب فقد أبدع في الاستسقاء بقرضه الشعر، وله في ذلك القصيدة الغيثية التي نظمها لدعاء الله وتضرع له لغرض الاستسقاء[2]، ولم يكتف الأولياء بالإبداع في طرق الاستسقاء فقط، بل أثروا في الناس حتى استسقى بهم الناس حتى في مماتهم، فهذا الصالح الشيخ أبو زكريا بن يوغان الصنهاجي بعد وفاته عام 537هـ/1142م استسقى به أهل تلمسان فسقوا[3]، وكذلك الولي أبو العباس السبتي الذي « كان أمره عجبا في إجابة الدعاء بنزول المطر»[4]، وحتى « لما توفي ظهر هذا الأثر على تربته»[5]. وهكذا كان الاستسقاء بواسطته يتحقق في محياه أو مماته شريطة أن يلتزم الشخص بالفتوح كما سبق وأن ذكرنا.

وهنا يتبادر إلينا سؤال وهو إن سلمنا بالتوسط بالأولياء للاستسقاء أو تفريج الكروب وهم أحياء، فكيف يتم ذلك وهم أموات؟ وما سند الصوفية في ذلك؟.

الأكيد أن كتب المناقب لم تغفل هذه النقطة الحساسة، بل ذهبت إلى أساس فكرة الاستسقاء وهو الإقرار بالذنب وإعلان التوبة كشرط لرفع العقاب الإلهي المتمثل في القحط والجفاف، وكانت مرجعيتهم في ذلك نص دعاء العباس عم الرسول ﷺ الذي دعا به للاستسقاء حين قال: « اللهم عندك سحاب وعندك ماء، فانشر السحاب، ثم أنزل الماء منه علينا ... اللهم، إنك لم تنزل بلاء إلا بذنب ولا تكشفه إلا بتوبة وقد

1 – الصومعي: **المعزى**، ص 248.

2 – العربي بن مصطفى الشوّار: **ديوان القطب الرباني العارف بالله الصمداني الشيخ سيدي شعيب أبي مدين بن الحسين الأنصاري الأندلسي ت 594هـ**، نشر: محمد بن العربي بن مصطفى الشوّار، ط 1، مطبعة الترقي، دمشق، 1357هـ /1938م، ص 68–69.

3 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 19، ص 124.

4 – الصومعي: **المعزى**، ص 248.

5 – العباس بن إبراهيم: **الإعلام**، ج 1، رقم: 87، ص 299.

توجه القوم بي فاسقنا الغيث، اللهم شفعنا في أنفسنا وأهلينا، اللهم إنا شفعاء عمن لا ينطق من بهائمنا وأنعامنا .... فقال أبو عمر رضي الله عنه: هذه والله الوسيلة إلى الله والمكان منه»[1].

أما عن التوسط بالأولياء فإن شرعنته أتت كذلك باستسقاء الخليفة عمر رضي الله عنه بالعباس عم الرسول ﷺ حين صعد عمر المنبر ومعه العباس وقال عمر: «اللهم، إنا قد توجهنا إليك بعم نبينا وصنوا أبيه فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين». وهذا الاستسقاء كان في عام الرمادة سنة 17هـ/638-639م لما أصاب المسلمين قحط شديد، وهكذا رجعت كتب المناقب إلى الرعيل الأول من الصحابة لشرعنة التوسل بواسطة الأولياء في الاستسقاء.

وهكذا جسدت الرواية المنقبية نظرية أن الإنسان بذنوبه هو المتسبب في العقاب الإلهي المتمثل في الكوارث الطبيعية، وأما الإذلال والبكاء والتضرع لدى الأولياء لرفع غضب السماء، إنما هو رسالة موجهة إلى العامة كدعوة للرجوع إلى الدين والتوبة النصوح، حتى أن أحد المستشرقين اعتبر أن دور الأولياء تمثل في «الإشراف على تنظيم و تصحيح العلاقات مع الغيب»[2]. و بهذا صار الولي الوسيط بين الخالق والعبد، وهو ما زاد الأولياء مكانة ورفعة لدى العامة من الناس، وهذه المكانة تجسدت في أدوار أخرى قام بها الولي خدمة لمجتمعه كالدور التطبيبي وغيره.

---

1 – ابن الزيات: **التشوف**، ص 68.

2 - Jacques Berque: **Ulémas fondateurs insurgés du Maghreb XVIIe siècle,** Sindibad, Paris, 1982, p 68.

3. التمريض والتطبيب:

كشكل آخر من أشكال الوظيفة الاجتماعية اشتهر بعض الأولياء بالتطبيب، لذا قصدتهم العامة حيث ما كانوا للاستشفاء من الأمراض، وهذا لأن الأولياء أثبتوا جدارتهم في هذا المجال، إذ استطاعوا علاج العديد من الأمراض التي استعصت على الأطباء، حتى إن أحد الباحثين اعتبر أن دور الولي « يبدأ عندما ينتهي دور الطبيب»[1]، فمثلا نجد الصالح الزاهد أبا جبل يعلي نجح في علاج طفل مصاب بقروح في رأسه عجز الأطباء عن شفائه[2].

أما عن الأمراض المستعصية عن الأطباء كالكساح والعمى والبرص والصرع، فقد استطاع الأولياء إبراء الكثير من الناس منها، فهذا ابن الزيات يخبرنا في رواية أم لها ولد مصاب بصرع ذهبت به إلى الولي أبي لقمان يرْزْجان بن يعقوب الأسود (ت 570هـ/1174م)، فقالت للولي: « يا أبا لقمان، هذا الولد يعتريه الصرع. فقال لها: لست بطبيب فاحمليه إلى الأطباء، فقلت له أنا [عبد الله عيسى]: أما الأطباء فقد عجزوا ولم يبق إلا طب الله تعالى. فلما سمع كلامي قربني ومسح على رأسي فما أصابني الصرع من حينئذ إلى الآن»[3]. وكذلك ابن الزيات يخبرنا في رواية أخرى عن فتاة شفاها الولي أبو تميم عبد الواحد الأسود بريقه من البرص أين عجز أمهر الأطباء عن ذلك[4]، وهكذا يمكننا القول أنه عندما يعجز طب الدنيا فيكون الملجأ طب الله تعالى.

وهكذا تعددت وسائل العلاج عند الأولياء، مرة بالمسح ثم بالريق، وكذلك الدعاء، فالولي القطب ابن حرزهم دعا لصبي أبكم عمره أربع سنوات فتكلم في حينه

1 – عبد اللطيف الشاذلي: **التصوف والمجتمع**، ص 116.

2 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 86، ص 190–191.

3 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 86، ص 233

4 – نفسه، رقم: 117، ص 269.

بقوله: « أطلق الله لسانه»[1]، وكان الولي أبو إبراهيم إسماعيل بن وجْماتن الرجراجي يشفي المرض بالمسح على أعضاء الجسم التي أصابتها العلل، كما أنه يشفي الناس بإعطائهم البسباس « فينفع لكل داء»[2]. أما الولي أبو العباس السبتي شفا طفلًا مجذوما بإعطاءه حبة خيار، وهذا الأخير كان يطلب من مرضاه الفتوح مقابل مداواتهم[3]، وكان التطبيب كذلك بالتّفل أيضا، فقد روى صاحب التشوف، عن أبي زكريا يحي بن ميمون الصنهاجي الأسود (ت 601هـ/1204م) والولي أبو شعيب، قائلاً: « خدم أبا شعيب أيوب السارية وكان يقول: سألت أبا شعيب أن يتفل في فمي. فلم أزل به إلى أن فعل. فكان يبرئ العلل بالتفل عليها»[4]. وهكذا تنوعت وسائل الأولياء في التطبيب بين المسح والريق والتفل والدعاء والطعام وحتى الحروز.

أما عن التطبيب بالحروز[5]، فقال في شأنه عبد العظيم الأزموري: « إن الشيخ أبا عبد الله [أمغار الكبير] أتاه رجل فكتب له رقعة فعلقها عليه فبرئ من ساعته بإذن الله، فجعل كل من اعتل بموضعه يعلقها فيبرأ من ساعته بإذن الله. فمسكوها عندهم يتبركون بها مدة من الزمان. فلّما كان ذات يوم فتحوها فوجدوا فيها مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ»[6]. ولم يكتف الناس باستعمال الحروز للاستشفاء فقط بل للوقاية للوقاية كذلك، وفي هذا قال أحدهم: «... من أهل العلم والدين: كنت ذات يوم معينا

---

1 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 1 ، ص 20.

2 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 180، ص 352-353.

3 – أبو القسام الهواري: **مناقب أبو العباس السبتي**، ورقة 12، ورقة 18 الظهر.

4 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 228، ص 414.

5 – يوجد تداخل بين السحر والمعجزة، الأول مصدره الشياطين والعوالم العلوية والأفلاك لا يأتي منه إلا شر وهو أنواعك السحر، والطلمسات، وعلم أسرار الحروف وهذا من تفاريع علم السمياء الذي هو عمل أهل الكشف من المتصوفة، كما أنه يوجد لبعض المتصوفة وأصحاب الكرامات تأثير في أحوال العالم وليس معدودا من جنس السحر.أما المعجزة فمصدرها الإمداد الإلهي ومقصدها الخير. ينظر: ابن خلدون: **المقدمة**، ص 494-500. محمد مفتاح: **الخطاب الصوفي مقاربة وظيفية**، ط 1، مكتبة الرشاد، الدار البيضاء، 1417هـ/1997م، ص 86-87.

6 – الأزموري: **بهجة الناظرين**، ص 105. نقلا عن: أحمد الوارث: **التيار الصوفي**، ص 357.

للشيخ أبي عبد الخالق [أمغار] في جنانه في جني العنب ونشره وتزبيبه، فعملت ذلك كله أحسن ما يكون فنظر إليّ، وقال: أحسنت أحسن الله لك. فكتب لي بطاقتين صغيرتين، وقال لي: علّقهما عليك يقيك الله من كل سوء إن شاء الله، فدعا لي بخير، فأخذت البطاقتين وعلقتهما وعدت إلى عملي ...»[1].

وأشهر الأولياء على الإطلاق من عرفوا بالإشفاء، هو الولي أبو يعزى يلنور الذي أشفى جارية كانت تستغيث من شدة الألم الذي بعينها فبمجرد المسح عن عينها أبصرت[2]، كما كان يدخل يده إلى جسد المريض ليمسح عليه، وفعل ذلك مع صبية مريضة فشفيت[3]، وهذا الفعل جرى عليه انتقاد الفقهاء، وكان رد الولي أن المرأة لما تمرض يجوز أن يلمسها طبيب، فكيف يعاب عليه هذا وهو يقوم بدور الطبيب. وإلى جانب ذلك كان يرقي من به صرع جن ويخرجه من الجسد[4]، وكان يستعمل في علاجه أوراق الدفلي[5] وورق الزيتون يمضغه ويتفل موضع العلة لذوي العاهات والمجانين والأمراض المستعصية على الأطباء[6].

لأجل ذلك اعتبر العزفي أن « إبراء المجانين والمرضى وشفاء ذوي العاهات على يديه .... فثابت بالتواتر على لسان العدد الكثير، والجمع الغفير الذي يستحيل تواطؤ على الكذب في مستقر العادة. فإن المئين من الوافدين والزائرين والقاصدين أخبروا بذلك وشاهدوه أفواجا بعد أفواج وزمرا بعد زمر»[7]. وقد وصف التميمي– وهو شاهد عيان– في إحدى زيارته لأبي يعزى، رغبة الزائرين والقاصدين للحصول على

---

1 – الأزموري: **بهجة الناظرين**، ص 128. نقلا عن: أحمد الوارث: **التيار الصوفي**، ص 357.

2– ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 77، ص 217.

3 – نفسه، ص 220.

4 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 2، ص 37.

5 – الصباغ: **بستان الأزهار**، ورقة 52 ظهر.

6 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم 2، ص 39.

7 – العزفي: **دعامة اليقين**، ص 36.

بركة الشيخ خاصة في الإشفاء: « فرأيت فيهم من جاءه بإناء فيه زيت يرقيه له، ففعل، ومنهم من سأله عقد خيطٍ، ففعل ذلك لجماعة. ثم جاء بعضهم بعشب من أعشاب الأرض يرقيها له، ففعل. ثم أخذ بعضهم من الطعام بقية فسأله أن يرقيها له، ففعل. فتابع على ذلك حتى نفذ الطعام الذي كان بين أيديهم. ثم قال أحدهم: عسى شيء من شعر رأسك، فنزع شاشية العزف على رأسه .... وقص من شعره، ثم تابع الناس يقصون منه حتى فني شعر رأسه ...»[1].

ومن خلال نصي العزفي والتميمي، نلاحظ بوضوح اعتقاد العامة في كرامات الأولياء ونخص بالذكر هنا الإستشفائية، واعتقادهم كذلك ببركة الولي، وهذا ما يترجم أن الدور التطبيبي للولي في المجتمع يعد ضرورة خاصة كما سبق وأن ذكرنا أن دور الولي يبدأ أينما ينتهي دور الطبيب.

وهكذا فإن الكرامة والبركة حضرت بقوة في دور الولي الإستشفائي، على غرار الإطعام والصدقة والاستسقاء، وهذا دليل على أن المجتمع واجه مشاكل صحية وبائية كما واجه الكوارث والمجاعات والجفاف، فتوجه إلى أوليائه معتقدًا فيهم إمكانية العلاج والشفاء لأمراضهم وعللهم بفضل كراماتهم ودعائهم، وهذا شأنه شأن قضاء الحوائج والإصلاح بين الناس.

4. قضاء حوائج الناس وإصلاح ذات البين:

اتخذ الأولياء من مساعدة الناس على قضاء حوائجهم منهاجًا وطريقا لهم في خدمة مجتمعهم، وكتب المناقب شاهدة على ذلك، فمن أرباب التصوف الذين عرفوا وشهد لهم بقضاء الحوائج، نجد أبا عبد الله محمد بن يَبْقَى الذي « ألزم نفسه المشي في قضاء حوائج الناس، أي حاجة كانت، عند من كانت»[2]. وكذلك أبو إسحاق إبراهيم بن

1 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 2، ص 38.

2 – نفسه، رقم: 09، ص 58.

يغمر كان « كثير النفع للناس، يتصرف في حوائجهم، لا يحقر أحدًا وصل إليه في حاجة، بل يقبل عليه، ويأخذ بقلبه ويقضي حاجته إذا كانت، عند من كانت»[1].

وقد استغل الأولياء مكانتهم عند بعض رجال السلطة لأخذ الشفاعة لغيرهم، فقد شكا رجل إلى الولي أبو محمد عبد الله بن صاعد، قائلا: « أنا ضعيف وذو عيال، ولا قدرة لي أن أكون من غزارة البحر وكان ابن عمروس على البحر. فقال لي: أذهب إلى ابن عمروس وأقرأ عليه سلامي وقل له أن ينظر في أمرك»[2]، وكذلك الولي أبا شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي لما أشخص سنة 541هـ/1146م، بأمر من الخليفة عبد المؤمن بن علي، غير أن الخليفة رأى العجب من الولي فعظمه وعرض عليه قضاء جميع حاجاته، فقال له الولي: « لا حاجة لي إلا أن تشفعني في نساء على بن يوسف ونساء أولاده وتسرحهم حيث شاؤوا»[3]، فامتثل الخليفة لطلب أبي شعيب.

أما الولي أبو الحسن بن حرزهم فكان مقصودًا كثيرًا من الناس، أتاه مرة شخص خائف من رجل توعده بشر وله حظوة عند أولي الأمر، فدعا الولي على الرجل بأن يشغله الله بنفسه، فعاش الأخير بعد ذلك مدة خمس وعشرين سنة ما تزول عنه نكبة حتى يقع في أخرى[4]، وأتت ابن حرزهم كذلك امرأة في ولدها المسجون، وطلبت منه أن يكلم القاضي لإطلاق سراحه[5]. وجاءته امرأة أخرى سرق بيتها، وتريد استرداد مسروقاتها « فقال [ابن حرزهم]: المؤذن أخذ متاعك. فبعث إليه فقال له: ما معنا ثالث الآدميِّين، فردَّ متاعها في خفية وإلا كتبت للقاضي في أمرك. فاعترف

1 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 34، ص 102.

2 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم : 125، ص 279.

3 – الصومعي: **المعزى**، ص 75.

4 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 01، ص 20.

5 – نفسه، ص 24.

المؤذن بمتاع المرأة ورد ذلك إليها»[1]. وفي هذه الرواية الأخيرة يقوم الولي بدور السلطان في حماية الأشخاص وممتلكاتهم واستتباب الأمن.

وفي هذا المسعى الأخير، كانت هناك مبادرات فردية للأولياء لاستباب الأمن وتأمين طرق التجارة كذلك، فهذا الولي أبو صالح عبد الحليم بن هارون سعيد الهسكوري (ت 593 هـ/1196م)، كان « يجيز الرفاق من المخاوف. فإذا سمع اللصوص بأنه تقدم رفقة فروا ولم يتعرضوا لها. وكان يتقدم الرفاق من بلد إلى بلد على قدميه محتسبا لا يبتغي عن ذلك أجرًا إلا من الله تعالى»[2]. كما كان للبركة أثر على التجارة فمن ذلك سوق الأحد برفروفة القريب من بلاد داي، إذ طلب الناس من الولي أبي موسى عيسى بن سليمان الرفروفي الدعاء لهم، « فدعا لهم بربح في تجارتهم. فمن ذلك اليوم لا يشتري أحد في تلك السوق تجارة إلا ربح فيها»[3]. وهكذا تأتي بركة الولي لتضيف على النشاط التجاري وغيره طابع النمو والرواج، وهذا ما ينعكس مباشرة على المستوى المعيشي للفرد المغاربي، من تسهيل للمكسب ومساهمة في الرخاء الاقتصادي.

وهكذا لعب الولي دور قاضي الحاجات بشتى أنواعها من وساطة لدى السلطان إلى حماية الأشخاص والأملاك وطرق التجارة والمساهمة في ازدهارها كذلك. بل إن تدخل الولي شمل جوانب أخرى، كان لها الأثر الواضح في تثبيت دعائم العلاقات الاجتماعية سواء كانت عائلية أو قبلية.

كما أصلح الأولياء الخلافات الأسرية التي كانت تحدث بين الزوجين، التي كانت دائما ما تنتهي بالطلاق، فعمل الأولياء على تفادي وقوعه، ولنا في ذلك أن أحد تلامذة أبي مدين شعيب تشاجر مع زوجته فكسر أواني البيت ونوى فراقها فذهب إلى

1 – التميمي: **المستفاد**، ق 2، رقم: 01،ص 21.

2 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم : 172، ص 339.

3 – نفسه، رقم : 12، ص 109.

مجلس الشيخ، فلما انصرف الناس لزمه، وقال له: « أمسك عليك زوجتك واتق الله»[1]. وهنا ما نلاحظه أن الولي أمر المريد بالتمسك بزوجته وأن لا يطلقها، دون الدخول معه في الأسباب والمجادلة، وهنا يتضح لدينا أن العلاقة الزوجية مقدسة عند الأولياء، ولا مجال للتلاعب بها خاصة في حالة الغضب، كما يفيدنا هذا النص كذلك في إعطائنا صورة عن علاقة الولي بمريده، حيث أن أمره يطبق دون أي مناقشة، وهو ما يوضح بشكل جلي طاعة المريد لوليه، وهذا من أساسيات الفكر الصوفي أي تسليم المريد بإرادته لوليه أو شيخه.

وما ساعد أبا يعزى على القيام بذلك، ما « كان عنده من حسن السياسة والرفق بالقلوب والسعي في إصلاح ذات البين وتواد الزوجين ما تشتهي سماعه الأنفس وتقربه العين. فقلما كانت تهدى عروس من أهل تلك البلاد المجاورة لبعلها حتى يوتى بها إليه برسم الدعاء لهما والتبريك عليهما حتى يذهب النفار والشراد ويسرهما ويضحكهما حتى يقوم بينهما من الأنس والتأليف المأمول والمراد وينصرفا إلى بيت بنائهما»[2].

وقد تجاوز تدخل أبي يعزى في القضايا الأسرية إلى حل المشاكل والحروب القبلية، وكان أهل القبائل هم من يلجئون إليه بأنفسهم لفض النزاعات وعقد الصلح بينهم، وكانوا يرضون بأي حكم حكمه بينهم[3]. كما كان أحد مثيري الفتن بين القبائل وهو سنوس بن موسى ، فشكاه الناس إلى الولي أبي وزجيج يِفْراكْسْ بن يسُولال الدكالي (ت 540هـ/1145م)، فدعا الله أن يبعده ويريح الناس منه، فكان له ما أراد واستراح العباد[4]. وهكذا ساهم الأولياء في تثبيت دعائم العلاقات الأسرية والقبلية بالمغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين.

---

1 – يحي بن خلدون: **بغية الرواد**، ص 126.

2 – العزفي: **دعامة اليقين**، ص 41.

3 – نفسه، ص 41–42.

4 – ابن الزيات: **التشوف**، رقم: 36، ص 151.

وفي ختام هذا الفصل نسجل الملاحظتين مهمتين:

الأولى: تعددت وظائف الأولياء داخل مجتمعهم سواء المرابطي أو الموحدي من ترسيخ الدين والتربية، وتدعيم الأخلاق الكريمة ومحاربة الفساد، وتقديم خدمات الإطعام والاستشفاء، والتطبيب، إلى قضاء الحوائج، والإصلاح بين الأشخاص والقبائل، وكل هذه الوظائف تكمل بعضها بعضًا، وجميعها تدخلت فيها الكرامات بشكل حاسم، ولاحظنا أن هذه الكرامات غاب فيها التخصص في مجال دون الآخر، مما يوحي أن ذهنية المجتمع كان يشوبها الخوف من المجهول والاتكال على الغيب وهذه الذهنية أدت بالمجتمع إلى اللجوء إلى دعاء الولي وكرامته.

الثانية: أن الولي يستجيب لشروط عصره فيقدم الحلول لمشاكل وصعاب تعترض مجتمعه (أكل/ جوع، مطر/جفاف، علاج/مرض، عدل/ظلم، صلاح/ فساد) وهكذا يقدم البديل والمضاد لما تقدمه السلطة، فيصير منافسها ومعارضها لأنه يقدم لها الحلول عن طريق خوارقي، وهذا ما يكرس تفوقه المادي والرمزي عليها[1]. وهذا ما أوجب عليه الرد بالإحتواء وتهميش وكبح، وأحيانا بالإشخاص وسجن والقمع، كما سبق وفصلنا في الفصل السابق.

الثانية: أن التماس المجتمع من الولي بركته ودعاءه إنما هو عربون اعتراف مجتمع مسلم لأطر برهنت من خلال سلوكها السوي عن استحقاق أخذ مكانتها المرموقة والعلية في هذا المجتمع، الذي اعتقد يقينا في تلك الخوارق، وهذا يترجم أن دور الولي في المجتمع كان ضروريا، سواءً أثناء حياته أو بعد مماته.

1 - عبد الرحيم العطري: **بركة الأولياء**، ص 62-63.

الخاتمة

إن الفصول الستة المكونة لهذه الدراسة ترتكز على دراسة ثنائية وهي الأولياء والمجتمع بشقيه السلطة والعامة، وانعكس ذلك على الهيكلة العامة للدراسة، فجاء الفصلان الأول والثاني كتوضيح لمميزات وخصوصيات المجتمعين المرابطي ثم الموحدي، أما الفصل الثالث والرابع فجاءا كبحث في ماهية الولاية، وأسباب نشأتها الأولى، وظروف وخصائص تطورها، وأفكار وتركيبة الولي المرابطي والموحدي؛ ليكمل الفصلان الأخيران جدلية هذه الثنائية، إذ حللا العلاقة بين الأولياء والمجتمع، وبحثا في ثوابت ومتغيرات هذه العلاقة.

وعلى العموم فإن النتائج التي خلصنا إليها في إطار هذه الهيكلة العامة للموضوع، تتمحور حول النقاط التالية:

1- إن خصوصية الفترتين المرابطية والموحدية من تاريخ المغرب الإسلامي، هي خصوصية تواصل واستمرارية مع الماضي، بل تستمد منه أهم مقوماتها، كتعمق الدين الإسلامي وتجذر المذهب السني عند كافة فئات المجتمع المغاربي، وقد تعرضنا في ثنايا البحث إلى آراء بعض الباحثين الذين يقرون بقطيعة هذه الفترة وأفكارها عن الماضي وتعد أراؤهم ضمن الأحكام الجزافية، والبعيدة كل البعد عن الموضوعية، ونؤكد لهم ولغيرهم أن الهوية المغاربية تطورت عبر فترات ومحطات وكان من أهمها فترتا المرابطين والموحدين.

2- كانت فترة المرابطين والموحدين ، فترة استقرار وازدهار ورخاء، وهذا عكس ما حاول ترويجه البعض أن هذه الفترة فترة أزمة واضطرابات على جميع الأصعدة، حيث قامت خلال هذه الفترة باسم الدين حركتان للإصلاح السياسي والاجتماعي بالاستناد إلى العصبية القبلية لكل من صنهاجة ثم مصمودة، واستطاعا إقامة كيانين سياسيين

وهما الدولة المرابطية والموحدية، ونتج عن ذلك استقرار سياسي، وترتب عن الأخير ازدهار اقتصادي فخفت المغارم والمكوس على الناس، وهذا ما أدى بدوره إلى الرقي الثقافي فصار المغرب مقصدا للعلماء والفقهاء من جميع الأنحاء ، ويحسب للدولة المرابطية في هذا المجال ترسيخ الوحدة المذهبية للمغاربة في المذهب المالكي ، أما الدولة الموحدية فكان لها الفضل في ترسيخ الأشعرية الخالصة البعيدة عن الأشعرية التومرية؛ وهكذا تشكلت تحت إمرة هاتين الدولتين ملامح الهوية الدينية المغربية.

3- إن تحول النظامين المرابطي والموحدي من حركة دينية إصلاحية الى ملك سياسي، أدى إلى جملة من النتائج يمكن اعتبار أغلبها سلبي، فبرزت مظاهر الغنى والترف، فاستفادت من ذلك فئات دون أخرى، ويأتي على رأس هؤلاء الحكام وبعض من والاهم من الفقهاء وغيرهم، فأدى ذلك إلى اتساع الهوة وزيادة التباين الاجتماعي بين فئات (طبقات) المجتمع على جميع الأصعدة؛ فنتج عن ذلك ظهور بعض المظاهر الاجتماعية المناقضة للإسلام، كمعاقرة الخمور والزنا واللّصوصية وغيرها.

4- وهذه التحولات العامة التي عرفها المغرب خلال عهدي الدولتين المرابطية والموحدية، وكذلك السلوكات السياسية للحكام على الرغم من منطلقاتهم الدينية إلا أنهم ساروا في اتجاه دنيوي، وأمام استحالة الجمع بين الدين والدنيا عند من اعتبروا أنفسهم طلاب الآخرة وهم الأولياء، تهيأ مناخ مناسب لانتشار الفكر الولائي عند كافة فئات المجتمع المغاربي.

5- وأمام محاولة الكثير من الدراسات تفسير ازدهار الولاية خلال العصر المرابطي الموحدي ببعض العوامل الظرفية، السياسية أو الفكرية أو الاقتصادية، غير الحق خلاف ذلك، فالظاهرة الولائية لم تكن نتاج فترة معينة، إنما كانت امتدادا تلقائيا لظاهرة الزهد التي تعود إلى مرحلة الفتح الإسلامي.

6- حاول البعض التشكيك في منشأ الظاهرة الولائية خاصة المستشرقون، وردوها إلى كل الديانات غير الإسلام، غير أن أصحاب الفكر الولائي كان سندهم القرآن والسنة، وتجربتهم الولائية إسلامية خالصة، وهي نتاج لتلاقح تجارب ثلاثة أقاليم إسلامية، وهي المشرق والمغرب والأندلس، وإن سلمنا بأن بعض ما جاء من تعاليم وأفكار ولائية ربما أصولها مسيحية أو حتى يهودية، فهذا لا ينقص شيئا من قيمة التصوف، لأن الإسلام جاء خاتمة لباقي الديانات السماوية، وبالتالي فأصلهم واحد وهي تشاريع إلاهية سماوية.

7- انطلق بعض المستشرقين من نظرية أنثربولوجية ترى أن البربر أقبلوا على الولاية دون غيرهم وأن ظهور الأولياء فيهم يعود إلى فرضية الأصول الأمازيغية، كما اعتبر بعضهم الآخر أن تقديس الأولياء وتبجيلهم مظهر حنين إلى معتقدات المجتمع الأمازيغي الوثني لما قبل الإسلام، وهذا خطأ لأن ظاهرة الولاية انتشرت عند كافة أجناس الشعوب الإسلامية، كما أن هذه الظاهرة انتشرت بالمغرب الإسلامي عند البربر والعرب وحتى ذوي البشرة السودانية وغيرهم، وقد أبرزنا نماذج ولائية كثيرة من كل فئة، غير أننا نقر أن انتشار الأولياء كان أكثر عند البربر من باقي فئات المجتمع الأخرى.

8- أصبح الأولياء خلال العصر المرابطي والموحدي ذوي حضور قوي رغم افتقارهم إلى هياكل وتنظيمات، وأهم خصوصياتهم خلال هذه الحقبة انفتاحهم على الآخر، ففي علاقتهم مع السلطة تبدو مواقف لافتة من حيث جرأتها ، فكانت أراؤهم أحيانا منسجمة مع الاختيارات التي تبنتها السلطة، وفي بعض الأحيان مناقضة لها، وهكذا تنوعت العلاقة بينهما، بين الود والبغض، وبين التسامح والتصادم، وبين إجزال العطايا والإشخاص، وبين الانفتاح وكذلك الانقباض، وهذا التنوع في طبيعة العلاقة كان انعكاسا لظروف ظرفية لكلا الطرفين، ونتيجة كذلك لاختلافهم في المبادئ

الحياتية، فالأولياء يرون أنفسهم طلاب آخرة، وينظرون للحكام على أنهم طلاب دنيا، وأمام فئتين متناقضتين من المجتمع حيث أن الأولياء أصحاب تيار فكري سلوكي يعتبر الحياة الدنيا طريقا للآخرة، وأما السلاطين فهم أصحاب ملك يسعون بشتى الطرق للحفاظ عليها، وهكذا رغم التناقض بين الفئتين إلا أنهما تعايشا مع بعضهما في أغلب الأحيان، حفظا منهما للمصلحة العامة وابتعادا عن الفتن، وهكذا لعب الأولياء دور المعارضة الايجابية.

9- كان للأولياء دور في تقويم الدين الإسلامي وترسيخه في مجتمعهم، وبعث التربية الدينية الصحيحة، وتدعيم الأخلاق الكريمة ومحاربة الفساد وخاصة الأخلاقي، وما كان لهم ذلك لولا تجسيدهم في أنفسهم حياة التقشف والسلوك الأخلاقي الراقي، وقيم الرحمة والإحسان والقناعة، والإيثار، فقربوا إلى تحقيق كمال الإنسان الأخلاقي، فقدموا أنفسهم كقدوة لمجتمعهم الذي صار يعتقد في أوليائه.

10- كما لعب الولي أدوارًا اجتماعية مهمة جعلت منه ضرورة من ضروريات الحياة، ولا يمكن الاستغناء عنه ولا حتى إهماله، بفضل كراماته وبركاته ، فخاض في قضايا مجتمعه وتفاعل معها وقدم البدائل والحلول كلما عجز السلطان وغيره عن إيجاد الحلول، وظهر هذا الدور جليا خاصة في الإطعام والسقايا وتطبيب المرضى وإيواء اللاجئين، وسد حاجة الفقراء وحل النزاعات الفردية والقبلية ومحاربة الغلاة والكفار، وهكذا استطاع الولي أن يتغلغل في نفوس العامة والخاصة، فصار جزءًا من ذهنية مجتمعه فساد اعتقاد العامة والخاصة فيه.

11- لا ينتهي دور الولي اتجاه مجتمعه بوفاته بل يستمر بعد مماته، فهو ينفع الناس ويقضى حوائجهم في حياته وحتى وهو في قبره، ولذا أخذت قبورهم وأضرحتهم مكانة في نفوس الناس فبنوا القباب على قبورهم، وتنافس الناس في تزليجها وزخرفة حيطانها وسقوفها، وصارت مزارات يأتي إليها المريدون وأصحاب الحاجات بأعداد

غفيرة، وتقام فيها الطقوس وتقدم فيها الفتوح، الأمر الذي جعل تلك الأضرحة في مستوى مقامات أصحابها.

وفي الأخير خرجنا بتقويم عام لأولياء المغرب الإسلامي خلال فترة دراستنا، فقد كانوا بعيدين كل البعد عن مظاهر الغلو والتطرف والانحراف، أي أن منهجهم كان سنيا بحتا بعيدين عن المغالاة في الزهد والإعراض عن ملذات الحياة، كما كان تصورهم سنيا ذكيا ذا بعد أخلاقي يكاد يخلو من النزعات الفلسفية. كما كان الولي معايشا ومحتكا بمجتمعه، يقدم لهم خدمات مختلفة، فقابلوه بالاحترام والتبجيل وصار جزءًا من المقدس عندهم.

المـــــــلاحــــــق

- **الملحـق الأول:** قطعة من رجز لطاهر بن زيان في ذكر سند أبي مدين شعيب في ذكر سند أبي مدين شعيب عن ابن حرزهم عن أبي بكر بن العربي.
- **الملحـق الثـاني:** قطعة من قصيدة أبي عبد الله شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله الصنهاجي البوصيري في ذكر سند أبي مدين شعيب عن ابن حرزهم عن أبي يعزى يلنور عن أبي بكر بن العربي.
- **الملحـق الثالث:** سند أبي مدين شعيب عن ابن حرزهم عن أبي بكر بن العربي.
- **الملحـق الرابـع:** سند أبي مدين شعيب عن ابن حرزهم عن أبي يعزى يلنور عن أبي بكر بن العربي.
- **الملحــق الخـامس:** الأمراء المرابطون وفترة حكمهم.
- **الملحـق السـادس:** الخلفاء الموحدون وفترة حكمهم.
- **الملحـق السابـع:** أولياء القبائل البترية من خلال التشوف.
- **الملحـق الثامـن:** أولياء القبائل البرنسية من خلال التشوف.
- **الملحـق التاسـع:** أولياء ذوي الأصول العربية بالمغرب الإسلامي من خلال التشوف.
- **الملحـق العاشر:** أولياء سود بالمغرب الإسلامي من خلال التشوف.

الملحق الأول

قطعة من رجز لطاهر بن زيان في ذكر سند أبي مدين شعيب في ذكر سند أبي مدين شعيب عن ابن حرزهم عن أبي بكر بن العربي

عن شيخه ابـن حـرزهـم محمد   ابـن علـي الإمــام المهتـــدى
عن شيخه أعني الإمام الناصح   أبــي محمد ويــدعـى صـــالـــح
عن شيخه حبر الهدى الغزالي   عن شيخه الزكى أبي المعــالي
عن شيخه مؤلف القـوت أبي   طــالب المكي ذى التـأهــب
عن الجنيـد وهـو عـن سـري   عن شيخـه الكرخي عن الطـائي
عن شيخه حبيـب المـرضـى   عن ذي المعالي الحسن البصري
عن الشهـاب الثـاقـب العلـي   حـيــــدرة عـــــلي المـــكي
عن النبـي المصطــفـى محمد   سيـــد كـــل أحمـــر وأســـود
صلى عليـــه ربنـــا تعـــالى   مـا افل البـرق ومـــا تـــــلالا
وآلـه وصحبـــه ذوي الحجـــا   ومن على منوالـهـم قد نسجـا
وسيلتي لخـــالقي عـز وجـل   بحبهـم في كل خطب قد نـــزل

الصومعي: **المعزى**، ص 283-284.

الملحق الثاني

قطعة من قصيدة أبي عبد الله شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله الصنهاجي البوصيري في ذكر سند أبي مدين شعيب عن ابن حرزهم عن أبي يعزى يلنور عن أبي بكر بن العربي

أبا مديـــن غـوث الوجود وقطبــه فناهيك من غوث وناهيك من قطب
أبا مديــن أوردتنـي مــاء مديـــن من الحب حتى فزت بالمنهل العذب
وآنسـت نـارا من جنابـك للـهـــدى بدت فانجلت عني بها ظلم الخطب
فمثلك من يدعـوه مثلي لكـربـــه فينجو بحسن الظن فيك من الكـرب
أخـا سيـدي شيـخ العراقيـن أحمـد إمام الهدى سيف التقى مرهف الغرب
كفـانـي مــرآى من رآهــم سعـــادة زحمنا به الأصحاب جنبا إلى جنب
لك النسب الأعلى خصصت بفخره فحسبك من فخر وحسبك من نسب
لسابقـه الحسنى تـلاحـق بعضهـم ببعض فجاء الندب منهم على الندب
وأشرق نـور المصطفى في قلوبهـم كإشراق نور الشمس والسبعة الشهب
[ومنهم سويـدا نبـل كـل فتى أبــو يعزى محارب الرحمة الدائم الصلب]
[ومنهم أبو عثمـان شيـخ جزولـــة فأكرم بها شيخًا تدَّت من [الغَرْبِ]]
فمنهم أبو حسـن سليـل لحـرزهـم أتى في العلا والفضل فاتحـة الحـزب
ومنهم أبو بكر بن العربي قد سمـا بما رسمـوا فيـه على العجم والعــرب
ومنهم إمام العصر في العلم والتقى أبـو حـامـد حسـبي إمـام بـه حسـب
ومنهـم إمــام الملـة المنتـقى أبـــو المعـالي إمـام الحل والحرم والرحـب
أبو طـالب صبح قد أسفر وجهـه سفيـر قلـوب العاشقيـن إلى الحـب
أبو القاسم الحبر الجنيد الذي لــه معال على عد الحصى كثترة [تُرْبِ]
وقـل في سَـرِي من تـربى ربـــاؤه فيا فضـل من ربى ويا فضـل [رُبِّ]
ومعـروف الكرخي بخ بخ بذكـــره وقـل طـربا يا للتعجـب والعجــب

وإن نسبــوا داود طَـيِّ إليــهــم فقد نسبـوا البحـر العظيـم إلى شعـب
وقل في حبيـب ما يغــظ عـــدوه نزوعا إلى ذاك الجمال الذي [يُسْبِ]
وبالحسـن البصري أبصر فقد بـدت محـاسنــه دون البـراقــع والحـجـــب
وفضـل علـى كـــرم الله وجـهـــه تـوارثـه الأشيـاخ من غير ما سلــب
ومن سيد الكونين فضل ابن عمــه أتـاه بـه جبـريـل من حضـرة الـــربِّ
فـأكـرم بهـا مـن دوحـــة نـبـويـــة مـوشيــة الألــوان شـامخــة القطــب
إذا ألقيــت منـهـا بقلبـك حبـــة أتت ألف ضعف من حـدائقهـا الغلـب
وجاء إلى ماء الحياة الذي صفـت مـوارده واسـتغنى عـن حيـل الطــب

الماجري، **المنهاج الواضح**، ص 160–163.

الملحق الثالث

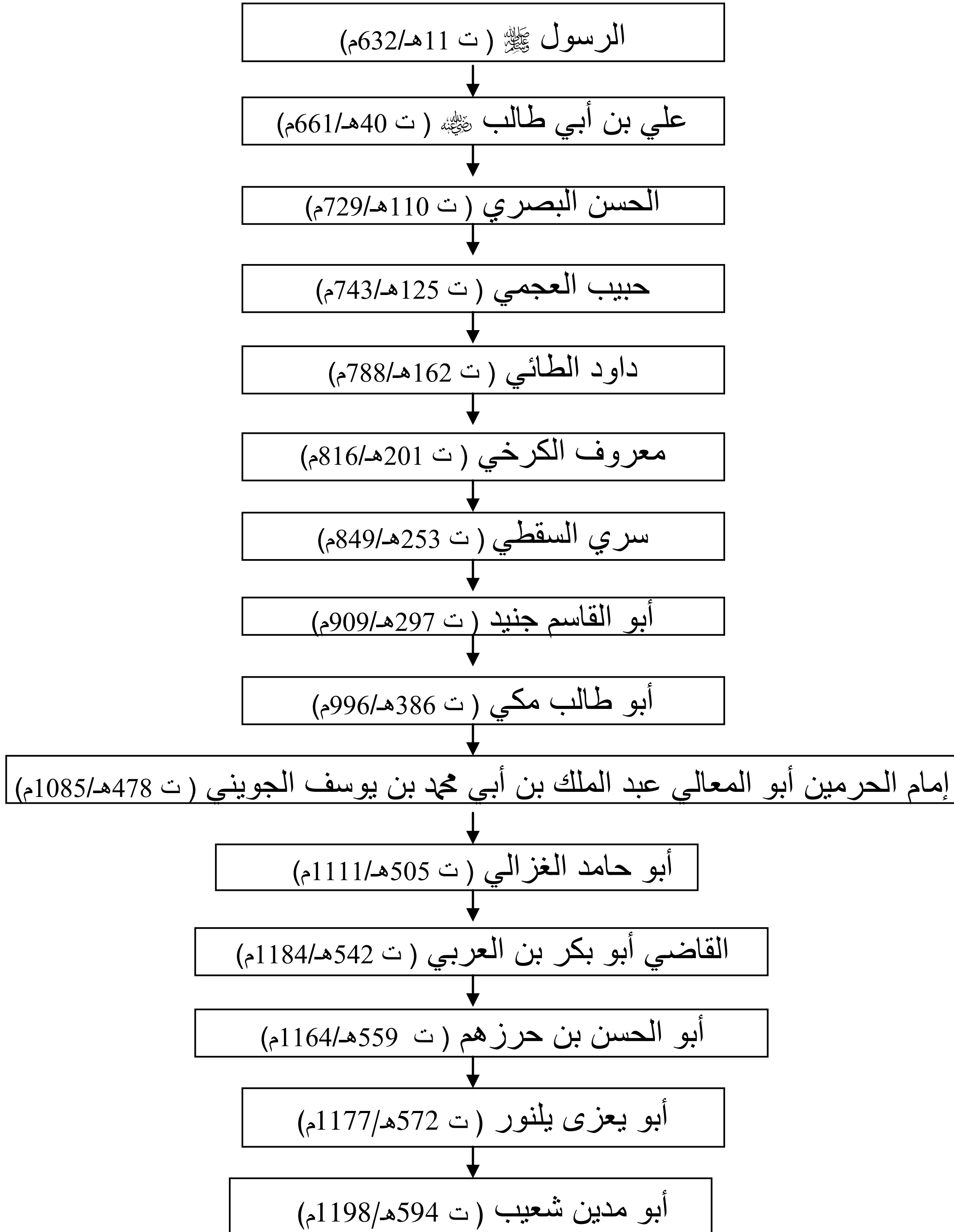
سند أبي مدين شعيب عن ابن حرزهم عن أبي بكر بن العربي



ابن القنفذ: **أنس الفقير**، ص 42-43. الماجري، **المنهاج الواضح**، ص 161-163.

الملحق الرابع

سند أبي مدين عن ابن حرزهم عن أبي يعزى يلنور عن أبي بكر بن العربي



ابن القنفذ: **أنس الفقير**،42-43. الصومعي: **المعزى**، ص 283-284.

الملحق الخامس

الأمراء المرابطون وفترة حكمهم

الرقم	إسم الأمير	سنة بداية الحكم	سنة نهاية الحكم
01	أبو بكر بن عمر	448هـ/1056م	480هـ/1087م
02	يوسف بن تاشفين	453هـ/1062م	500هـ/1107م
03	علي بن يوسف بن تاشفين	500هـ/1107م	537هـ/1143م
04	تاشفين بن علي	573هـ/1143م	540هـ/1146م
05	إبراهيم بن تاشفين	540هـ/1146م	540هـ/1146م
06	إسحق بن علي	540هـ/1146م	541هـ/1147م
07	يوسف بن تاشفين بن تلاكاكين	557هـ/1162	558هـ/1163م

ملاحظة: يوسف بن تاشفين بن تلاكاكين لم يحكم سوى فاس.

الملحق السادس

الخلفاء الموحدون وفترة حكمهم

الرقم	اسم الأمير	سنة بداية الحكم	سنة نهاية الحكم
01	عبد المؤمن بن علي الكومي	527هـ/1033م	558هـ/1163م
02	أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن	558هـ/1163م	579هـ/1184م
03	أبو يوسف يعقوب المنصور بن يوسف	579هـ/1184م	595هـ/1199م
04	محمد الناصر بن يعقوب بن يوسف	595هـ/1199م	609هـ/1213م
05	يوسف المستنصر	609هـ/1213م	620هـ/1224م
06	عبد الواحد المخلوع	620هـ/1224م	620هـ/1224م
07	محمد العادل	620هـ/1224م	624هـ/1227
08	يحي المعتصم	624هـ/1227م	627هـ/1230م
09	إدريس المؤمون	624هـ/1227م	629هـ/1232م
10	عبد الواحد الرشيد	629هـ/1232م	639هـ/1242م
11	علي السعيد	639هـ/1242م	645هـ/1248م
12	عمر مرتضى	645هـ/1248م	664هـ/1266م
13	إدريس الواثق الدبوس	664هـ/1269م	667/1269م

الملحق السابع

أولياء القبائل البترية من خلال التشوف

اسم الولي	تاريخ الوفاة	القبيلة	رقم الترجمة	الصفحة
1. أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن العريف	537هـ/ 1142م	صنهاجة	18	118
2. أبو زكريا بن يوغان الصنهاجي	537هـ/ 1142م	صنهاجة	19	123
3. أبو حفص عمر بن معاذ الصنهاجي	561هـ/ 1166م	صنهاجة	59	183
4. أبو عيسى وَزْجيج بن وَلْوُن الصنهاجي		صنهاجة	61	185
5. أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي	561هـ/ 1166م	صنهاجة	62	187
6. أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر إسحاق بن إسماعيل بن سعيد الصنهاجي المعروف بابن مغار		صنهاجة	75	209
7. أبو زكريا يحي بن يِسولانْ الصنهاجي		صنهاجة	84	230

8. أبو محمد عبد السلام بن أبي عبد الله محمد بن أَمْغَارْ الصنهاجي		صنهاجة	87	223
9. أبو الحسن علي الصنهاجي الزاهد		صنهاجة	106	255
10. أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الصنهاجي	576هـ/ 1180م	صنهاجة	155	311
11. أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الصنهاجي الجباب		صنهاجة	159	314
12. أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عثمان الصنهاجي	599هـ/ 1203م	صنهاجة	196	375
13. أبو جعفر محمد بن يوسف الصنهاجي الأسود		صنهاجة	225	403
14. أبو عمر ياخْميان بن عبد الله الصنهاجي		صنهاجة	230	408
15. أبو يحي أبو بكر بن ملول الصنهاجي الأسود		صنهاجة	237	413
16. أبو زكريا يحي بن ميمون الصنهاجي الاسود		صنهاجة	238	414
17. أبو عثمان سعيد الصنهاجي		صنهاجة	239	415
18. أبو علي منصور بن صفية الصنهاجي		صنهاجة	244	419

19. أبو حفص عمر بن كُرّام الصنهاجي	615هـ/ 1218م	صنهاجة	245	420
20. أبو محمد عبد الله بن عثمان الصنهاجي المعروف بالزرهوني	612هـ/ 1215م	صنهاجة	251	424
21. أبو يعقوب يوسف بن محمد بن أمغار الصنهاجي		صنهاجة	254	426
22. أبو علي واديف بن تونارت الصنهاجي	614هـ/ 1217م	صنهاجة	255	427
23. أبو علي عمر بن العباس الصنهاجي العروف بالحباك		صنهاجة	264	436
24. أبو عبد الله محمد بن نافع الصنهاجي	616هـ/ 1219م	صنهاجة	272	443
25. أبو محمد يرْزْجان بن محمد الجزولي		جزولة	114	267
26. أبو محمد عبد الله بن موسى الجزولي	580هـ/ 1184م	جزولة	123	277
27. أبو عبد الله محمد بن الأمان الجزولي المعلم		جزولة	132	289
28.أبو محمد عبد الرزاق الجزولي		جزولة	164	367
29. واجاج بن زْلو اللمطي		لمطة	05	89

30. أبو عبد الله محمد بن عمر اللمطي		لمطة	176	344
31. أبو عبد الملك مروان بن عبد الملك اللمتوني العابد	571 أو572هـ/ 1175 أو 1176م	لمتونة	93	238
32. أبو إسحاق باران بن يحي المَسُّوفي	570هـ/ 1174م	مسوفة	105	254
33. أبو محمد مع الله بن يحي بن يجاتْنْ الزياتي	536هـ/ 1141م	زناتة	25	132
34. أبو محمد عبد الله بن زيري الزناتي	567هـ/ 1172م	زناتة	63	192
35. أبو الحسن الزناتي		زناتة	135	292
36. أبو محمد عبد الله بن الخير الزناتي		زناتة	141	296
37. أبو عبد الله محمد بن تميم الزناتي	607هـ/ 1210م	زناتة	218	395
38. أبو زكرياء يحي بن أبي بكر بن محمد بن مع الله بن يحياتن الزناتي	614هـ/ 1217م	زناتة	267	438

39. أبو زكريا يحي بن محمد الجراوي		جراوة	26	135
40. أبو محمد صالح بن وِمْليل الجراوي	حوالي 540هـ/ 1145م	جراوة	42	158
41. أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف بن الحسين الجراوي		جراوة	94	239
42. أبو سليمان داود بن يحي الجراوي	586هـ/ 1190م	جراوة	102	249
43. أبو وكيل ميمون بن سحنون الجراوي		جراوة	133	290
44. أبو محمد يسكر بم موسى الجراوي	598هـ/ 1202م	جراوة	171	337
45. أبو واجّاج عفان بن إسماعيل المطماطي		مطماطة	228	407
46. أبو علي حسن بن علي المطغري المؤذن	603هـ/ 1206م	مطغرة	205	384
47. أبو زكريا يحي بن عبد الله الهواري المغيلي		مغيلة	146	302

الملحق الثامن

أولياء القبائل البرنسية من خلال التشوف

إسم الولي	تاريخ الوفاة	القبيلة	رقم الترجمة	الصفحة
1. أبو محمد عبد الحميد بن صالح الهسكوري		هسكورة	68	196
2. أبو مهدي مْطْكُود بن علي الهسكوري		هسكورة	134	291
3. أبو صالح عبد الحليم بن هارون بن سعيد الهسكوري	593هـ/ 1197م	هسكورة	172	339
4. أبو عمران الهسكوري الأسود	حوالي 590هـ /1194م	هسكورة	175	353
5. أبو محمد عبد الواحد بن تومرت الهسكوري الأسود	591هـ/ 1194م	هسكورة	183	359
6. أبو صالح واطيل بن عبد الرحيم الهسكوري		هسكورة	190	364
7. أبو محمد عبد العزيز بن مسري الهسكوري		هسكورة	197	376
8. أبو وكيل ميمون بن تيكْرْتْ الوريكي الأسود		وريكة	64	193

9. أبو عمران موسى بن إسحاق الوريكي المعلم	592هـ/ 1192م	وريكة	143	297
10. أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم التينملي	592هـ/ 1196م	تينملل	170	337
11. أبو يِنُورْ عبد الله بن وكْريسْ الدكالي		دكالة	22	130
12. أبو وَلْجوط وغانيم بن وابوط الدكالي		دكالة	24	132
13. أبو وَزْجيج يِفْراكْسْ بن يسُولان الدكالي	540هـ/ 1145م	دكالة	36	151
14. أبو موسى الدكالي		دكالة	73	205
15. أبو زكريا يحي الدكالي	570هـ/ 1174م	دكالة	121	275
16. أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الصنهاجي الجباب		دكالة	159	314
17. منية بنت ميمون الدكالي		دكالة	160	316
18. أبو الحسن علي بن يِسْمور الدكالي المعروف بالعربي	612هـ/ 1215م	دكالة	250	423
19. أبو عمران موسى بن وجادير الدكالي	613هـ/ 1216م	دكالة	265	437

20. أبو محمد زُمُّورْ بن يعلى الهزرجي	555هـ/ 1160م	هزرجة	79	225
21. أبو إبراهيم إسحاق بن محمد الهزرجي	580هـ/ 1184م	هزرجة	96	241
22. أبو علي عمر بن علي بن عبد العزيز الهزرجي	592هـ/ 1196م	هزرجة	148	303
23. أبو محمد عبد الله بن محسود الهواري		هوارة	17	116
24. أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الهواري	قبل 540هـ/ 1145م	هوارة	38	153
25. أبو عبد الله محمد بن مْحْيو الهواري		هوارة	56	179
26. أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الهواري		هوارة	65	193
27. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الهواري	581هـ/ 1185م	هوارة	118	270
28. أبو ولجوط تُونَارْتْ بن واجُرّام الهزميري	608هـ/ 1211م	هزميرة	223	400
29. أبو علي مالك بن تماجورت الهزميري	612هـ/ 1215م	هزميرة	248	422

30. أبو يِعْزَى يِلَنُور بن ميمون	572هـ/ 1176م	هزميرة أو هسكورة	77	213
31. أبو خزر يخْلَفْ بن خَزَر بن يِخْلَفْ الأوْربي		أوربة	55	177
32. أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي المعروف بابن الكتاني	597هـ/ 1201م	فندلاوة	169	335

الملحق التاسع

أولياء ذوي الأصول العربية بالمغرب الإسلامي من خلال التشوف

اسم الولي	تاريخ الوفاة	القبيلة	رقم الترجمة	الصفحة
1. أبو سهل القرشي		القرشي	74	208
2. أبو الحسن علي بن خلف بن غالب القرشي 658هـ/1172م	568هـ أو 573هـ/ 1177م	القرشي	81	228
3. أبو محمد عبد الله البَيَّاني القرشي		القرشي	91	236
4. أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري	594هـ/ 1198م	المدينة المنورة	162	319
5. أبو الحسين يحي بن محمد الأنصاري	600هـ/ 1204م	المدينة المنورة	198	377
6. أبو يعقوب يوسف بن أحمد بن الحسن الأنصاري المعروف بالحكيم	605هـ/ 1208م	المدينة المنورة	226	404
7. أبو العباس أحمد بن خالص الأنصاري	قبل 601هـ/ 1203م	المدينة المنورة	234	411

8. أبو الحسن نجا بن عبد الله الأموي	590هـ/ 1194م	بني أمية	182	358
9. أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري	609هـ/ 1212م	الفهري	405	415-416
10. أبو عبد الله محمد بن شعيب الجذامي	604هـ/ 1207م	الجذامي	221	398
11. أبو عبد الله محمد بن أحمد اللّخمي الواعظ المعروف بابن الحجام	614هـ/ 1217م	اللّخمي	268	439-440

الملحق العاشر

أولياء السود بالمغرب الإسلامي من خلال التشوف

اسم الولي	تاريخ الوفاة	رقم الترجمة	الصفحة
1. أبو جَبَل يعلى	503هـ/1109م	10	101
2. أبو محمد خميس بن أبي زَرج الرجراجي الأسود		14	112
3. ريحان الأسود	540هـ/1145م	43	158
4. أبو وكيل ميمون بن تيكْرْت الوريكي الأسود		64	193
5. أبو لقمان يِرْزْجَانْ بن يعقوب الأسود	570هـ/1174م	86	232
6. أبو عمران موسى بن الحاج الرجراجي الأسود		92	237
7. أبو الحسن علي بن زكريا الأسود		116	268
8. أبو تميم عبد الواحد الأسود		117	269

9. أبو عبد الله محمد البَردعي الأسود		124	278
10. أبو علي وِيسِّينَنْ بن عبد الله البردعي الأسود	586هـ/1190م	127	282
11. أبو عمران موسى بن عيسى الدرعي الأسود	594هـ/1198م	150	305
12. أبو محمد عبد الحليم بن إسماعيل الأيلاني الأسود	593هـ/1197م	157	313
13. أبو عمران الهسكوري الأسود	590هـ/1194م	175	343
14. أبو محمد عبد الواحد بن تومرت الهسكوري الأسود		183	359
15. أبو عمران موسى بن عبد الله الأسود		188	363
16. أبو يِلْبْخْتْ يَالِلْتْنْ الأسود	602هـ/1205م	203	381
17. أبو الخير مسعود الأيلاني الأسود	604هـ/1207م	220	397
18. أبو جعفر محمد بن يوسف الصنهاجي الأسود	608هـ/1211م	225	403
19. أبو يحي أبو بكر بن ملّول الصنهاجي الأسود		237	413

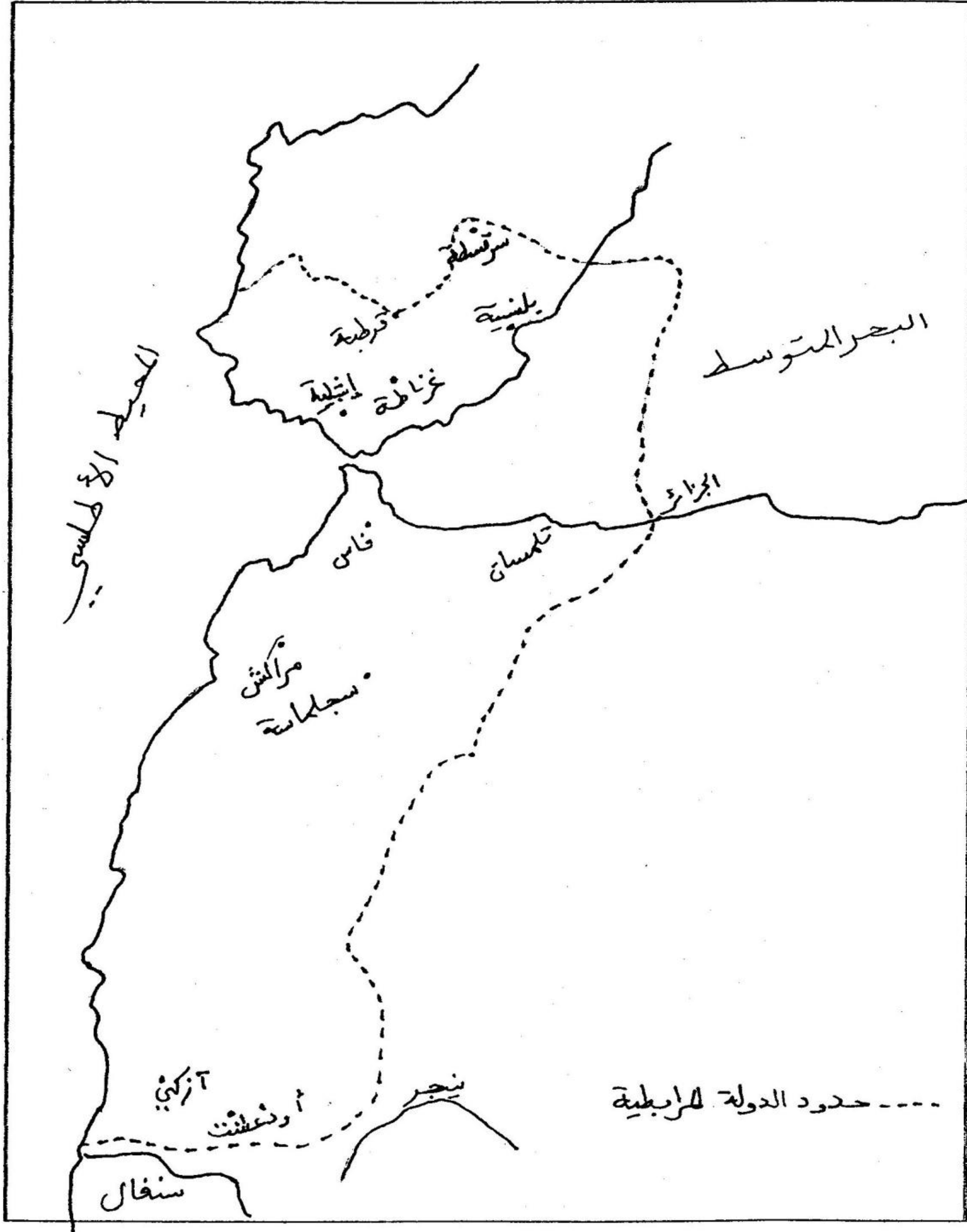
20. أبو زكريا يحي بن ميمون الصنهاجي الأسود	601هـ/1204م	238	414
21. أبو عمران موسى بن يامصل الزمراني النعال الأسود	610هـ/1213م	253	425
22. أبو إسماعيل الأمان الأسود	616هـ/1219م	274	444

الخــرائـــــط

- **الخريطة الأولى:** الغرب الإسلامي في عصر المرابطين.
- **الخريطة الثانية:** الغرب الإسلامي في عصر الموحدين.
- **الخريطة الثالثة:** المدن التي نشط فيها المتصوفة في عصري المرابطين والموحدين.
- **الخريطة الرابعة:** الربط في الغرب الاسلامي في عصري المرابطين والموحدين.

الخريطة الأولى

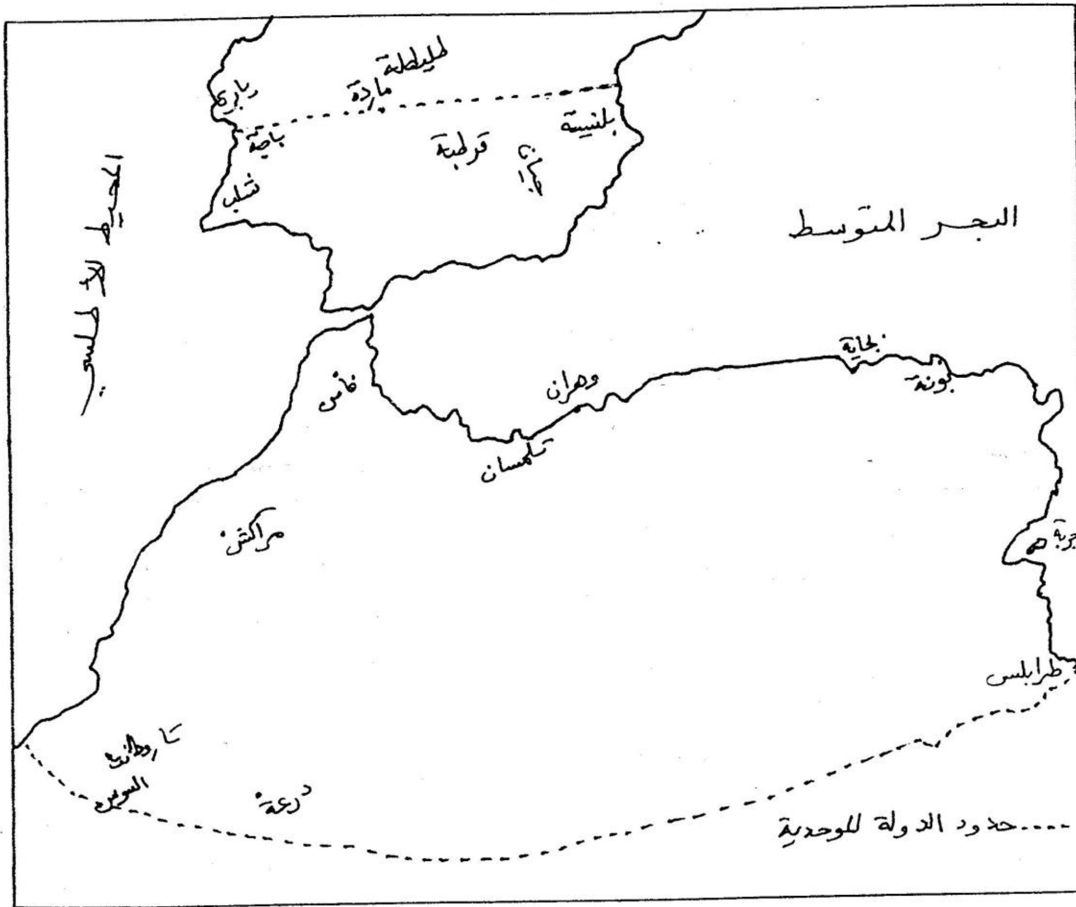
الغرب الإسلامي في عصر المرابطين



عبد الله العروي: **مجمل تاريخ المغرب،** ج 2، ص 132.

الخريطة الثانية

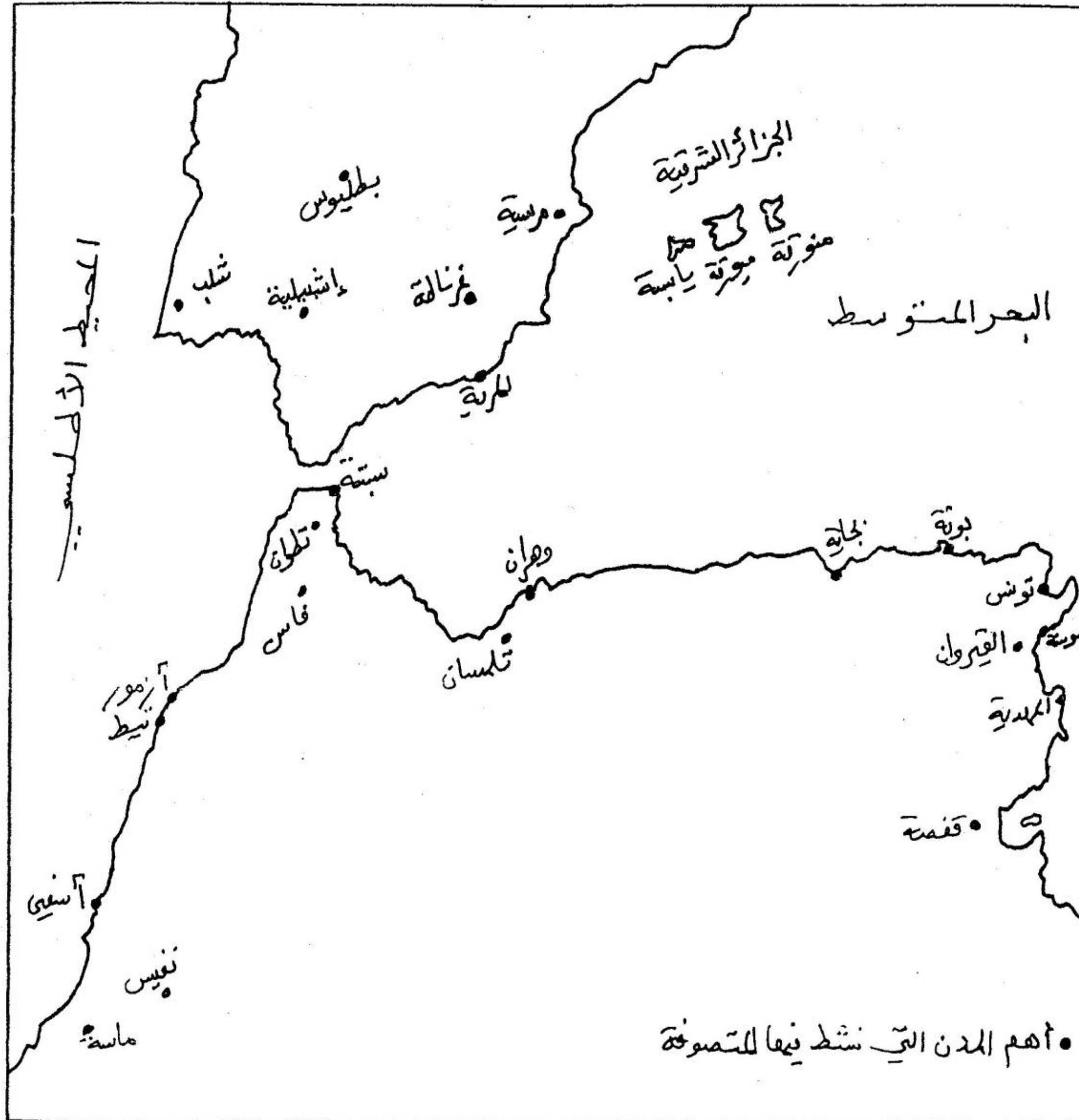
الغرب الإسلامي في عصر الموحدين



عز الدين عمر موسى: **الموحدون في الغرب الإسلامي**، ص 176.

الخريطة الثالثة

المدن التي نشط فيها المتصوفة في عصري المرابطين والموحدين



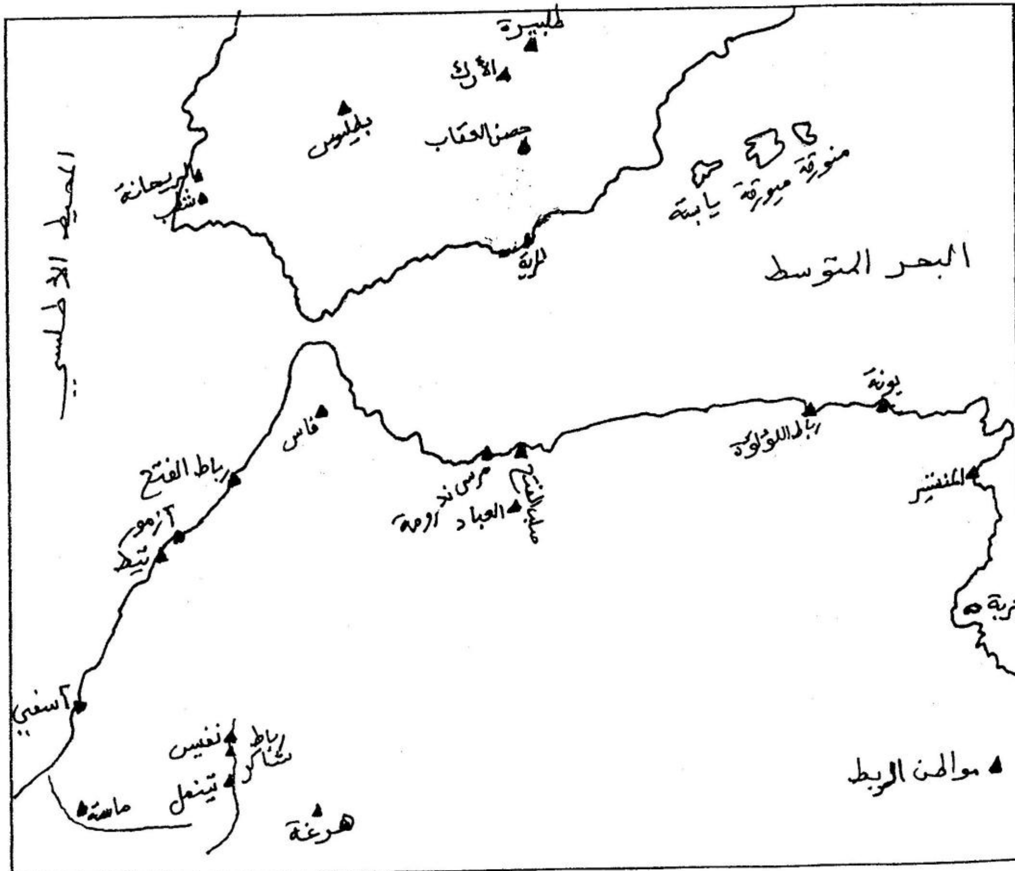
البيذق: **اخبار المهدي**، ص 149– 150.

عبد الله عنان: **عصر المرابطين والموحدين**، ج 2، ص 354.

زينب ملياني: **التصوف بالغرب الإسلامي**، ص 256.

الخريطة الرابعة

الربط في الغرب الاسلامي في عصري المرابطين والموحدين



البيذق: **اخبار المهدي**، ص 149– 150.

عبد الله عنان: **عصر المرابطين والموحدين**، ج 2، ص 569.

بونابي: **التصوف في الجزائر**، ص 301.

زينب ملياني: **التصوف بالغرب الإسلامي**، ص 255.

قـــائمة المصـــــادر والمـــــراجـــع

1. **القرآن الكريم**، برواية حفص عن عاصم.

❖ **أولا- المخطوطات:**

- **الصّباغ، أبو عبد الله محمد بن محمد القلعي:**

2. بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخبار ومعدن الأنوار، سيدي أحمد يوسف الراشدي النسب والدار أبو يعزي سيدي موسى، مخطوط المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم: 1707.

- **مؤلف مجهول:**

3. مناقب الولية الصالحة عائشة المنوبية، زاوية الهامل، بوسعادة، من مجموع، رقم 066.

- **ابن عبد العظيم، محمد بن عبد الله الأزموري:**

4. بهجة الناظرين وأنس الحاضرين ووسيلة رب العالمين في مناقب رجال آل أمغار الصالحين، مخطوطة خاصة، نسخة تيط.

- **الهواري، أبو القاسم علي:**

5. مناقب أبي العباس السبتي، مخطوط المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم: 1713.

❖ **ثانيا- المصادر المطبوعة:**

- **ابن الآبار، أبو عبد لله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت 658هـ/1260م):**

6. التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، ط 1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1415هـ/1995م.

- **ابن الأبّار، أبو علي حسن بن محمد (ت 594هـ/1198م):**

7. المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط 1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ/1989م.

- **ابن الأثير، أبو الحسن بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت 630هـ/1233م):**

8. الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: محمد الدقاق، ط 4، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م.

- **ابن الأحمر، إسماعيل (ت 807هـ/1405م):**

9. بيوتات فاس الكبرا، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، ط 1، دار المنصور للطباعة ووراقة، الرباط، 1972م.

- **الأصفهاني، الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله (ت 430هـ/1038م):**

10. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1416هـ/1996م.

- **الإيلاني، أبو علي صالح بن عبد الحليم (ت بعد 712هـ/1312م):**

11. مفاخر البربر، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، ط 2، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2008م.

- **البادِسي، أبو محمد عبد الحق بن إسماعيل (ت بعد 722هـ/1322م):**

12. المقصد الشريف والمنزع اللّطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق: سعيد أعراب، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1414هـ/1993م.

- **البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي (ت 256هـ/870م):**

13. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط 1، دار طوق النجاة، بيروت، 1422هـ/2001م.

- **البرزلي، أبو القاسم بن احمد البلوى (ت 841هـ/1438م):**

14. فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب الهيلة، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م.

- **ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني (ت 542هـ/1147م):**

15. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، القسم الثالث، مج 1، د ط، دار الثقافة، بيروت، 1417هـ/1997م.

- **ابن بشكوان، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى الأنصاري القرطبي (ت 578هـ/1183م):**

16. كتاب الصلة، تحقيق: شريف أبو العلا العدوي، مجلدان، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1429هـ/2008م.

- **البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت 487هـ/1094م):**

17. المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، د ط، مكتبة المثنى، بغداد، د ت.

- **البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي (ت أواخر القرن 6هـ/12م):**

18. أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، نشر: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.

- **البيضاوي، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن عبد الله الشيرازي (ت 685هـ/1286م):**

19. أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي – المعروف بتفسير البيضاوي–، حققه وعلق عليه وأخرج أحاديثه وضبط نصه: محمد صبحي بن حسن الحلاق ومحمود أحمد الأطرش، مج 2، ط 1، دار الفكر؛ بيروت، دار الرشيد ومؤسسة الإيمان؛ دمشق بيروت، 1421هـ/2000م.

- **التجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد (ت 721هـ/1321م):**

20. رحلة التجاني، قدم لها: حسن حسني عبد الوهاب، ط 1، الدار العربية للكتاب، تونس، 1980م.

- **الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين الحكيم (ت 285هـ/898م):**

21. كتاب ختم الأولياء، تحقيق: عثمان إسماعيل يحي، ط 1، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1965م.

- **الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت 279هـ/892م):**

22. الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض، ط 1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1382هـ/1962م.

- **ابن تميم، أبو العرب محمد بن أحمد (333هـ/945م):**

23. كتاب طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ت.

- **التميمي، أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الفاسي (ت 603 أو 604هـ/1207 أو 1208م):**

24. المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق: محمد الشريف، ط 1، مطبعة طوب بريس، الرباط، 2002م.

- **التنبكتي، أحمد بابا (ت 1036هـ/1627م):**

25. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط 1، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1398هـ/1989م.

- **ابن تومرت، محمد بن عبد الله الهرغي المصمودي (ت 524هـ/1130م):**

26. أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق: عبد الغني أبو العزم، ط 1، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، 1999م.

- **ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت 728هـ/1328م):**

27. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمان بن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمد، مج 11، د ط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1415هـ/1994م، **كتاب التصوف**.

الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط 1، مكتبة دار البيان، دمشق، 1405هـ/1985م.

- **الجرجاني، علي بن محمد الشريف (ت 816هـ/1413م):**

28. كتاب التعريفات، د ط، مكتبة لبنان، بيروت، 1985م.

- **ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمان البغدادي (ت 597هـ/1201م):**

29. تلبيس إبليس، ط 1، دار القلم، بيروت، 1403هـ/1983م.

30. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط 1، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الهند، 1357هـ/1938م.

- **ابن حجر، الحافظ أحمد بن علي العسقلاني (ت 852هـ/1448م):**

31. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، راجعه: قصي محب الدين الخطيب، قرأ أصله تصحيحًا وتحقيقًا وأشرف على مقابلة نسخهِ المطبوعة والمخطوطة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ج 11، ط 1، دار المعرفة، بيروت، د ت.

- **ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت 456هـ/1064م):**

32. الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمان عميرة، ج 4، ط 2، دار الجيل، بيروت، 1416هـ/1996م.

- **الحميدي، أبو عبد الله محمد بن نصر (ت 488هـ/1095م):**

33. جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط 3، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني. بيروت، 1410هـ/1989م.

- **الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت 726هـ/1326م):**

34. الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط 2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.

35. صفة جزيرة الأندلس – من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار–، نشر وتصحيح وتعليق: لافي بروفنصال، ط 2، دار الجيل، بيروت، 1408هـ/1988م.

- **ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت بعد 367هـ/977م):**

36. **صورة الأرض**، ط 1، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، 1992م.

- **ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت 241هـ/856م):**

37. مسند الإمام أحمد ابن حنبل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1414هـ/1993م.

- **أبي حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت 745هـ/1344م):**

38. البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عادل أحمد عبد الموجود وأحمد النجولي الجمل، قرطه: عبد الحي الفرماوي، ج 5، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1993م.

- **ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي الاشبيلي (ت 529هـ/1135م):**

39. قلائد العقيان في محاسن الأعيان، حققه وعلق عليه: حسين يوسف خريوش، ط 1، مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 1409هـ/1989م.

- **ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني (ت 776هـ/1374م):**

40. الإحاطة في أخبار غرناطة، حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه: محمد عبد الله عنان، ط 1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1393هـ/1973م.
41. الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، عنى بتصحيحه: البشير الفورتي، ط 1، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، 1329هـ/1911م.
42. روضة التعريف بالحب الشريف، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط 1، مكتبة الخانجي، بيروت، 1970م.
43. تاريخ المغرب في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق وتعليق: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، ط 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م.
44. كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام – تاريخ إسبانية الإسلامية–، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط 2، دار المكشوف، بيروت، 1965م.

- **ابن خلدون، أبو زكريا يحي (ت 780هـ/1378م):**

45. بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، ط 1، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م.

- **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت 808هـ/1405م):**

46. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، د ط، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1421هـ/2000م.

47. شفاء السائل وتهذيب المسائل، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، ط 1، دار الفكر، دمشق، 1417هـ/1996م.

48. المقدمة، د ط، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1424هـ/2004م.

- **ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ/1282م):**

49. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، د ط، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م.

- **ابن خير، أبو بكر محمد بن عمر بن خليفة الأموي الإشبيلي (ت 575هـ/1179م):**

50. فهرسة ما رواه عن شيوخه المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، وقف على نسخها وطبعها ومقابلتها عن أصل محفوظ في خزانة الأسكوريال: الشيخ قدارة زيدين وتلميذه خلقان ربارة طبرغوه، ط 3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ/1997م.

- **أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني (ت 675هـ/1276م):**

51. سنن أبي داود، حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قربللي، د ط، دار الرسالة العالمية، دمشق، 1430هـ/2009م.

- **الدباغ، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري (ت 696هـ/1297م):**

52. معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه: أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي (ت 839هـ/1435م)، تحقيق: عبد المجيد خيالي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1426هـ/2006م.

- **ابن أبي الدينار، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني (ت 1110هـ/1699م):**

53. كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط 1، مطبعة الدولة التونسية، المحمية، 1286هـ/1869م.

- **الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر(ت بعد 666هـ/1268م):**

54. مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، د ط، مكتبة لبنان، بيروت، 1986م.

- **الرازي، محمد فخر الدين بن ضياء الدين عمر (ت 604هـ/1208م):**

55. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط 1، دار الفكر، بيروت، 1401هـ/1981م.

- **ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد القرطبي المالكي (ت 520هـ/1126م):**

56. فتاوى ابن رشد، تقديم وتحقيق وجمع وتعليق: المختار بن الطاهر التليلي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1407هـ/1987م.

- **الزبيدي، محمّد مرتضى الحسيني (ت 1205هـ/1790م):**

57. **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: ضاحي عبد الباقي، مراجعة: عبد اللطيف محمد الخطيب، ط 1، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1422هـ/2001م.

- **ابن الزبير، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي (ت 708هـ/1308م):**

58. كتاب صلة الصلة، تحقيق: شريف أبو العلا العدوي، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1429هـ/2008م.

- **ابن أبي زرع الفاسي، أبو الحسن علي بن عبد الله (ت بعد 726هـ/1326م):**

59. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، نشر: عبد الوهاب بنمنصور، ط 1، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

60. الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، نشر: عبد الوهاب بنمنصور، ط 1، دار المنصور، الرباط، 1392هـ/1972م.

- **ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت 395هـ/1005م):**

61. معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، ط 2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1399هـ/1979م.

- **الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت 556هـ/1161م):**

62. كتاب الجعرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر، د ت.

- **ابن الزيات، أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي (ت 627هـ/1229م):**

63. التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، ط 3، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2010م.

- **ابن سبعين، أبو محمد عبد الحق المرسي الأندلسي (ت 669هـ/1270م):**

64. بد العارف، تحقيق وتقديم: جورج كتورة، ط 1، دار الأندلس، دار الكندي، بيروت، 1978م.

65. رسائل ابن سبعين، حققه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، د ت.

- **السلالجي، أبو عمرو عثمان (ت 574هـ/1178م):**

66. العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية، تحقيق: نزار حمادي، ط 1، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1429هـ/2008م.

- **السلمي، أبو عبد الرحمان (ت 412هـ/1021م):**

67. طبقات الصوفية، تحقيق: أحمد الشرباصي، ط 2، كتاب الشعب، القاهرة، 1419هـ/1998م.

- **السهروردي، شهاب الدين أبي حفص عمر (ت 632هـ/1235م):**

68. عوارف المعارف، ط 1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1966م.

- **السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان (ت 911هـ/1505م):**

69. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2، دار الفكر، بيروت، 1399هـ/1989م.

- **الششتري، أبو الحسن علي بن عبد الله النميري (ت 668هـ/1269م):**

70. الرسالة الششترية أو الرسالة العلمية في التصوف، تلخيص: أبي عثمان بن ليون التجيبي، تقديم ودراسة وتحقيق وتعليق: محمد العدلوني الإدريسي، ط 1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2004م.

71. ديوان أبي الحسن الششتري أمير شعراء الصوفية بالمغرب والأندلس (610–668هـ)، تقديم وضبط ودراسة وتحقيق: محمد العدلوني الإدريسي وسعيد أبو الفيوض، ط 1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2008م.

- **الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد بن علي (ت 973هـ/1566م):**

72. اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، د ط، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، د ت.

- الشهرستاني، أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت 548هـ/1153م):

73. الملل والنحل، تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، ط 3، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ/1993م.

- **الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت 1250هـ/1834م):**

74. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، حققه وخرج أحاديثه: عبد الرحمان عميرة، د ط، دار الوفاء، د م، 1415هـ/1994م.

- **ابن صاحب الصلاة، عبد الملك (ت 594هـ/1198م):**

75. المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق: عبد الهادي التازي، ط 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.

- **ابن صاعد، أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي (ت 462هـ/1070م):**

76. كتاب طبقات الأمم، نشره وذيله بالحواشي وأردفه بالروايات والفهارس: لويس شيخو اليسوعي، د ط، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1912م.

- **ابن الصبّاغ، محمد بن أبي القاسم الحمري (ت 683هـ/1284م):**

77. درّة الأسرار مناقب سيدي أبي الحسن الشاذلي، ط 1، المطبعة التونسية الرسمية، تونس، 1304هـ/1886م.

- **الصدفي، طاهر (كان حيا سنة 596هـ/1200م):**

78. السر المصون فيما أكرم به المخلصون، تحقيق وتقديم: حليمة فرحات، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

- **ابن صعد، محمد بن أحمد بن أبي الفضل (ت 901هـ/1496م):**

79. النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، تحققه وقدم له: محمد أحمد الديباجي، ط 1، دار صادر، بيروت، 1432هـ/2011م.

- **الصّفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ/1363م):**

80. كتاب الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، طالعه: يحي بن حجي الشافعي بن أيبك الصفدي وأحمد بن مسعود، ط 1، دار إحياء التراثي العربي، بيروت، 1420هـ/2000م.

- **الصومعي، أحمد بن أبي القاسم التادلي (ت 1013هـ/1604م):**

81. المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، تحقيق: على الجاوي، ط 1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1996م.

- **الضبي، أحمد بن يحي بن أحمد القرطبي بن عميرة (ت 599هـ/1203م):**

82. بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط 1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ/1989م.

- **الطوسي، أبو النصر السراج (ت 378هـ/988م):**

83. اللُّمَعْ، حققه وقدم له وخرج أحاديثه: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، ط 1، دار الكتب الحديثة، القاهرة، مكتبة المثنى، بغداد، 1380هـ/1960م.

- **ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري الأوسي (ت 703هـ/1304م):**

84. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الأول، (القسم 1-2)، تحقيق: محمد بنشريفة، ط 1، دار الثقافة، بيروت، 1965م، بقية السفر الرابع، تحقيق: إحسان عباس، ط 1، دار الثقافة، بيروت، 1965م، السفر الخامس،

(القسم 1−2)، تحقيق: إحسان عباس، ط 1، دار الثقافة، بيروت، 1965م،السفر السادس، (القسم 1−2)، تحقيق: إحسان عباس، ط 1، دار الثقافة، بيروت، 1973م، السفر الثامن، (القسم 1−2)، تحقيق: محمد بنشريفة، ط 1، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984م.

- **ابن عبدون، محمد بن أحمد التجيبي (عاش خلال القرن 5هـ/11م):**

85. رسالة في الحسبة، نشر: ليفي بروفنصال، ط 1، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

- **ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي (ت 1224هـ/1809م):**

86. البحر المديد، ط 2، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، 1423هـ/2002م.

- **ابن عذارى، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت بعد 712هـ/1312م):**

87. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، (الأجزاء 1−3)، تحقيق ومراجعة: كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط 3، 1983م. (الجزء 4)، تحقيق ومراجعة: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط 3، 1983م. (قسم الموحدين)، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد زنير ومحمد بن تاويت وعبد القادر زمامة، دار الثقافة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1406هـ/1985م.

- **ابن عربي، محي الدين محمد بن علي (ت 638هـ/1240م):**

88. التعريفات للشيخ الأكبر، تحقيق وتقديم: رفيق العجم، ضمن مجلة الأبحاث الأمريكية، العدد: 36، بيروت، 1988م.

89. رسالة نسبة الخرقة، ضمن كتاب لبس الخرقة في السلوك الصوفي، ضبطها وصححها وعلق عليها: عاصم إبراهيم الكيالي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1429هـ/2008م.

90. روح القدس في محاسبة النفس، تحقيق: عزة حصرية، د ط، مطبعة العلم، دمشق، 1970م.

91. شرح رسالة روح القدس في محاسبة النفس، جمع وتأليف: محمود محمود غراب، ط 2، دار الإيمان، دمشق، 1414هـ/1994م.

92. الفتوحات المكية، تحقيق وتقديم: عثمان يحي، تصدير ومراجعة: إبراهيم مركور، ط 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1405هـ/1985م.

- **ابن العريف، أحمد بن محمد (ت 536هـ/1142م):**

93. مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة، جمعه: أبو بكر عتيق بن مؤمن، دراسة وتحقيق: عصمت عبد الطيف دندش، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م.

- **ابن أبي العزّ، صدر الدين علي بن علي بن محمد الحنفي (ت 792هـ/1390م):**

94. شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط 1، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، 1418هـ/1997م.

- **العزفي، أبو العباس أحمد بن محمد اللخمي (ت 663هـ/1236م):**

95. دعامة اليقين في زعامة المتقين (مناقب الشيخ أبو يعزى)، ط 1، تحقيق: أحمد التوفيق، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1989م.

- **ابن عطية، أبو محمد عبد الحق المحاربي الأندلسي (ت 541هـ/1146م):**

96. فهرس ابن عطية، تحقيق: محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

- **ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (ت 1089هـ/1687م):**

97. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، د ط، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د ت.

- **عياض، أبو الفضل بن موسى بن عياض السبتي (ت 544هـ/1149م):**

98. ترتيب المدارك وتقريب المسالك في أعلام مذهب مالك، تحقيق: سعيد أعراب، ط 1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1403هـ/1983م.

99. الغنية – فهرست شيوخ القاضي عياض–، تحقيق: ماهر زهير جرار، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1402هـ/1982م.

- **ابن عياض، أبو عبد الله محمد (ت 575هـ/1179م):**

100. **كتاب التعريف بالقاضي عياض**، تحقيق: محمد بن شريفة، د ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، الرباط، 1982م.

- **ابن عيشون، أبو عبد الله محمد الشراط (ت 1109هـ/1697م):**

101. **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، تحقيق: زهراء النظام، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997م.

- **الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد (ت 704هـ/1304م):**

102. عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: رابح بونار، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

- **الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت 505هـ/1112م):**

103. إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، 1402هـ/1982م.

- **الفارسي، أبو الطاهر محمد بن الحسين (ت بعد 430هـ/1039م):**

104. مناقب الشيخ محرز بن خلف، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، ط 1، د ن، تونس، د ت.

105. مناقب محرز بن خلف، ترجمة وتحقيق: هادي روجي إدريس، ط 1، منشورات جامعة الآداب واللغات، الجزائر، 1956م.

• **ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت 403هـ/1013م):**

106. تاريخ علماء الأندلس، د ط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م.

• **الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ/1414م):**

107. القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط 8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1426هـ/2005م.

• **ابن القاضي، أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي (ت 1025هـ/1616م):**

108. جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، ط 1، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1393هـ/1973م.

• **القرافي، بدر الدين محمد بن يحي بن عمر (ت 1008هـ/1599م):**

109. توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق: علي عمر، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1425هـ/2004م.

• **القرشي، الداعي المطلق إدريس عماد الدين (ت 872هـ/1488م):**

110. كتاب عيون الأخبار – السبع الخامس وقسم من السبع السادس–تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تحقيق: محمد اليعلاوي، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006م.

• **ابن قسي، أبو القاسم أحمد (ت 546هـ/1151م):**

111. كتاب خلع النعلين واقتباس النور من موضوع القدمين، دراسة وتحقيق: محمد الأمراني، ط 1، مطبعة IMBH، أسفي، 1418هـ/1997م.

- **القشيري، أبو القاسم عبد الكريم ابن هُوزان النيسابوري (ت 456هـ/1072م):**

112. الرسالة القشرية في علم التصوف، تحقيق وإعداد: معروف مصطفى زريق، ط 1، مكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا بيروت، 1421هـ/2001م.

- **ابن القطان، أبو محمد بن حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي (ت منتصف القرن 7هـ/13م):**

113. نظم الجمان لترتيب ما خلف من أخبار الزمان، درسه وقدم له وحققه: محمود على مكي، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

- **ابن قنفذ، أبو العباس أحمد الخطيب القسنطيني (ت 810هـ/1406-1407م):**

114. أنس الفقير وعز الحقير،اعتنى بنشره وتصحيحه: محمد الفاسي وأدولف فور، مطبعة أكدال، الرباط، 1965م. ابن

- **الكاشاني، عبد الرزاق (ت 730هـ/1330م):**

115. رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال، ضبطه وصححه وعلق عليه: عاصم إبراهيم الكياني، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.

116. معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق وتقديم وتعليق: عبد العال شاهي، ط 1، دار المنار، القاهرة، 1413هـ/1992م.

- **كتاب خلال العهد الموحدي:**

117. **رسائل موحدية – مجموعة جديدة–**، تحقيق: أحمد العزاوي، ط 1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، القنيطرة، 1416هـ/1995م.

- **كتاب الدولة المؤمنية:**

118. مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، نشر: ليفي بروفنصال، ط 1، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941م.

- **الكلاباذي، أبو بكر محمد بن إسحاق (ت 380هـ/990م):**

119. التعرف لمذهب أهل التصوف، ضبطه وعلق عليه وخرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1993م.

- **الكمشخانوي، أحمد بن مصطفى ضياء الدين النقشبندي (ت 1311هـ/1894م):**

120. جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم وأوصافهم وأصول كل طريق، د ط، المطبعة الوهبية، مصر، 1298هـ/1881م.

121. جامع الأصول في الأولياء – الطرق الصوفية–، تحقيق أديب نصر الله، ج 2، ط 1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 1997م.

- **الماجري، أبو العباس أحمد بن إبراهيم (ت صدر القرن 8هـ/13م):**

122. المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح، تحقيق: محمد الرايس، د ط، د م ن، د ت.

- **المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت بعد 484هـ/1091م):**

123. كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير أخبارهم وفضائلهم، حققه: بشير بكوش، راجعه: محمد العروسي المطوي، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414هـ/1994م.

- **مجهول (ت بعد 587هـ/1191م):**

124. كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، ط 2، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م.

- **مجهول (عاش خلال القرن 8هـ/14م):**

125. كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، حققه: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط 1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1399هـ/1979م.

- **أبو مدين شعيب، ابن الحسين الأنصاري الأندلسي (ت 594هـ/1198م):**

126. ديوان أبي مدين شعيب الغوث، إعداد وجمع وترتيب: عبد القادر سعود وسليمان القرشي، ط 1، كتاب ناشرون، بيروت، 1432هـ/2011م.

- **المرادي، أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي (ت 489هـ/1096م):**

127. كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق: علي سامي النشار، ط 1، الدار الجديدة ودار الثقافة، الدار البيضاء، 1981م.

- **المراكشي، أبو محمد عبد الواحد بن علي (ت 647هـ/1249م):**

128. المعجب في تلخيص أخبار المغرب – من لدن فتح الأندلس إلى آخر أيام الموحدين– مع ما يتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار القراء وأعيان الكتاب، تحقيق: محمد سعيد العريان، ط 1، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، 1963م.

- **ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المديوني التلمساني (ت 1041هـ/1632م):**

129. البستان في ذكرى الأولياء والعلماء بتلمسان، وقف على طبعه واعتنى بمراجعة أصله: محمد ابن أبي شنب، ط 1، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1226هـ/1908م.

- **المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/1631م):**

130. أزهار الرياض في أخبار عياض، ضبطه وحققه وعلّق عليه: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط 1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1361هـ/1942م

131. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، د ط، دار صادر، بيروت، 1408هـ/1988م.

- **المكي، أبو طالب محمد بن علي بن عطية (ت 386هـ/996م):**

132. قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، حققه وقدم له وعلق حواشيه: محمود إبراهيم محمد الرضواني، ط 1، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1422هـ/2001م.

- **ابن الملقن، عز بن علي بن أحمد بن عبد الله (ت 804هـ/1402م):**

133. طبقات الأولياء، تحقيق: نور الدين شريبة، ط 1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973م.

- **المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت 1031هـ/1622م):**

134. التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط 1، دار الفكر المعاصر، بيروت دمشق، 1410هـ/1989م.

- **ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ت 711هـ/1311م):**

135. لسان العرب، ط 1، دار صادر، بيروت، 1300هـ/1883م.

- **النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي الأنلسي (ت بعد 793هـ/1390م):**

136. تاريخ قضاة الأندلس المسمى المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط 5، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ/1983م.

- **النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت 732هـ/1332م):**

137. تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط (افريقية والمغرب – الأندلس – صقلية وأقريطش) (27–719هـ/647–1319م) من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق وتعليق: مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م.

- **الهجويري، أبو الحسن علي بن عثمان الغزنوي (ت 469هـ/1089م):**

138. كشف المحجوب، (الجزء 1)، دراسة وترجمة وتعليق:إسعاد عبد الهادي قنديل، راجع الترجمة: آمين عبد المجيد بدوي، ط 1، مطابع الأهرام التجارية، مصر، 1394هـ/1974م. (الجزء 2)، تحقيق: إسعاد قنديل، مراجعة: يحي الخشاب، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1975م.

- **ابن الوردي، زين الدين عمر(ت 749هـ/1348):**

139. تاريخ ابن الوردي، ط 1، المطبعة الوهبية، القاهرة، 1285هـ/1868م.

- **الوزان، الحسن بن محمد الفاسي ليون الإفريقي (ت 956هـ/1549م):**

140. وصف إفريقيا، ترجمه من الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

- **الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحي (ت 915هـ/1508م):**

141. المعيار المعرب وجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف: محمد حجي، ط 1، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية للمملكة المغربية، الرباط، 1401هـ/ 1981م.

- **الإفراني، محمد الصغير (ت 1138هـ/1726م أو 1156هـ/1744م):**

142. درر الحجال في المناقب سبعة رجال، تحقيق: حسن جلاب، ط 1، المطبعة الوطنية، مراكش، 2000م.

- **الحضرمي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت في النصف الثاني من القرن 8هـ/14م):**

143. السلسل العذب والمنهل الأحلى، تحقيق: محمد الفاسي، مجله معهد المخطوطات العربية، مج 10، ج 1، محرم 1384هـ/مايو 1964م.

❖ **ثالثا- المراجع العربية:**

- **أحنانة، يوسف:**

144. تطور المذهب الأشعري في المغرب الإسلامي، ط 2، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1428هـ/2007م.

- **أسكان، الحسين:**

145. الدولة والمجتمع في العصر الموحدي 518-668هـ/1125-1270م، ط 1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2010م.

- **الألباني، محمد ناصر الدين:**

146. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، د ط، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1415هـ/1995م.

147. صحيح وضعيف سنن أبي داود، د ط، مكتبة المعارف، الرياض، د ت.

- **البختي، جمال علال:**

148. الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن السابع الهجري، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1426هـ/2005م.

149. عثمان السلالجي ومذهبيته الأشعرية – دراسة لجانب من الفكر الكلامي بالمغرب من خلال " البرهنية " وشروحها–، ط 1، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، 1426هـ/2005م.

- **بدوي، عبد الرحمان:**

150. مؤلفات الغزالي، ط 2، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977م.

- **بلغيث، محمد الأمين:**

151. الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين (479–539هـ/1085–1144م)، ط 1، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

152. دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، ط 4، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

153. دولة المرابطين بالأندلس من مدينة السياسية إلى مدينة العلم، ط 1، دار الوعي، الجزائر، 2009م

154. الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، ط 1، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

155. النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس، ط 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

- **بنسباغ، مصطفى:**

156. السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين، تقديم: محمد بنعبود، ط1، مطابع الشويخ، تطوان، 1999م.

• **بنشريفة، محمد:**

157. الماجريون والحافظ الماجري الكفيف الأسفي (ق: 6-7هـ)، ط 1، Safi graphe، أسفي، 2009م.

• **بوتشيش، إبراهيم القادري:**

158. الجوانب الخفية في حركة التصوف وكرامات الأولياء بالمغرب (العصر المرابطي الموحدي نموذجًا)، ضمن كتابه: **الإسلام السري في المغرب العربي**، ط 1، سينا للنشر، القاهرة، 1995م ، 1995م.

159. مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ط 1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1998م.

160. المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع- الذهنيات – الأولياء، ط 1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1993.

• **بولطيف، محمد لخضر:**

161. الفقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي (510-668هـ/1116-1269م)، ط 1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية، 1429هـ/2009م.

• **بولقطيب، الحسين:**

162. جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2002م.

• **بومدين، كروم:**

163. أبو الحسن الششتري الصوفي حياته وشعره، ط1، دار التوفيقية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1432هـ/2011م.

- **بونابي، الطاهر:**

164. التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/12 و 13 الميلاديين (نشأته – تياراته – دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)، ط 1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2004م.

- **البياض، عبد الهادي:**

165. الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الانسان (ق 6-7هـ/13-14م)، ط 1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2008م.

- **بن بية، محمد محمود عبد الله:**

166. الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، ط 1، دار الأندلس الخضراء، جدة، دار ابن حزم، بيروت، 1421هـ/2000م.

- **البيلي، محمد بركات:**

167. الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري، ط 1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1993.

- **التعارجي، العباس بن إبراهيم السملالي (ت 1378هـ/1959م):**

168. إظهار الكمال في تتميم مناقب سبعة رجال، تحقيق: أحمد متفكر، ط 1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1431هـ/2010م.

169. الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، راجعه: عبد الوهاب منصور، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1423هـ/2002م.

- **التليدي عبد الله بن عبد القادر:**

170. المطرب لمشاهير أولياء المغرب، ط 4، دار الأمان، الرباط، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1424هـ/2003م.

- **جعيط، هشام:**

171. تأسيس الغرب الإسلامي – القرن الأول والثاني الهجري/السابع والثامن ميلادي–، ط 2، دار الطليعة، بيروت، 2008م.

- **جلول، ناجي:**

172. الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، ط 1، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1999م.

- **الجيدي، عمر:**

173. مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، ط 1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993م.

174. محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، ط 1، دار عكاظ، الرباط، 1987م.

- **الحفناوي، أبو القاسم محمد (ت 1360هـ/1943م):**

175. تعريف الخلف برجال السلف، د ط، مؤسسة الرسالة، بيروت المكتبة العتيقة، تونس، 1405هـ/1985م.

- **الحكيم، سعاد:**

176. المعجم الصوفي، ط 1، دندرة للطباعة والنشر، بيروت، 1401هـ/1981م.

- **خميسي، حميدي:**

177. نشأة التصوف في المغرب الإسلامي الوسيط إتجاهته– مدارسه– أعلامه، ط 1، عالم الكتب الحديث، إربد، 1432هـ/2011م.

- **دندش، عصمت عبد اللطيف:**

178. دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (430–515هـ/1038–1121م)، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/1988م.

• **السبتي، عبد الأحد وفرحات، حليمة:**

179. المدينة في العصر الوسيط ووثائق من تاريخ الغرب الإسلامي، ط 1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994م.

• **الشاذلي، عبد اللطيف:**

180. التصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر الهجري، ط 1، مطابع سلا، سلا، 1989م.

• **الشاهدي، الحسن:**

181. الأذكار الصوفية – الوظائف والأوراد، الأحزاب، الأدعية، التصليات–، ط 1، دار القلم للنشر والطباعة والتوزيع، الرباط، 2007م.

• **الشريف، محمد:**

182. التصوف والسلطة بالمغرب الموحدي (القرنان 6–7هـ/12–13م)، ط 1، طوب بريس، الرباط، 2004م.

• **الشوار، العربي بن مصطفى:**

183. ديوان القطب الرباني العارف بالله الصمداني الشيخ سيدي شعيب أبي مدين بن الحسين الأنصاري الأندلسي ت 594هـ، نشر: محمد بن العربي بن مصطفى الشوّار، ط 1، مطبعة الترقي، دمشق، 1357هـ /1938.

• **الصغير، عبد المجيد:**

184. خصوصية التجربة الصوفية في المغرب مفاهيم وتجليات، ط 1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

185. الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام – قراءة في نشأة علم الأصول ومقاصد الشريعة–، ط 1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1415هـ/1994م.

- **طالبي، عمار:**

186. آراء بن عربي الكلامية، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت.

- **طه، جمال أحمد:**

187. الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الوسيط (عصري المرابطين والموحدين)، ط 1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004م.

- **بن الطيب، محمد:**

188. وحدة الوجود في التصوف الإسلامي في ضوء وحدة التصوف وتاريخيته، ط 1، دار الطليعة، بيروت، 2008.

- **العامري، نللي سلامة:**

189. التصوف بإفريقية في العصر الوسيط من القرن 3هـ/9م إلى نهاية القرن 9هـ/15م، ط 1، دار كونتراست للنشر، سوسة، 2009م.

190. الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لإفريقية في العهد الحفصي، ط 2، دار الفارابي، بيروت، 2006م.

- **عبد الوهاب، محمد حلمي:**

191. ولاة وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، تقديم: رضوان السيد، ط 1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2009م.

- **عبيد، بوداود:**

192. ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق 13–15م)، د ط، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2003م.

- **العجم، رفيق:**

193. موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1999م.

- **العدلوني، محمد الإدريسي:**

194. تأملات في الفكر الصوفي الأندلسي، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2012م.

195. التصوف الأندلسي أسسه النظرية وأهم مدارسه، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2005م.

196. المرحلة الابتدائية في تكون التصوف الفلسفي بالغرب الإسلامي ابن مسرّة ومدرسته، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1421هـ/2000م.

197. معجم مصطلحات التصوف الفلسفي، ط1، دار الثقافة مؤسسة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1423هـ/2002م.

- **العروي، عبد الله:**

198. مجمل تاريخ المغرب، ط 2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000م.

- **العريفي، محمد بن عبد الرحمان:**

199. موقف تيمية من الصوفية، ط 1، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، 1429هـ/2008م.

- **العزاوي، عباس:**

200. محي الدين بن عربي وغلاة التصوف، ضمن الكتاب التذكاري محي الدين بن عربي في الذكرى المؤوية الثامنة لميلاده 1165-1240م، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1969م.

- **العطري، عبد الرحيم:**

201. بركة الأولياء بحث في المقدس الضرائحي، ط 1، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 2014

- **علاوة عمارة:**

202. انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط (الجزائر) قراءة سوسيو- تاريخية؛ ضمن كتاب دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ط 1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م.

- **عمر، عز الدين موسى:**

203. الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيمات ونظمهم، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1411هـ/1991م.

- **عنان، محمد عبد الله:**

204. عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ط 1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1384هـ/1964م.

- **عيسى، لطفي:**

205. مغرب المتصوفة (الانعكاسات السياسية والحراك الاجتماعي من القرن 10م إلى القرن 17م)، ط 1، مركز النشر الجامعي و كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2005م.

- **الغرميني، عبد السلام:**

206. الصوفي والآخر، ط 1، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 1421هـ/2000م.

207. المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس الهجري، ط 1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1420هـ /2000م.

- **فروخ، عمر:**

208. التصوف في الإسلام، د ط، دار الكتاب العربي، بيروت، 1401هـ/1981م.

- **فيلالي، عبد العزيز:**

209. **تلمسان في العهد الزياني،** ج1، د.ط ، موفم للنشر، الجزائر، 2007م.

- **الفيومي، محمد إبراهيم:**

210. **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس،** ط1، دار الجيل بيروت، 1417هـ/1997م.

- **القويدري، الأخضر:**

211. الفكر التربوي الصوفي – قراءة في التراث التربوي عند أعلام التصوف الإسلامي–، تقديم: نظلة الجبوري، ط 1، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 1430هـ/2010م.

- **الكتاني، أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس:**

212. سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن قبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن على الكتاني، ط 1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1425هـ/2004م.

- **الكحلاوي، محمد:**

213. الفكر الصوفي في إفريقية والغرب الإسلامي (القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي)، ط 1، دار الطليعة، بيروت، 2009م.

214. مقاربات وبحوث في التصوف المقارن –أضواء على علاقة التصوف الإسلامي بالمسيحية، اليهودية، الفلسفة اليونانية الثقافة الفارسية والعقائد الهندية–، ط 1، دار الطليعة، بيروت، 2008م.

- **الكيالي، عاصم إبراهيم:**

215. الولاية والولي عند السادة الصوفية في الشريعة والطريقة والحقيقة، ط1، كتاب ناشرون، بيروت، 1431هـ/2010م.

- **لقبال، موسى:**

216. دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، ط 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.

- **مجمع اللغة العربية:**

217. المعجم الوسيط، ط 4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 1425هـ/2004م.

- **مجموعة من المؤلفين:**

218. التصوف السني في تاريخ المغرب – نسق نموذجي للوسطية والاعتدال–، تقديم وإشراف: إبراهيم القادري بوتشيش، ط 1، منشورات الزمن، الدار البيضاء، 2010م.

- **محمود، حسن أحمد:**

219. قيام دولة المرابطين – صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى–، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1957م.

- **المحمودي، أحمد:**

220. عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي، تقديم: محمود إسماعيل، ط 1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009م.

- **مخلوف، محمد بن محمد (ت 1281هـ/1864م):**

221. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ط 1، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ/1930م.

- **المعموري، الطاهر:**

222. الغزالي وعلماء المغرب، ط 1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1990م.

- **مفتاح، محمد:**

223. الخطاب الصوفي مقاربة وظيفية، ط 1، مكتبة الرشاد، الدار البيضاء، 1417هـ/1997م.

- **ملين، محمد الرشيد:**

224. عصر المنصور الموحدي أو الحياة السياسية والفكرية والدينية في المغرب من سنة 580هـ إلى سنة 590هـ، د ط، مطبعة الشمال الافريقي، د م، د ت.

- **المؤقت، محمد بن محمد بن عبد الله المراكشي (1369هـ/1950م):**

225. السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، طبعة حجرية، 1335 هـ/1917م.

- **مؤنس، حسين:**

226. سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين بالأندلس، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1954م، مج 2، العدد 1 و2.

- **الناصري، أبو العباس احمد بن خالد السلاوي(ت 1315هـ/1897م):**

227. كتاب الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ط 1، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م.

- **النبهاني، يوسف بن إسماعيل (ت 1350هـ/1932م):**

228. جامع كرامات الأولياء، تحقيق ومراجعة: إبراهيم عطوة عوض، ط 1، مركز اهل سنة بركات رضا فوربندر، غجرات – الهند، 1322هـ/2001م.

• **النجار، عبد المجيد:**

229. تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت – الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري، ط 2، المعهد العالي للفكر الإسلامي، هيرندن– فرجينيا، 1415هـ/1995م.

230. المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي المتوفي سنة 524هـ/1129م حياته وآراءه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1403هـ/1983م.

• **نشاط، مصطفى:**

231. جوانب من تاريخ المشروبات المسكرة بالمغرب الوسيط، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006م.

• **النيال، محمد البهلي:**

232. الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي، ط 2، دار آفاق للنشر، تونس، 2013م.

• **الهنتاتي، نجم الدين:**

233. المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ/11م، ط 1، تبر الزمان، تونس، 2004م.

• **الوارث، أحمد:**

234. التيار الصوفي في دكالة زمن الرباطات، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1432هـ/2011م.

❖ رابعا- الكتب المترجمة:

- **بالنثيا، آنخل جنثالث:**

235. تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، القاهرة، 1955م.

- **برنشفيك، روبار:**

236. تاريخ إفريقية في العصر الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، نقله إلى العربية: حمَّادي الساحلي، ج 2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.

- **بروفنسال، ليفي:**

237. حضارة الغرب في الأندلس، ترجمة: ذوغان قرقوط، د ط، مكتبة الحياة، بيروت، د ت.

238. مؤرخو الشرفاء، تعريب: عبد القادر خلادي، ط 1، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1397هـ/1977م.

- **بل، ألفرد:**

239. الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.

- **بلاثيوس، أسين:**

240. ابن عربي حياته ومذهبه، ترجمه عن الإسبانية: عبد الرحمان بدوي، د ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965م.

- **دونوقو، إدوارد:**

241. الإخوان (دراسة أنثربولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر)، ترجمة وتحقيق: كمال فيلالي، ط 1، دار الهدى، عين مليلة، 2003م.

- **شودكيفيتش، علي:**

242. الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر ابن عربي، ترجمة وتقديم: أحمد الطيب، ط 1، دار القبة الزرقاء للنشر والخدمات الثقافية، مراكش، 1419هـ/1998م.

- **مارسيه، جورج:**

243. بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة: محمود هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991م.

- **مرين، منويلا:**

244. الزهاد والصوفية والسلطة في الأندلس، تعريب: مصطفى بنسباع، ط 1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2010م.

❖ خامسا- الرسائل الجامعية:

- **بونابي، الطاهر:**

245. الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14-15 الميلاديين، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف: عبد العزيز فيلالي، جامعة الجزائر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، السنة الجامعية: 1429-1430هـ/2008-2009م.

- **جدو، فاطمة الزهراء:**

246. السلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين (479-635هـ/1086-1238م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: إبراهيم بكير بحاز، جامعة منتوري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، قسنطينة، السنة الجامعية: 1428-1429هـ/2007-2008م.

- **بن حمادي، عمر:**

247. الفقهاء في عصر المرابطين، شهادة تعمق في البحث (تاريخ وسيط)، إشراف: محمد الطالبي، جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 1987م.

- **خميسي، ساعد:**

248. الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه الدولة، إشراف: عبد الرحمان التليلي، جامعة منتوري، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، قسنطينة، السنة الجامعية: 1426-1227هـ/2005-2006م.

- **دحماني، سهام:**

249. المرآة والتصوف في المغرب الإسلامي من القرن 6هـ/12م إلى القرن 9هـ/15م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاجتماعي للمغرب في العهد الوسيط، إشراف: بوبة مجاني، جامعة منتوري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، قسنطينة، السنة الجامعية: 1427-1428هـ/2006-2007م.

- **بن الذيب، عيسى:**

250. المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية 480-540هـ/1056 -1145م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف: أحمد شريفي، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، السنة الجامعية: 1429-1430هـ/2008-2009م.

- **سعيد، محمد:**

251. **ظاهرة الأولياء والصالحين بإفريقية من القرن الثاني للهجرة/الثامن ميلادي إلى مطلع القرن السابع للهجرة / الثالث عشر ميلادي**، أطروحة شهادة

دكتوراه، إشراف: منيرة شابوطو رمادي، مج 1، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، السنة الجامعية: 1999-2000م.

- **عرادة، عبد الحميد محمد:**

252. الولاية عند غلاة الصوفية (عرض ونقد)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: أحمد جابر العمصي، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، السنة الجامعية: 1431هـ/2010م.

- **غانية، البشير:**

253. ثورة أبي مخلد بن كيداد ضد الفاطميين ونتائجها على المغرب، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية بوزريعة، قسم التاريخ والجغرافية، الجزائر، السنة الجامعية: 2007/2006م.

- **لخمنات، عبد الجليل:**

254. التصوف المغربي في القرن السادس الهجري – مقدمة لدراسة تاريخ التصوف بالمغرب–، إشراف: محمد زنير، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، الرباط، السنة الجامعية: 1989-1990م.

- **لدرع، آمال:**

255. الحركة الصوفية في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الزياني (633-962هـ/1236-1555م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: بوبه مجاني، جامعة منتورى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، قسنطينة، السنة الجامعية: 1426-1427هـ/2005-2006م.

• **المغراوي، محمد:**

256. العلماء والصلحاء والسلطة بالمغرب والأندلس في عصر الموحدين، تحت إشراف الأستاذين: عز الدين عمر موسى وأحمد التوفيق، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة محمد الخامس أكدال، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية: 1422-1423هـ/2001-2002م.

• **ملياني، زينب:**

257. التصوف بالغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف الدكتور: محمد الأمين بلغيث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 1427-1428هـ/2006-2007م.

• **نصير، محمد:**

258. انتشار المذهب الأشعري ببلاد المغرب خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين العاشر والحادي عشر الميلاديين، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، اشراف: محمد بن عميرة، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، السنة الجامعية: 1431-1432هـ/2010-2011م.

• **بن النية، رضا:**

259. صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين على مصر (80-362هـ / 699-973م)- دراسة اجتماعية -، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في المغرب الوسيط، إشراف: بوبة مجاني، جامعة قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، 1426-1427هـ/ 2005-2006م.

❖ سادسا- الدوريات العربية وأعمال الملتقيات:

- **أعراب، سعيد:**

260. موقف الموحدين من فقه الفروع وحمل الناس على المذهب الحزمي، دعوة الحق، العدد: 249، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الرباط، يونيو 1985م.

- **امحرزي، أحمد:**

261. موقف أبي بكر بن العربي من التصوف، أعمال ندوة من ابن برجان إلى إسحاق البلفيقي جوانب من التواصل الفكري بين المغرب والأندلس 12-13 نوفمبر 1993م العدد: 12، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، مراكش 1995م.

- **الأمراني، محمد:**

262. ثورة المريدين ابن قسي ملامح من حياته السياسية والصوفية، أعمال ندوة: من ابن برجان إلى أبي إسحاق البلفيقي جوانب من التواصل الفكري بين المغرب والأندلس 12-13 نوفمبر 1993، العدد: 12، مجلة كلية الآداب والعلوم إنسانية جامعة القاضي عياض، مراكش، 1995م.

- **بنساغ، مصطفى:**

263. إحراق كتاب " الإحياء " للغزالي وعلاقته بالصراع بين المرابطين والمتصوفة، ضمن ملتقى الدراسات المغربية الأندلسية تيارات الفكر في المغرب والأندلس الروافد والمعطيات، 26-27-28 ابريل1993م، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1993م.

264. ثورة ابن هود على الموحدين، مجلة كلية الآداب بتطوان، العدد: 6، 1993م.

265. الجانب الإيديولوجي لثورة المريدين، أعمال ندوة: من ابن برجان إلى أبي إسحاق البلفيقي جوانب من التواصل الفكري بين المغرب والأندلس 12-13 نوفمبر 1993، العدد: 12، مجلة كلية الآداب والعلوم إنسانية جامعة القاضي عياض، مراكش، 1995م.

- **بوتشيش، إبراهيم القادري:**

266. صفحة من الدور السياسي للطبقة المثقفة في المغرب الإسلامي الوسيط نموذج الحركة المسرية، مجلة تاريخ المغرب، العدد: 05، السنة: 14، جمادى الثانية 1415هـ/ نوفمبر 1994م.

- **التوفيق، أحمد:**

267. التاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى، الملتقى الدراسي: التاريخ المناقب، 8-9 أبريل 1988م، منشورات عكاظ الرباط، 1989.

- **الحسيسن، عبد الهادي:**

268. الحركة الثقافية والحضارية في العصر الموحدي وأثرها بالغرب الإسلامي، ضمن ملتقى الدراسات المغربية الأندلسية تيارات الفكر في المغرب والأندلس الروافد والمعطيات، 26-27-28 ابريل 1993م، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1993م.

- **خميسي، ساعد:**

269. تأثير أبي مدين في فكر وتصوف محي الدين بن عربي، مجلة العلوم الإنسانية، منشورات جامعة قسنطينة، عدد: 13، جوان2000م.

- **الدشراوي، فرحات:**

270. مظاهر من الصراع المذهبي بالأندلس، المجلة العربية للثقافة، العدد:27، تونس، 1994م.

- **زمامة، عبد القادر:**

271. حركة خطيرة على عهد المرابطين حركة ابن قسي، مجلة البينة، العدد: 2، السنة الأولى، وزارة الأوقاف، الرباط، 1962م.

- **زنير، محمد:**

272. حفريات في شخصية يعقوب المنصور(1)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، العدد: 9، سنة 1982م.

273. حفريات في شخصية يعقوب المنصور(2)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط،العدد:10، سنة 1984م.

274. الخلفية الاجتماعية الثقافية لحركة المهدي بن تومرت، مجلة المناهل، العدد: 24، السنة التاسعة، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، رمضان 1402هـ/يوليو 1982م.

- **عمارة، علاوة:**

275. المذهب المالكي في الغرب الإسلامي– من خلال قراءة جديدة –، دراسات وبحوث مغربية أعمال مهداة إلى الأستاذ موسى لقبال، منشورات مخبر البحوث والدراسات في الحضارة المغرب الإسلامي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008م.

- **غراب، سعد:**

276. حول احراق المرابطين لاحياء الغزالي، ضمن أعمال الملتقى الرابع الاسباني التونسي بالمادي ميورقة 1979م، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، 1983م.

- **الغرميني، عبد السلام:**

277. معالم من فكر ابن برجان، أعمال ندوة من ابن برجان إلي أبي اسحاق البلفيقي جوانب من التواصل الفكري بين المغرب والأندلس 12– 13 نوفمبر

1993م، العدد: 12، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، مراكش، 1995م.

- **الفاسي، محمد:**

278. ابن الكتاني الفندلاوي وابن عبد الكريم التميمي الفاسيان، دعوة الحق، العدد: 262، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الرباط، جمادى الأولى والثانية 1407هـ/يناير وفبراير 1987م.

- **فرحات، حليمة والتركي، حامد:**

279. كتب المناقب كمادة تاريخية، ضمن كتابه التاريخ وأدب المناقب، الملتقى الدراسي 8 و9 أفريل 1988م، مطبعة عكاظ، الرباط، 1989م.

- **فور، أدولف:**

280. التصوف والمدرسة الزهدية المغربية القرن الحادي والثاني والثالث عشر الميلادي، ترجمة: محمد العدلوني الإدريسي، ضمن كتاب : نظرات في التصوف المغربي، ط1، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1427هـ/2006م.

- **القبلي، محمد:**

281. حول بعض مضمرات التشوف ضمن كتاب الدولة والولاية والمجال بالمغرب الوسيط علائق وتفاعل، ط 1، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، 1997م.

- **المغراوي، محمد:**

282. التواصل الصوفي بين المغرب والمشرق إلى حدود السابع الهجري/ 13م، مجلة دعوة الحق، ضمن عدد التصوف المغربي تاريخ وفكر وتجليات، العدد:395، السنة الثانية والخمسون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية ربيع الثاني 1431هـ/ أفريل 2010م.

- **مكي ، محمود علي:**

283. التصوف الأندلسي مبادئه وأصوله، مجلة دعوة الحق، العدد: السابع، السنة: الخامسة، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، ذو القعدة 1381هـ/أفريل 1962م.

- **الوارث، أحمد:**

284. سيدي حرازم والطريقة السهروردية، ضمن كتاب متنوعات حليمة فرحات، ط 1، مطبعة كوثر برانت، الرباط، 2005م.

❖ سابعا- المراجع الأجنبية:

1. كتب:

- **ASINE, Palacios:**

285. Ibn Massarra y su escuela, Imprenta Ibérica - E. Maestre, Madrid, 1914.

- **Berque, Jacques:**

286. Ulémas fondateurs insurgés du Maghreb XVIIe siècle, Sindbad, Paris, 1982.

- **Edouard Montet:**

287. le culte des saints musulmans dans l'afrique du Nord et plus spécialement au Maroc, librairie Géorge, Genève, 1909.

- **Ferhat, Halima**:

288. Le Maghreb aux XII^{ème} et XIII^{ème} siècles : les siècles de la foi, édition Wallâda, Casablanca, 1993.

- **Goldziher, I:**

289. Mohammed ibn Toumert et la théologie de l'Islam dans le nord de l'Afrique au XI^{e} siècle, imprimerie oriental Pierre Fontana, Alger, 1903.

- **IBN AL-ARIF:**

290. Mahasin AL-Majalis, texte arabe traduction et commentaire par: Miguel Asin Palacios, librairie orientaliste Paul geuthner, Paris, 1933.

2. الدوريات:

- **BEL, Alfred:**

291. le soufisme en Occident musulman au XII éme et au XIII éme de J.C, Annales de l'institut d'études orientales, T:1, Faculté des lettre université d'Alger, libraire la rose, paris, 1934- 1935.

- **Chelhod, Joseph:**

292. le sacrifice chez les arabes recherches sur l'évolution, la nature et les fonctions des rites sacrificiels en arabie occidentale, Paris, PUF, 1955.

- **Doutté, Edmond:**

293. Notes sur l'islam maghrébin : les marabouts, Revue de l'histoire des religions, N°: 40, Année: 1899.

- **Drague, G:**

294. Esquisse d'histoire religieuse du Maroc. Confrérie et Zaouïas, Cahiers de l'Afrique et de l'Asie, Peyronnet, Paris, 1952.

الفـهـــــارس

أولا: فهرس الآيات القرآنية

ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثا: فهرس الأشعار

رابعا: فهرس التراجم والأعلام

خامسا: فهرس الأماكن والبلدان

سادسا: فهرس الشعوب والقبائل

سابعا: فهرس الفرق والنحل

ثامنا: فهرس الكتب والرسائل والمؤلفات

تاسعا: فهرس المصطلحات الدالة عن التصوف

عاشرا: الفهرس العام

أولا: فهرس الآيات القرآنية

الآيـــات القـــرآنيـــــة الكـــريمـــــــــة	اسم السورة ورقمها	الصفحة
﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦﴾	الأعرف 196	-93 95-94
﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾	البقرة 257	95
﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾	يوسف 101	95
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١﴾	محمد 11	95
﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾	النساء 76	96
﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾	يونس 62	-96 -98 106

ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثا: فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	البحر	الشاعر	عددالأبيات	الصفحة
درسوا	مجالس	الكامل	ابن خفاجة	02	54
أهل	العاتم	الكامل	أبو جعفر المعروف بابن البني	02	54-55
رأيتُ	السلامهْ	الوافر	أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن موسى	02	186
يَا وَاصِلِين	أَرْوَاحَا	الطويل	ابن العريف	02	203
أجريحَ	خلاصُ	الكامل	أبو الحسن الحرالي	02	223
أخو	رميم	الطويل	أبو محمد بن السيد البطليموسي	02	231

رابعا: فهرس التراجم والأعلام

خامسا: فهرس الأماكن والبلدان:

سادسا: فهرس الشعوب والقبائل

سابعا: فهرس الفرق والنحل

ثامنا: فهرس الكتب والرسائل والمؤلفات

تاسعا: فهرس المصطلحات الدالة عن الصوفية

الفهـــــــــرس العــــــام